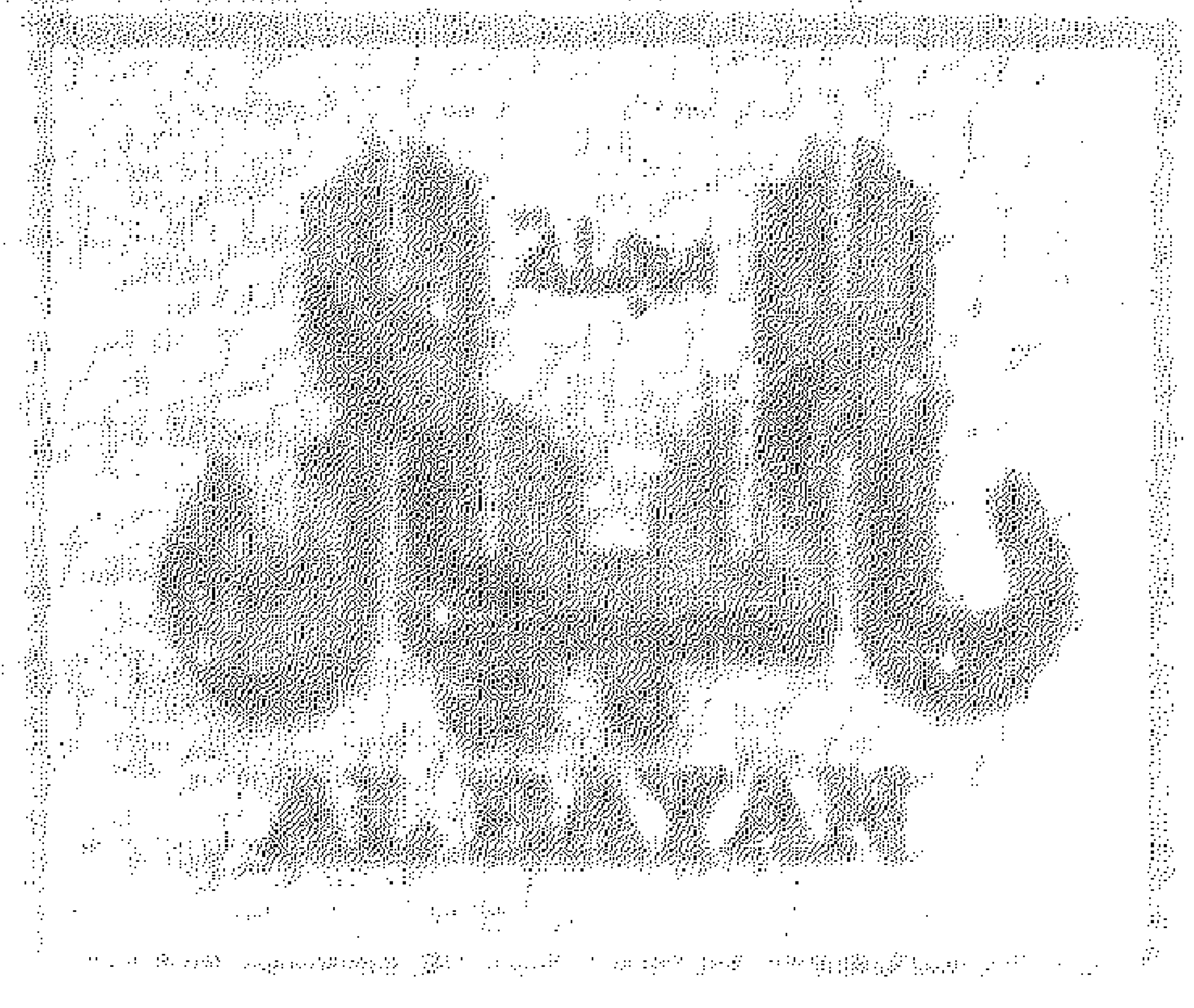
البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

AL BAYAN





مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

سعر العدد

الأردن ٥٠ قرشًا، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالا، مصر جنيهان، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ١٠٠ دينار، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

استقبالهم لرمضان

قال مدير البرامج بإحدى القنوات الفضائية في مقابلة صحفية: (نطمح أن تكون برامج رمضان لهذا العام مليئة بالجاذبية والإثارة والتنوع، نريد أن نستغل هذا الشهر الذي يرتفع فيه معدل المشاهدين بمقدار كبير لتقديم رسالتنا الإعلامية برؤية عصرية تناسب مرحلة العولمة الإعلامية والثقافية التي نشهدها).

لقد سخّرت الفضائيات العربية شتى ألوان الفساد والانحلال، وراحت تنتج العهر والفجور، باسم التقدم والتحضر، سلعتها الرئيسة (المرأة الكاسية العارية، المائلة المميلة)!!

ويزداد فجورهم في ليالي رمضان المباركة، وكأنهم أخذوا عهداً على أنفسهم أن يحطموا أثر الصيام في نفوس الضعفاء من الناس، ويهجموا بكل صلف وإسفاف على الكرامة والعفة، وتجد فيهم قوة وجَلداً على نشر باطلهم والدعوة إليه.

إن هذا التردي الإعلامي يجب أن يكون قوة دافعة لنا نحن معاشر الدعاة؛ لنواجه الباطل بكل أنفة واعتزاز، ونعدّ العدّة الشرعية الواجبة لدعوة الناس وتربيتهم على الآداب الفاضلة، فكيف تطيب نفوسنا ونحن نرى دعاة الرذيلة يسلبون أخلاقنا ويمسخون عقولنا؟! وشهر رمضان موسم فضيل تقبل فيه القلوب على الطاعات، ولكن الارتجال في إعداد الخطط الدعوية لن يُحقق النتائج التي نطمح إليها.

لقد اعتاد كثير من الدعاة على توجيه الخطاب الدعوي لرواد المساجد ـ خاصة ـ وهذا حسن بلا شك، ولهم علينا حق كبير، ولكن شريحة كبيرة من فتيان الأمّة وفتياتها ربما لم يسمعوا كثيراً من برامجنا وأنشطتنا، فهل فكرنا في طرائق الوصول إليهم؟! وهل قدمنا البرامج الجادة التي تشبع احتياجاتهم..؟! إن الوسائل المعتادة في الدعوة مهمة جداً لا يجوز أن نزدريها، أو نقلل من شأنها، ولكن هل فكرنا في وسائل أخرى تعطينا مزيداً من الانتشار والوصول إلى كافة شرائح الأمة؟!

نحسب أن هذا تحدٍّ كبير يكشف بعض ملامح جديتنا ونضجنا في حمل هذه الرسالة الخالدة.

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	—	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٢٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٤٤٤١٠٤٤	٤٣٢٧١٦٧
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٤١٩٣-٠٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

المراسلات والإعلانات

الدول العربية:

السعودية : مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض : ١١٤٩٦ - هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦ .

قطر: الدوحة، ص.ب: ١٦٤٦٤، هاتف: ٤٤٤١٠٤٤، فاكس: ٤٣٢٧١٦٧ .

البحرين: المحرّق مكتب دار البيان، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف ٣٣٥٣٠٠ - فاكس ٣٣٦٣٠٠ .

البريد الإلكتروني: **bayan@naseej.com.sa**

أوروبا وأمريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

الحسابات

■ **السعودية**: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠ / ٧ .
- مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢ - ٤٥١٤ - ٤٢ - ١٠٩ .
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤ .

■ **الإمارات**: بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤ .

■ **قطر**: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم: ٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١ .

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الموزعون

■ **السعودية**: مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ - فاكس: ٤٦٤٢٩١٩ .
- الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ .

■ **المغرب**: سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ - هاتف: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩ .

■ **اليمن**: مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري العربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ .

■ **السودان**: شركة النحوي للتجارة والتوزيع ، الخرطوم: ص.ب ١٠٣٧١ - هاتف ٧٧٤٣٣٦ - ٧٧١٥٤٧ .

■ **مصر**: القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس : ٥٧٤٧٠٢٣ .

■ **الأردن**: الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس: ٦٣٥١٥٢ .

■ **الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان**: شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨ .

■ **قطر**: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف: ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس: ٦٦٢٤٥٠ .

■ **الكويت**: شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشورفح ٧٠٦٥١ - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨ .

■ **البحرين**: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١ ، فاكس ٥٣١٢٨١ .



يخربون بيوتهم بأيديهم

فوجئ الصحافيون الذين يتابعون اللقاء الذي عقد في السفارة الأمريكية في باريس بين باراك وعرفات وأولبرايت بخروج عرفات غاضباً، وركب سيارته وهو يردد: هذه إهانة لا يمكن السكوت عليها. وفوجئوا ثانية بأولبرايت تخرج راكضة من المبنى وتأمر الحرس بإغلاق البوابات لمنع سيارة عرفات من الخروج، وأعيد عرفات إلى مبنى السفارة بعد أن مسحت أولبرايت الإهانة بقُبَلٍ طبعتها على خده! والسؤال الملحُّ أنه إذا كان الاجتماع سيتم في السفارة الأمريكية فما الفرق بين واشنطن وباريس والقاهرة و......؟ وهل هدف تغيير الأماكن يتعدى استخدام زعماء هذه الدول في الضغط على الجانب الضعيف وإضعاف مقاومته؟ وأن ما يعجز عنه كلينتون في مخيم داود قد ينجح فيه شيراك في باريس أو حتى مبارك في القاهرة؟

لقد حرص اليهود منذ بداية ما يسمى بمفاوضات السلام على الإمساك بخيوط اللعبة جميعاً؛ وكان تخطيطهم محكماً بحق؛ فقد ركزوا على اختراق الخارجية الأمريكية، وتمكنوا من السيطرة على مراكز القرار فيها، وأصبح بأيديهم رسم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، وإذا كانت أولبرايت اكتشفت ماضيها اليهودي متأخرة وعلمت به من الصحف؛ فإنها لم تستطع أن تخفي أن جُلَّ المحيطين بها هم من اليهود الطارئين على الخارجية؛ ومارتن إنديك ليس إلا واحداً منهم. لقد أصبح المفاوض الفلسطيني حين يقابل وزيرة الخارجية الأمريكية يجد نفسه بين يدي يهودية، وإذا زاره المنسق الأمريكي لعملية السلام فإذا به يهودي، وإذا ذهب إلى السفير الأمريكي لدى اليهود فإذا به أيضاً يهودي، ولا ندري هل

ضباط المخابرات الأمريكية (C.I.A) الذين يتولون إدارة التنسيق الأمني يهود أم لا؟

لقد كان يعتقد اليهود أن محادثات كامب ديفيد ستكون نهاية المطاف؛ ولذلك كشفوا تصورهم للحل النهائي؛ فمشكلة اللاجئين سيتم حلها على حساب غيرهم؛ فكل دولة توطن الفلسطينيين المقيمين فيها، ومن يعود إلى فلسطين فسيعود إلى المناطق التي تديرها السلطة وليس إلى بيوتهم؛ أي أنهم سيبقون لاجئين، وأما المشكلة الأخرى وهي وضع القدس؛ فإن حلها في نظر اليهود سهل وبسيط؛ فقد قاموا بإطلاق اسم «القدس» على مناطق فلسطينية في ضواحي القدس، وشيدوا مبنى البرلمان الفلسطيني المنتظر، ولم ينسوا جَعْلَ مكتب عرفات يطل من بعيد على المسجد الأقصى، أما ما كان يسمى: (القدس) فقد أطلقوا عليه: (أورشليم) وبدأ التركيز الإعلامي يُشيع أن الحل المثالي هو قيام عاصمة لدولة «إسرائيل» اسمها: (أورشليم) وعاصمة لفلسطين تسمى: (القدس)، ولتمرير هذا المخطط فقد أثيرت قضية السيادة على الحرم ومحاولة حصر النقاش حولها حتى ينسى الناس القدس بعد أن نسوا فلسطين وسلموا بحق اليهود في احتلالها. وكانت المماحكات المقصودة لا تنتهي؛ فقد اعترف اليهود بحق السيادة الفلسطينية على أرض الحرم مقابل حقهم في السيادة على ما تحت الحرم؛ لأنهم يدَّعون أن الهيكل يقع تحت الحرم. وأثيرت قضية مهمة جداً تمس السيادة الفلسطينية!!! ألا وهي أن الحرم محاط بمنطقة سيطرة يهودية؛ فكيف يدخل الفلسطيني إلى الحرم دون المرور على الأمن اليهودي؟ وكان أحد الاقتراحات الأمريكية أن يكون هناك ممر مغطى بالزجاج العاكس بحيث يمارس اليهود حقهم في مراقبة المصلين الذين يفدون إلى الحرم دون أن يروا الجنود اليهود خلف الزجاج! إن هذه الطروحات والمناقشات تهدف إلى صرف الأنظار عن أساس القضية، وإبراز الجزء بحيث يغطي على الكل. إن اللحظات الأخيرة الحاسمة كانت توحي بقرب التوقيع على صك الاستسلام النهائي على الرغم من تردد عرفات الذي كان يخشى على سلطته من ردة الفعل المتوقعة ولا يستبعد خوفه من التاريخ، وكانت الورقة الوحيدة التي كان يلوح بها هي إعلان الدولة الفلسطينية، والتي سرعان ما تراجع عن تحديد موعده، ولم يبق له شيء يساوم به؛ فقد أنجز بنجاح إحراق أوراقه -

والبركة في أجهزته الأمنية ـ وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان، واختلطت الأوراق من جديد، وهدم اليهود في أيام معدودة ما بنوه في سنوات، وبقي على المسلمين استثمار كبوات العدو وعدم التفريط في هذه الفرص التي قد لا تتكرر، وتتميز الأحداث الأخيرة بحالة الارتباك التي يعاني منها اليهود سواء في دولة الإقامة أم دولة الحماية (أمريكا).

وإليك أخي القارئ أبرز ملامح ما يجري، وكيفية توظيف الحدث في مصلحة الأمة:

أولاً: لقد قام شارون زعيم كتلة الليكود بدخول ساحة المسجد الأقصى لإثبات سيادة اليهود على الحرم، وأنه الوحيد الذي لا يفرط في المطالب اليهودية، وكان برفقته قوات كبيرة من الأمن قدمتها له الحكومة.

ثانياً: استعداد حكومة باراك لردة الفعل المحتملة عسكرياً وأمنياً، وكانت تهدف إلى كسر شوكة الفلسطينيين وكسب نقاط مهمة في المفاوضات. أما في حالة تفاقم الوضع فإن الثمن سيدفعه شارون ومن ورائه تكتل الليكود المعارض.

ثالثاً: إن قيام الفلسطينيين بمواجهة اليهود بصدور عارية ومواجهة القوات اليهودية المدججة بالسلاح والمستعدة مسبقاً يدل على أن الأمة ما زالت حية، وأن الخير باق فيها إلى يوم القيامة، وأن من حق الفلسطينيين الحفاظ على تضحياتهم، واستثمار حالة التعاطف التي تعم العالم الإسلامي في القيام بأعمال إيجابية تخدم القضية، وفي مواجهة السيطرة اليهودية على مستوى العالم عامة وفي أمريكا خاصة.

رابعاً: إن الإعلام سلاح أساسي في هذه المرحلة وله أكبر الأثر في تحريك الرأي العام ومن ثَمَّ التأثير على مواقف الحكومات، ويجب على المسلمين بناء آلتهم الإعلامية القادرة على التأثير وتوجيه الأحداث. إن صورة طفل صغير يُقتَل على يد اليهود بصورة بشعة قد ساهم في إحراج العدو وأذنابه، والسؤال هو: كم من المشاهد لم نستثمرها؟ وكم من التصريحات والممارسات التي لم نستغلها في إبراز صورة اليهود الحقيقية للعالم؟!

خامساً: إن الشعوب الغربية قد تكون معادية لنا؛ ولكن يجب علينا استغلال الأحداث في إثارة عواطفهم ضد اليهود، والتركيز على سيطرة اليهود عليهم، وأن مصالحهم في العالم الإسلامي عرضة للتهديد في حال استمرار تبني وجهة النظر اليهودية.

سادساً: استثمار التخبط في المواقف الأمريكية والتي تفضح سيطرة اليهود على مواقع اتخاذ القرار والاستهانة بعواطف المسلمين؛ فبينما يصدر الناطق باسم الخارجية الأمريكية بياناً ينتقد العبث بمحتويات مدرسة يهودية في روسيا فإن أمريكا تقف بكل قوة ضد أي إدانة لإسرائيل في مجلس الأمن بل منعت ذكر شارون بالاسم. إن تهمة اللاسامية يجب أن تستبدل باللاإسلامية التي يجب أن تطرح بقوة ويواجه بها كل مسؤول أو إعلامي في الغرب.

سابعاً: إن قرار إغلاق السفارات الأمريكية في بعض العواصم الإسلامية يهدف من ورائه إلى تصوير العالم الإسلامي أنه عدو، ولكن يجب إبراز أن اللوبي اليهودي في أمريكا هو سبب تزايد مشاعر العداء ضد أمريكا في العالم الإسلامي.

ثامناً: إن بروز الرأي العام في العالم الإسلامي ومحاولته التعبير عن مشاعره ومواقفه يجب أن يُدعَم من قِبَل الحكومات؛ فإن محاولة كبته سيضعف الدول الإسلامية أمام محاولات السيطرة الأجنبية.

إن الأحداث الأخيرة تدل على أن الأمة بخير، وأن لديها القدرة على النهوض.

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [**آل عمران**: ١٣٩].



سنابل الخير

فيصل بن علي البعداني

albadani@hotmail.com

(١ ـ ٢)

المال مال الله عز وجل، وقد استخلف ـ تعالى ـ عباده فيه ليرى كيف يعملون، ثم هو سائلهم عنه إذا قدموا بين يديه: من أين جمعوه؟ وفيمَ أنفقوه؟ فمن جمعه من حله وأحسن الاستخلاف فيه فصرفه في طاعة الله ومرضاته أثيب على حسن تصرفه، وكان ذلك من أسباب سعادته، ومن جمعه من حرام أو أساء الاستخلاف فيه فصرفه فيما لا يحل عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته إلا أن يتغمده الله برحمته.

ومن هنا كان لزاماً على العبد ـ إن هو أراد فلاحاً ـ أن يراعي محبوب الله في ماله؛ بحيث يوطن نفسه على ألاَّ يرى من وجه رغَّب الإسلام في الإنفاق فيه إلا بادر بقدر استطاعته، وألاَّ يرى من طريق حرم الإسلام النفقة فيه إلا توقف وامتنع.

وإن من أعظم ما شرع الله النفقة فيه وحث عباده على تطلُّب أجره: الصدقةَ [1] التي شرعت لغرضين جليلين: أحدهما: سد خَلَّة المسلمين وحاجتهم، والثاني: معونة الإسلام وتأييده[2]. وقد جاءت نصوص كثيرة وآثار عديدة تبين فضائل هذه العبادة الجليلة وآثارها، وتُوجِد الدوافع لدى المسلم للمبادرة بفعلها.

وهذه الفضائل والآثار كثيرة جداً تحتمل أن يفرد لها كتاب فضلاً عن أن ترسل في مقال؛ ولذا سأقتصر على أبرزها، وذلك فيما يلي:

١ ـ علو شأنها ورفعة منزلة صاحبها:

الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل؛ ودليل ذلك حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»[3]، وحديث: «من أفضل العمل: إدخال

---

(١) الصدقة: هي النفقة التي يطلب بها الأجر، وتطلق على الفرض والنفل، إلا أن عرف الاستعمال في الشرع جرى في الفرض بلفظ الزكاة، وفي النفل بلفظ الصدقة، انظر: المفردات، للراغب: ٤٨٠، والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ٤٥٢، ٤٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري: ١٠ / ١٦٣، أحكام القرآن، لابن العربي: ١/٢٣٠.

(٣) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ٤٠ رقم: ٣٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١ / ٩٧ رقم: ١٧٦.

السرور على المؤمن: يقضي عنه ديناً، يقضي له حاجة، ينفس له كربة»[1]. بل إن الصدقة لتباهي غيرها من الأعمال وتفخر عليها؛ وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»[2].

وهذه الرفعة للصدقة تشمل صاحبها؛ فهو بأفضل المنازل كما قال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل...»[3]، وهو صاحب اليد العليا كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة»[4]، وهو من خير الناس لنفعه إياهم وقد جاء في الحديث المرفوع: «خير الناس من نفع الناس[5]»، وهو من أهل المعروف في الآخرة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[6].

ولا تقتصر رفعة المتصدق على الآخرة بل هي شاملة للدنيا؛ فمن جاد ساد، ومن بخل رذل، بل قال محمد بن حبان: «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصي والداني، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف»[7]، والمتصدق ذو يد على آخذ الصدقة، بل إنه كما قيل: يرتهن الشكر ويسترق بصدقته الحر[8]. ولذا كان ابن السماك يقول: «يا عجبي لمن يشتري المماليك بالثمن، ولا يشتري الأحرار بالمعروف»[9].

٢ ـ وقايتها للمتصدق من البلايا والكروب:

صاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكأً[10]؛ إذ البلاء لا يتخطى الصدقة؛ فهي تدفع المصائب والكروب والشدائد المخوِّفة، وترفع البلايا والآفات والأمراض الحالّة، دلت على ذلك النصوص، وثبت ذلك بالحس والتجربة.

فمن الأحاديث الدالة على ذلك قوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات»[11]، وقوله ﷺ في حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ: «وفعل المعروف يقي مصارع السوء»[12]، ومنها: حديث رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «الصدقة تسد سبعين باباً من السوء»[13].

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي: ٦/١٢٢ رقم: ٧٦٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/ ١٠٢٥ رقم: ٥٨٩٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة: ٤/ ٩٥ رقم: ٢٤٣٣، المستدرك، للحاكم: ١ / ٤١٦ وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٣) جامع الترمذي: ٤/ ٥٦٢، ٥٦٣ رقم: ٢٣٢٥، وقال: (حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢/٢٧٠ رقم: ١٨٩٤.

(٤) صحيح مسلم: ١/٧١٧ رقم: ١٠٣٣.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي: ٦/ ١١٧ رقم: ٧٦٥٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٦٢٣ رقم: ٣٢٨٩.

(٦) الأدب المفرد، للبخاري: ٨٦ رقم: ٢٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٤٠٧ رقم: ٢٠٣١.

(٧) روضة العقلاء، لابن حبان: ٢١٤.

(٨) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: ١/٣١٠.

(٩) روضة العقلاء، لابن حبان: ١٩٥.

(١٠) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: ١/٣١٠.

(١١) المستدرك، للحاكم: ١/١٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٧٠٧ رقم: ٣٧٩٥.

(١٢) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٤٤ رقم: ٣٤٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٧٠٢ رقم: ٣٧٦٠.

(١٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٤/٢٧٤ رقم: ٤٤٠٢، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣ /١٠٩ وقال: (وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف)، وأورده ابن حجر الهيتمي في الزواجر: ١/٣١٨، ٣١٩ ضمن أحاديث أفاد بأنها صحيحة إلا قليلاً منها فإنه حسن، والظاهر أن هذا الحديث حسن بشواهده، وانظر: المقاصد الحسنة، للسخاوي: ٢٦٠ ـ ٢٦١ رقم: ٦١٨، وكشف الخفاء، للعجلوني: ٢/٢٨ ـ ٢٩ رقم: ١٩٥٣.

ومنها أيضاً: قوله ﷺ حين هلع الناس لكسوف الشمس: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»[1] قال ابن دقيق العيد في شرحه له: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور»[2].

كما أن الصدقة تحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض، يدل لذلك حديث: «داووا مرضاكم بالصدقة»[3]، قال ابن الحاج: «والمقصود من الصدقة أن المريض يشتري نفسه من ربه ـ عز وجل ـ بقدر ما تساوي نفسه عنده، والصدقة لا بد لها من تأثير على القطع؛ لأن المخبر ﷺ صادق، والمخبَر عنه كريم منان»[4]، وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة في ركبته لها سبع سنين، وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر يحتاج الناس إليه إلى الماء فيه، وقال: أرجو أن ينبع فيه عين فيمسك الدم عنك[5]، وقد تقرح وجه أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك قريباً من سنة فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على باب داره وصب فيها الماء فشرب منها الناس، فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان[6].

والأمر كما قال المناوي: «وقد جُرِّب ذلك ـ أي التداوي بالصدقة ـ فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه»[7].

وليس هذا فحسب؛ بل إن بعض السلف كانوا يرون أن الصدقة تدفع عن صاحبها الآفات والشدائد ولو كان ظالماً، قال إبراهيم النخعي: «كانوا يرون أن الصدقة تَدْفَع عن الرجل الظلوم»[8].

وفي المقابل فإن عدم الصدقة يجر على العبد المصائب والمحن؛ لحديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وفيه أن جبريل قال ليعقوب ـ عليهما السلام ـ عن الله ـ عز وجل ـ: «أتدري لِمَ أذهبت بصرك وقوست ظهرك، وصنع إخوة يوسف ما صنعوا: إنكم ذبحتم شاة، فأتاكم مسكين يتيم وهو صائم فلم تطعموه منه شيئاً»[9].

٣ ـ عظم أجرها ومضاعفة ثوابها:

يربي الله الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلي الدرجات.. بهذا تواترت النصوص وعليه تضافرت؛ فمن الآيات الكريمات الدالة على أن الصدقة أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [**الحديد**: ١٨] والتي أوضحت بأن «المتصدقين

---

(١) صحيح البخاري، فتح ٢/٦١٥ رقم: ١٠٤٤.

(٢) إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد :٢/١٤١.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: ٣/٢٨٢ رقم: ٣٥٥٨، وأفاد المنذري في الترغيب والترهيب: ١/٥٢٠ أنه روي مرفوعاً ومرسلاً قال: (والمرسل أشبه)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٦٣٤ رقم: ٣٣٥٨.

(٤) المدخل، لابن الحاج: ٤/ ١٤١ ـ ١٤٢.

(٥) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: ١/٣٢١.

(٦) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: ١/٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٧) فيض القدير، للمناوي :٣/٥١٥.

(٨) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٨٣ رقم: ٣٥٥٩.

(٩) المستدرك، للحاكم: ٢/٣٤٨ وصححه ووافقه الذهبي.

والمتصدقات لا يتفضلون على آخذي الصدقات، ولا يتعاملون في هذا مع الناس، إنما هم يقرضون الله ويتعاملون مباشرة معه، فأي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود؟ وأن ما ينفقه مُخْلَف عليه مضاعف، وأن له بعد ذلك كله أجراً كريماً»(1).

ومنها: قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال الجصاص مبيناً علة تسمية الله للصدقة قرضاً: «سماه الله قرضاً تأكيداً لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحق به»(2)، وعلل ذلك ابن القيم بأن «الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد؛ طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيٌّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض... فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل أو الشح أو عدم الثقة بالضمان»(3).

ومنها: قوله ـ عز وجل ـ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] والتي لها أثر عظيم في دفع العبد إلى الصدقة؛ إذ يضاعف الله له بلا عدة ولا حساب، من رحمته ـ سبحانه ـ ورزقه الذي لا حدود له ولا مدى(4).

ومن الأحاديث الدالة على عظم أجر الصدقة: قوله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه ـ وإن كان تمرة ـ فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل؛ كما يربي أحدكم فُلُوَّه أو فصيله»(5)(6)، قال ابن حجر: «الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم ـ لا سيما الصدقة ـ فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل... والظاهر أن المراد بعظمها: أن عينها تعظم لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها»(7)، ومنها: قوله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مئة ضعف»(8) قال المباركفوري: «وهذا أقل الموعود، والله يضاعف لمن يشاء»(9)، وحديث أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً جاء بناقة مخطومة(10) فقال: «هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٦/٣٤٩٠.

(2) أحكام القرآن، للجصاص: ١/٦١٦.

(3) طريق الهجرتين، لابن القيم: ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(4) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٣٠٦، وراجع: إعلام الموقعين، لابن القيم: ١/١٤١، ١٤٢.

(5) الفلو: ولد الفرس إذا فطم عن أمه، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن الرضاع. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/٤٤٧، ٤/٥٠٥.

(6) البخاري، فتح ٣/ ٣٢٦ رقم: ١٤١٠، مسلم: ١/٧٠٢ رقم: ١٠١٤واللفظ له.

(7) الفتح: ٣/٣٢٨، ٣٢٩.

(8) المسند: ٣١/١٩٦، ١٩٧ رقم: ١٨٩٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/١٠٥٤ رقم: ٦١١٠.

(9) تحفة الأحوذي: ٥/ ٢٥٤.

(10) مخطومة: أي عليها خطام وهو مثل الزمام، انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض: ٦/٣١٥.

يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة»[1] واستطعم مسكين عائشة - رضي الله عنها - وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: «خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟!»[2]، قال يحيى بن معاذ: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة»[3].

٤ - إطفاؤها الخطايا وتكفيرها الذنوب:

جعل الله الصدقة سبباً لغفران المعاصي وإذهاب السيئات والتجاوز عن الهفوات، دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ومنها: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] والذي هو نص عام يشمل كل حسنة وفعل خير، والصدقة من أعظم الحسنات والخيرات فهي داخلة فيه بالأولوية[4]، وقوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله - عز وجل -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] والتي أفادت أن من أول وأجلِّ ما تنال به مغفرة الله للخطايا وتجاوزه عن الذنوب: الإنفاق في مراضيه سبحانه.

ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً: قوله ﷺ: «تصدقوا ولو بتمرة؛ فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»[5]، وقوله ﷺ: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا»[6]، وما أخرجه البخاري في صحيحه في باب: الصدقة تكفر الخطيئة من حديث حذيفة - رضي الله عنه - وفيه: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف»[7]، وقوله ﷺ: «يا معشر التجار: إن الشيطان والإثم يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة»[8]، ومعناه أن التاجر: «قد يبالغ في وصف سلعته حتى يتكلم بما هو لغو، وقد يجازف في الحلف لترويج سلعته؛ فيندب إلى الصدقة ليمحو أثر ذلك»[9]، وقال محمد بن المنكدر: «من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان». قال بعض أهل العلم عقب إيراده له: «وإذا كان الله - سبحانه - قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه فكيف بمن سقى العطاش، وأشبع الجياع، وكسا العراة من المسلمين؟»[10].

ولاستفاضة النصوص في كون الصدقة مكفرة للذنوب وماحية للخطايا استحب بعض أهل العلم الصدقة عقب كل معصية[11]، ولعل مستندهم في

---

(١) مسلم: ٢/١٠٠٥ رقم: ١٨٩٢.

(٢) الموطأ: ٢/٩٩٧، وانظر: التمهيد، لابن عبد البر: ٤/٣٠٢.

(٣) المستطرف، للأبشيهي: ١/٢٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤/٣٥٥، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/١٩٣٢.

(٥) مسند الشهاب: ١/٩٥ رقم: ١٠٤، والزهد، لابن المبارك: ٢٢٩ رقم: ٦٥١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٥٦٨ رقم: ٢٩٥١.

(٦) صحيح ابن حبان: ١٢/٣٧٨ - ٣٧٩ رقم: ٥٥٦٧، وصححه المحقق، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/٣٦٣ رقم: ٨٦١.

(٧) البخاري، فتح ٣/٣٥٣ رقم: ١٤٣٥.

(٨) جامع الترمذي: ٣/٥١٤ رقم: ١٢٠٨ وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢/٤ رقم: ٩٦٦.

(٩) المبسوط، للسرخسي: ١٥/١١٥.

(١٠) عدة الصابرين، لابن القيم: ٢٥٥.

(١١) انظر: مغني المحتاج، للشربيني: ٣/١٢٣، غاية المحتاج، للرملي: ٦/١٧٦.

ذلك قوله ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[1]، والصدقة من كبار الحسنات ورؤوس الطاعات؛ فهي داخلة في عموم النص قطعاً.

٥ ـ مباركتها المال وزيادتها الرزق:

تحفظ الصدقة المال من الآفات والهلكات والمفاسد، وتحل فيه البركة، وتكون سبباً في إخلاف الله على صاحبها بما هو أنفع له وأكثر وأطيب[2]، دلت على ذلك النصوص الثابتة والتجربة المحسوسة؛ فمن النصوص الدالة على أن الصدقة جالبة للرزق قول الذي ينابيع خزائنه لا تنضب وسحائب أرزاقه لا تنقطع واعداً من أنفق في طاعته بالخلف عليه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال ابن عاشور في تفسيره: «وأكد ذلك الوعد بصيغة الشرط، وبجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، ففي هذا الوعد ثلاث مؤكدات دالة على مزيد العناية بتحقيقه... وجملة: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تذييل للترغيب والوعد بزيادة أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق»[3]، وقال العلامة السعدي: «قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخْلِفُهُ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق الذي يبسط الرزق ويقدر»[4]، وما أجمل مقولة بعضهم: «أنفق ما في الجيب يأتك ما في الغيب»[5].

ومن النصوص الدالة أيضاً على أن الصدقة بوابة للرزق ومن أسباب سعته واستمراره وتهيؤ أسبابه، وأنها لا تزيد العبد إلا كثرة قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] إذ الصدقة غاية في الشكر، وقوله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أَنفقْ أُنفقْ عليك»[6]، وقوله ﷺ: «ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة»[7]، وقوله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[8]. كما يدل على ذلك قوله ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة[9]؛ فإذا شرجة[10] قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته[11]، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان ـ للاسم الذي سمع في السحابة ـ، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان ـ لاسمك ـ فماذا تصنع فيها؟

---

(١) جامع الترمذي: ٤/٣٥٥ رقم: ١٩٨٧ وقال: (حسن صحيح)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٨١ رقم: ٩٧.

(٢) انظر: شرح الزرقاني، للموطأ: ٤/٥٤٩، سبل السلام، للصنعاني: ٤/ ٢٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٢/ ٢٢٠.

(٤) تيسير الكريم، الرحمن للسعدي: ٦٨١.

(٥) كشف الخفاء، للعجلوني: ١/٢٤٥ رقم: ٦٤١.

(٦) البخاري، فتح ٨/٢٠٢ رقم: ٣٦٨٤، مسلم: ١/٦٩٠ رقم: ٩٩٣ واللفظ له.

(٧) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٣٣، ٢٣٤ رقم: ٢٤١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٩٨٦ رقم: ٥٦٤٦.

(٨) البخاري، : ٣/٣٥٧ رقم: ١٤٤٢، مسلم: ١/٧٠٠ رقم: ١٠١٠.

(٩) الحرة: أرض بها حجارة سود كثيرة، وانظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٧/ ٢.

(١٠) الشرجة: مسيل الماء إلى الأرض السهلة، وانظر: تاج العروس، للزبيدي: ٣/ ٤١٣.

(١١) المسحاة: مجرفة من حديد، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٤/٣٢٨.

قال: أما إذ قلتَ هذا؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه» وفي رواية: «وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل»(١).

وفي المقابل جاءت نصوص عديدة ترد على فئام من الخلق ـ ممن رق دينهم أو ثخنت أفهامهم ـ ظنوا أن الصدقة منقصة للمال، جالبة للفقر، مسببة للضيعة، فأبانت أن الصدقة لا تنقص مال العبد، وأن شحه به هو سبب حرمان البركة وتضييق الرزق وإهلاك المال وعدم نمائه، ومن هذه النصوص قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»(٢)، وقوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة...»(٣)، وقوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ حين قالت له: ما لي مال إلا ما أدخل عليَّ الزبير فقال لها: «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»(٤).

والتجربة المحسوسة تثبت أن «المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة»(٥)، وأن رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته؛ فمن أكثر أُكثر له، ومن أقل أُقل له، ومن أمسك أُمسِك عليه(٦)، وقد نص غير واحد من العارفين أن ذلك مجرب محسوس(٧)، ومن شواهد ذلك قصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاتها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطيه إياه! قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ـ ما كان يهدي لنا ـ شاة وكفَّنها(٨)، فدعتني فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك»(٩).

والقضية مرتبطة بالإيمان ومتعلقة باليقين، والأمر كما قال الحسن البصري: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية»(١٠).

٦ ـ أنها وقاية من العذاب وسبيل لدخول الجنة:

الصدقة والإنفاق في سبل الخير فدية للعبد من العذاب، وتخليص له وفكاك من العقاب، ومثلها ـ كما في الحديث ـ: «كمثل رجل أسره عدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير؛ ففدى نفسه منهم»(١١)، وقد كثرت النصوص المبينة بأن الصدقة ستر للعبد وحجاب بينه وبين العذاب، ومن هذه النصوص: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في إثبات نعيم القبر وعذابه والذي تضمن إخباره ﷺ بأن الصدقة وأعمال البر تدفع عن صاحبها عذاب القبر؛ إذ قال ﷺ: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولُّون عنه؛ فإن كان مؤمناً

---

(١) مسلم: ٣/٢٢٨٨ رقم: ٢٩٨٤.

(٢) مسلم: ٣/٢٠٠١ رقم: ٢٥٨٨.

(٣) جامع الترمذي: ٤ / ٥٦٢ رقم: ٢٣٢٥، وقال: (حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١ / ٩ رقم: ١٤.

(٤) البخاري، فتح ٥/٢٥٧، رقم: ٢٥٩١.

(٥) جزء من حديث مرفوع عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند البيهقي في شعب الإيمان: ٧/١٩١ رقم: ٩٩٥٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٣٩٤ رقم: ١٩٥٢.

(٦) انظر: روح المعاني، للآلوسي: ٢٢/١٥٠.

(٧) انظر على سبيل المثال: سبل السلام، للصنعاني: ٤/٢٠٨.

(٨) أي غطاها بأقراص ورغف، انظر: النهاية، لابن الأثير: ٤/١٩٣.

(٩) الموطأ، لمالك: ٢/٩٩٧.

(١٠) روضة العقلاء، لابن حبان: ١٩٨.

(١١) جامع الترمذي: ٥/١٤٨ رقم: ٢٨٦٣ وقال: (حسن صحيح غريب)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٣٥٤ رقم: ١٧٢٤.

كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَلِ رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فيقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى من قِبَل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبَلي مدخل... »[1].

ومنها: الأحاديث التي تضمنت التهديد والوعيد لأصحاب الثراء كقوله ﷺ: «هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه -، وقليل ما هم»[2]، وفي رواية: «ويل للمكثرين...»[3]، ومنها: قوله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو»[4]، وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وفيه قوله ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»[5]، قال ابن حجر في شرحه: «وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفِّر الذنوب بين المخلوقين»[6] وقال الشوكاني في ثنايا تعداده لفوائد الحديث: «ومنها: أن الصدقة من دوافع العذاب؛ لأنه علل بأنهن أكثر أهل النار لما يقع منهن من كفران النعم وغير ذلك»[7].

وقد كثر حض النبي ﷺ أمته على اتخاذ أحدهم الصدقة - مهما قلَّت - حجاباً بينه وبين النار فقال ﷺ في حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه -: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[8]، وفي رواية: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»[9]، وقال ﷺ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشق تمرة»[10]، وقال ﷺ: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة؛ فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»[11].

ولا يقتصر أثر الصدقة والإنفاق على دفع حر القبور والخلاص من لهيب جهنم بل إنها من أسباب دفع الخوف والحزن عن العبد وتحصيله للأمن، ومن السبل العظيمة لدخوله الجنة، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] والذي يعم جميع النفقات في طاعة الله وطرق مرضاته - سواء أكانت للفقراء والمعوزين أم في سبيل رفعة الدين ونصرته - ويشمل جميع الأوقات والحالات[12].

وقوله - عز وجل -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

---

(١) المستدرك، للحاكم: ١/٣٧٩ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان: ٧/٣٨٠، ٣٨١ رقم: ٣١١٣ وحسنه المحقق.

(٢) المسند، لأحمد: ١٣/٤٤٧ رقم: ٨٠٨٥، وقال المحقق: (إسناده صحيح).

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/١٣٨٣ رقم: ٤١٢٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/١١٩٩ رقم: ٧١٣٧.

(٤) المسند، لأحمد: ٢٨/٢٤١ رقم: ١٧٠٢٠ وقال المحقق: (حديث صحيح).

(٥) البخاري، فتح: ١/٤٨٥ رقم: ٣٠٤.

(٦) فتح الباري، لابن حجر: ١/٤٨٥.

(٧) نيل الأوطار، للشوكاني: ٦/١٢٤.

(٨) البخاري، فتح: ١٣/٤٨٢ رقم: ٧٥١٢، ومسلم: ١/٧٠٣ رقم: ١٠١٦.

(٩) مسلم: ١/٧٠٣ رقم: ١٠١٦.

(١٠) المعجم الكبير، للطبراني: ١٨/٣٠٣ رقم: ٧٧٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٩٤ رقم: ١٥٣.

(١١) المسند، لأحمد: ٦/٧٩، وحسنه المنذري والألباني كما في صحيح الترغيب: ٣٦٢.

(١٢) انظر: لباب التأويل، للخازن: ١/٢٠٨، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ١١٦، في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٣١٦.

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] والذي جلّى الله فيه صفة أهل الجنة، وأبان بأن من أجلّ سماتهم التي تؤهلهم لدخول الجنة الإنفاق في مراضيه سبحانه والإحسان إلى خلقه بأنواع البر(١).

ومن النصوص النبوية الدالة على أن الصدقة من أسباب دخول الجنة قوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز (٢) ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»(٣).

ولا يتوقف أثر الصدقة على هذا فحسب بل الأمر أعظم جداً من ذلك؛ إذ يبادر خزنة كل باب من أبواب الجنة: لدعوة المتصدق كل يريده أن يدخل من قِبَله، وللجنة باب يقال له: باب الصدقة، يدخل منه المتصدقون؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين(٤) في سبيل الله(٥) نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير - إلى أن قال - ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة..»(٦) وقد أبان العيني أن المراد بالصدقة هنا: النافلة؛ لأن الزكاة الواجبة لا بد منها لجميع من وجبت عليه من المسلمين، ومن ترك شيئاً منها فيخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم(٧).

٧ـ أنها دليل صدق الإيمان وقوة اليقين وحسن الظن برب العالمين:

المال ميال بالقلوب عن الله؛ لأن النفوس جبلت على حبه والشح به، فإذا سمحت النفس بالتصدق به وإنفاقه في مرضاة الله - عز وجل - كان ذلك برهاناً على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود الله ووعيده، وعظيم محبته له؛ إذ قدم رضاه - سبحانه - على المال الذي فطر على حبه(٨)، ويدل على هذا الأمر قوله ﷺ: «والصدقة برهان»(٩)، ومعناه: أنها دليل على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه(١٠)، قال المناوي: «(والصدقة برهان) حجة جلية على إيمان صاحبها أو أنه على الهدى أو الفلاح، أو لكون الصدقة تنجيه عند الحساب كما تنجي الحجة عند المحاكمة، وقال القزويني: الصدقة برهان على جزم المتصدق بوجود الآخرة وما تتضمنه من المجازاة؛ لأن المال محبوب للنفوس المتصفة بالخواص الطبيعية؛ فلا يقدر على بذل المال ما لم يصدق بانتفاعها فيما بعد بثمرات ما يبذله، وفوزها بالعوض وحصول السلامة من ضرر متوقع بسبب فعل قُرِنت به عقوبة»(١١).

والصدقة بطيب نفس تورث القلب حلاوة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ١١٩.

(٢) المنيحة عند العرب العطية، وهي على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه الشيء بمنافعه صلة فتكون له، وهي الهبة، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة أو نخلة ينتفع بها زمناً ثم يردها، انظر: فتح الباري لابن حجر: ٥/٢٨٨، عون المعبود للعظيم آبادي: ٥/ ٩٧.

(٣) البخاري، فتح: ٥/٢٨٧ رقم: ٢٦٣١.

(٤) المراد بالزوجين: إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد. انظر: فتح الباري لابن حجر: ٤/١٣٤.

(٥) المراد بقوله: (في سبيل الله): عموم الإنفاق في وجوه الخير، وقيل: مخصوص بالجهاد، والأول أصح وأظهر، انظر: شرح مسلم للنووي: ٧/١٦٢، فتح الباري لابن حجر: ٧/٣٤.

(٦) البخاري، فتح ٤/ ١٣٣ رقم: ١٨٩٧، مسلم: ١/٧١١ رقم: ١٠٣٧.

(٧) انظر: عمدة القاري، للعيني: ١٠/٢٦٤.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٨/٢٤٩، دليل الفالحين، لابن علان: ١/ ١٤٢.

(٩) مسلم: ١/ ٢٠٣ رقم: ٢٢٣.

(١٠) انظر: شرح مسلم، للنووي: ٣/١٢٧، جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ٢/ ٢٣ - ٢٤.

(١١) فيض القدير، للمناوي: ٤/٢٩١.

الإيمان، وتذيق العبد طعمه، وتعمق يقينه بالله عز وجل، وتخلص توكله عليه، وتوجب ثقته بالله وحسن الظن به[1]؛ لأن من استتار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه - عز وجل - عظم رجاؤه وهانت الدنيا في عينه فأنفق ولم يخف الإقلال، ويشهد لصحة ذلك قول أعظم الموقنين وإمام المتوكلين وأجلّ من أحسن الظن برب العالمين لبلال - رضي الله عنه - حين ادخر شيئاً ولم ينفقه: «أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[2]، قال القرطبي بعد أن أبان بأن عدم الإنفاق وترك الصدقة خوف الإقلال من سوء الظن بالله: «فإن كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الإقلال؛ لأنه يخلف عليه كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]»[3].

٨ - تخليتها النفس من الرذائل وتحليتها لها بالفضائل:

تطهر الصدقة النفس من الرذائل وتنقيها من الآفات، وتقيها من كثير من دواعي الشيطان ورجسه، ومن ذلك: أنها تبعد العبد عن صفة البخل وتخلصه من داء الشح الذي أخبر - سبحانه - بأن الوقاية منه سبب للفلاح وذلك في قوله - عز وجل -: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ويُذهب الله بها داء العجب بالنفس والكبر والخيلاء على الآخرين والفخر عليهم بغير حق، كما أنها من مسببات عدم حب الذات حباً مذموماً، ومن دواعي نبذ الأثرة والأنانية، وعدم الوقوع في شيء من عبودية المال وتقديسه وهو ما دعا على فاعله النبي ﷺ بالتعاسة والانتكاسة فقال: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة... تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»[4].

وفي المقابل فالصدقة تهذب الأخلاق وتزكي النفس وتربي الروح على معالي الأخلاق وفضائلها؛ إذ فيها تدريب على الجود والكرم، وتعويد على البذل والتضحية وإيثار الآخرين، وفيها سمو بالعبد وانتصار له على نفسه الأمارة بالسوء، وإلجام لشيطانه، وإعلاء لهمته؛ إذ تُعلق العبد بربه وتربطه بالدار الآخرة، وتزهده بالدنيا؛ وتضعف تَعلُّق قلبه بها.

ويدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣][5]؛ إذ في قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ إشارة إلى مقام التخلية من الرذائل والذنوب والأخلاق السيئة، وفي قوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات والأعمال الصالحة[6].

كما يدل لذلك أيضاً قوله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢] والذي أبان الله فيه بأن الصدقة سبب لنيل الخيرية وطهرة للنفس من الأدناس وتخلية لها من الرذائل[7].

ولو لم يكن في الصدقة إلا أنها تعلق النفس بالقربات، وتشغلها بالطاعات، كما قال بعض

---

(١) انظر: عدة الصابرين، لابن القيم: ٢٥٣.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني: ٣/٨٦ رقم: ٢٥٧٢، مسند أبي يعلى: ١٠ / ٤٢٩ رقم: ٦٠٤٠ وجود إسناده المحقق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١/ ٢٥٣.

(٤) البخاري، فتح: ٦/٩٥ رقم: ٢٨٨٧.

(٥) قد اختلف في المراد بالصدقة في الآية: أهي الزكاة الواجبة أم غيرها؟ والظاهر أن المراد بها كما قال الحسن البصري: الصدقة غير المفروضة، بدلالة نزولها في الطائفة التي تخلفت عن الغزو فبذلوا أموالهم كمالاً في توبتهم، لتكون جارية في حقهم مجرى الكفارة، فأمر الله رسوله ﷺ بأخذها منهم تطهيراً لهم وتزكية، انظر: جامع البيان، للطبري: ١٤/٤٥٤، تفسير الرازي: ١٦/ ١٨١.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١١/٢٣، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٣٥٠.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٨/ ٤٩، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٧٨٥.

السلف: «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها»[1] - والصدقة من أعظم الحسنات وأجلِّها - لكفى بذلك فضلاً.

٩- أنها بوابة لسائر أعمال البر:

جعل الله الصدقة والإنفاق في مرضاته مفتاحاً للبر[2] وداعية للعبد إلى سائر أنواعه؛ وذلك لأن المال من أعظم محبوبات النفس؛ فمن قدم محبوب الله على ما يحب فأعطى ماله المحتاجين ونصر به الدين وفقه الله لأعمال صالحة وأخلاق فاضلة لا تحصل له بدون ذلك، وآتاه أسباب التيسير بحيث يتهيأ له القيام ببقية أعمال البر فلا يستعصي شيء منها عليه، يدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧] قال السعدي في تفسيره: «﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له لذلك»[3].

وقد أوضح الله هذا الأمر وجلاَّه في قوله - عز وجل -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي: لن تنالوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تدركوا شأوه، ولن تلحقوا بزمرة الأبرار حتى تنفقوا مما تَهْوَوْن من أموالكم ومن أعجبها إلى أنفسكم[4].

وقد فقه الصحابة - رضي الله عنهم - هذا التوجيه الرباني فحرصوا على نيل البر وكمال الخير بالنزول عما يحبون وببذل الطيب من المال نصرة للدين وسداً لحاجة المساكين، سخية به نفوسهم طمعاً في ثواب الله وإحسانه[5]، فكان الواحد منهم إذا ازداد حبه لشيء بذله لله رجاء نيل البر؛ فهذا أبو طلحة - رضي الله عنه - كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه حديقة يقال لها: بيرحاء، فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن الله يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت... »[6]، وقال زيد بن حارثة لما نزلت هذه الآية: «اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه»، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلها الله منك»[7]، «وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص، فدعا بها عمر بن الخطاب فأعجبته فقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها»[8].

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «تلوت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئاً

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ١٤٦.

(٢) البر: جماع الخير والطريق الموصل إلى الجنة. انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ١١١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٨٥٧.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: ٢/٥٧، شرح الموطأ، للزرقاني: ٤/٥٣٨.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٤٢٤.

(٦) البخاري، فتح: ٥/٤٥٤ رقم: ٢٧٥٨، مسلم: ٦٩٣ رقم: ٩٩٨ واللفظ له.

(٧) تفسير عبد الرزاق: ١/١٢٦، جامع البيان، للطبري: ٦/٥٩٢ رقم: ٧٣٩٨، تفسير عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي: ٢/٢٦١.

(٨) جامع البيان، للطبري: ٦/٥٨٨ رقم: ٧٣٩٢، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/١٣٣.

أحب إليَّ من جاريتي رضية فقلت : هي حرة لوجه الله »[1]، ومرة كان راكباً على راحلة عظيمة فأعجبته فأناخها وجعلها لله تعالى [2].

وعلى هذا الدرب سار كثير من سلف الأمة وصالحيها؛ فهذا الربيع بن خثيم كان إذا جاءه السائل يقول لأم ولده : يا فلانة! أعطي السائل سُكَّراً؛ فإن الربيع يحب السُّكَّر. قال سفيان : يتأول قوله - عز وجل - : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [3]، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالاً من سُكَّر ويتصدق بها، فقيل له : هلاَّ تصدقت بقيمتها؟ فقال : لأن السُّكَّر أحب إليَّ؛ فأردت أن أنفق مما أحب [4].

وكان لزوجة عمر بن عبد العزيز جارية بارعة الجمال، وكان عمر راغباً فيها، وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطه إياها، ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه، فقالت : قد وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك، قال : من أين ملكتِها، قالت : جئت بها من بيت أبي عبد الملك، ففتش عن كيفية تملكه إياها، فقيل : إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أُخذت من تركته، ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال، ثم توجه إلى الجارية - وكان يهواها هوى شديداً - فقال : أنت حرة لوجه الله تعالى[5].

فهذا هدي السلف؛ فهل من متأس بهم وسائر على نهجهم ؟!

١٠ - إدراك المتصدق أجر العامل:

ما أسعد المتصدقين! إذ دلت النصوص الثابتة على أن صاحب المال يدرك بتصدقه وإنفاقه من ثواب عمل العامل بمقدار ما أعانه عليه حتى يكون له مثل أجره متى استقل بمؤونة العمل من غير أن ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً، ومن هذه النصوص الدالة على ذلك قوله ﷺ : « من فطَّر صائماً كتب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء »[6]، وقوله ﷺ : « من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا »[7]، ومعناه : أنه مثله في الأجر ما دام قد أتم تجهيزه أو قام بكفاية من يخلفه بعده[8]، وجاء الحديث عند البيهقي بلفظ : « من جهز حاجاً أو جهز غازياً أو خلفه في أهله أو فطَّر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً »[9].

والأمر غير مقصور على هذه العبادات بل شامل لجميع الطاعات؛ فمن أعان عليها كان له مثل أجر فاعلها[10].

فيا من يستطيع أن يجاهد وهو قاعد، ويصوم وهو آكل شارب، ويعلِّم القرآن، وينشر الخير، ويدعو إلى الله في كل مكان وهو في بيته لم يباشر من ذلك شيئاً لا تَحْرم نفسك الأجر ولا تمنعها الثواب، واعمل بوصية رسول الله ﷺ لك حين قال : « اغتنم خمساً قبل خمس - وذكر منها - : وغناك قبل فقرك »[11]، واعلم بأن المال زائل والعمل باقٍ؛ إذ لم يخلد أحد مع ماله، ولم يدخل مالُ القبر مع صاحبه، بل هو وديعة لديك، ولا بد من أخذها منك، فما بالك تغفل عن ذلك؟!

---

(١) المستدرك، للحاكم : ٣/ ٥٦٨.

(٢) انظر : الحلية، للأصفهاني : ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي : ٤/ ١٣٣.

(٤) انظر : المصدر السابق : ٤/ ١٣٣.

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم، لأبي السعود : ٤/ ,٥٨

(٦) المسند، لأحمد : ٢٨/٢٦١ رقم : ١٧٠٣٣، صحيح ابن حبان : ٨/٢١٦ رقم : ٣٤٢٩ واللفظ له، وهو حديث صحيح.

(٧) البخاري، فتح : ٦/٥٨ رقم ٢٨٤٣، مسلم : ٢/١٥٠٦ رقم : ١٨٩٥.

(٨) انظر : فتح الباري، لابن حجر : ٦/ ٥٩.

(٩) شعب الإيمان، للبيهقي : ٣/٤٨٠ رقم : ٤١٢١، ورجاله ثقات.

(١٠) انظر : فيض القدير، للمناوي : ٦/١١٤.

(١١) المستدرك، للحاكم : ٤/٣٠٦، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ١/٢٤٣ رقم : ١٠٧٧.

مسائل في المزاح

محمد بن عبد الله السحيم

لـمَّا كان المزاح سُنَّة مشروعة، وخُلُقاً يحبه كثيرٌ من الناس، وأداةً يستميل بها الداعية قلوب المدعوين، ومتنفساً ينفس الشخص بها عن نفسه؛ صار لزاماً على صاحبه أن يتبصر بآدابه ويلتزم بضـوابطه؛ حتى يأتي به على وجهـه ويتحقق به مقـصوده، ولا يكون ذلك سبباً لبغضه أو استهجانه أو النفور عنه.

ومن هذا المنطلق كـانت هذه المقـالة مـحـاولة لتـحـديد بعض مـعـالم هذا الخلق ـ أعنـي المزاح ـ وبيان شيء من آدابه.

وقد جعلتها على شكل مسـائل؛ لتكون أجود في الترتيب، وأكمل في الفائدة، وأيسـر في التصور.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها عملاً صالحاً متقبلاً.

المسألة الأولى: سبب تسميته بهذا الاسم:

سمي المزاح مزاحاً؛ لأنه زاح عن الحق. هكذا قال ابن حبان[١]، وذكر ذلك البغوي[٢].

المسألة الثانية: حكم المزاح:

المزاح مشروع دل على ذلك سنة رسول الله ﷺ؛ فمن ذلك ما يلي:

١ - عن أبي هريرة ـ رضـي الله عنه ـ قال: قـالوا: يا رسول الله! إنك لتداعـبنا! قال: «إني لا أقول إلا حقاً» وفي رواية: «إني لأداعبكم»[٣].

٢ - وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: يا زوينب! يا زوينب! ـ مراراً ـ»[٤].

٣ - وقـال أنس بن مـالك ـ رضـي الله عنه ـ: «إن كـان النبي ﷺ ليـخـالطنا حتـى يقول

---

(١) روضة العقلاء، ص ٧٨.

(٢) شرح السنة (١٣/ ١٨٤).

(٣) رواه الترمـذي (١٩٩١)، والبـغـوي في شـرح السنة (٢٦٠٢) وحـسناه، وصـحـحـه الألبـاني في صـحـيح الجـامع (٢٤٩٤) ولفظه: «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً».

(٤) رواه الضياء في المختارة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٥).

لأخ لي صغير: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»(١).

٤ - وكان النبي ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه فيبهش إليه. أي: يسرع إليه بعد أن أعجب به(٢).

٥ - وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «إن زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه» قال: وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميماً، فأتاه النبي ﷺ يوماً، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟»، فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً، فقال الرسول ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد» أو قال: «لكن عند الله أنت غال»(٣).

والخلاصة:

أن المزح سنة. قيل لسفيان بن عيينة: «المزاح هجنة؟ قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يُحْسِنه ويضعه مواضعه»(٤).

وعلى هذا جرى عمل كثير من السلف. قال ابن مسعود: «خالط الناسَ، ودينَك لا تَكْلِمَنَّه»(٥). وكان عمر يقول: «إنه ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي؛ فإذا بُغِيَ منه وُجِدَ رجلاً»(٦). وقال ثابت بن عبيد: «كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلاً من الرجال»(٧). وروي عن ابن عباس أنه قال لقوم قعود لديه: «أحمضوا(*)»، أي: لما خاف عليهم الإملال أحب أن يُجِمَّهم فأمرهم بالأخذ في مُلَحِ الحكايات»(٨). وقال علي بن أبي طالب: «أجِمُّوا هذه القلوب؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان»(٩). وعن أبي الدرداء قال: «إني أستجِمُّ ببعض الباطل(**) ليكون أنشط لي في الحق»(١٠). وقال ربيعة الرأي: «المروءة ست خصال: ثلاثة في الحضر، وثلاثة في السفر؛ ففي الحضر: تلاوة القرآن، وعمارة مساجد الله، واتخاذ القرى في الله. والتي في السفر: بذل الزاد، وحسن الخلق، وكثرة المزاح في غير معصية»(١١). وكان ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه، وإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك(١٢). وقال ابن عباس: «المزاح بما يحسن مباح، وقد مزح رسول الله ﷺ فلم يقل إلا حقاً»(١٣). وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الناس في سجن ما لم يمزحوا»(١٤). وقال ابن حبان: «الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبيس»(١٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٩).

(٢) رواه البغوي وحسنه محقق شرح السنة (٣٦٠٢).

(٣) رواه البغوي في شرح السنة (٣٦٠٤) وصحح المحقق إسناده، ونقل عن الحافظ تصحيحه في الإصابة.

(٤) شرح السنة (١٣/١٨٤). (٥) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به (١٢/١٥٧) فتح.

(*) أحمضوا: قال ابن منظور: أحمض القوم إحماضاً: إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام. (لسان العرب، مادة حمض).

(٦، ٧، ٨) شرح السنة (١٣/١٨٣).

(٩، ١٠، ١١) شرح السنة (١٣/١٨٤).

(**) الباطل هنا ليس الذي هو ضد الحق ولكنه الهزل. قال ابن منظور: بَطِلَ في حديثه بطالة، وأبطل: هَزَل. (لسان العرب، مادة بطل).

(١٢) بهجة المجالس (٢/٥٦٨). (١٣، ١٤) بهجة المجالس (٢/٥٦٧).

(١٥) روضة العقلاء، ص ٧٦.

وهنا مسألة:

نقل عن بعض السلف كراهة المزاح ومنعه، بل روي عن النبي ﷺ: «لا تمارِ أخاك ولا تمازحه»(١).

ونقل عن بعضهم قوله: «لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح». وكان يقال: «لو كان المزاح فحلاً ما ألقح إلا الشر».

وقال جعفر بن محمد: «إياكم والمزاح؛ فإنه يذهب بماء الوجه». وقال إبراهيم النَخْعي: «لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر»(٢). وقال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء»(٣).

فكيف نجمع بين هذا وبين ما سبق تقريره في حكم المزاح؟

والجمع بين ذلك ـ كما قال الحافظ في الفتح ـ: «والجمع بينهما: أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار. والذي يسلم من ذلك هو المباح. فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب»(٤).

المسألة الثالثة: أنواع المزاح:

المزاح نوعان:

١ ـ محمود: وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم»(٥).

٢ ـ مذموم: وضابطه كما قال ابن حبان أيضاً: «الذي يثير العداوة، ويُذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء عليه، ويحقد الشريف به»(٦).

ولكي يكون أكثر وضوحاً؛ فإننا نسرد بعض فوائد المزاح وبعض مخاطره، فنقول:

قال بعضهم: «من فوائد المزاح أنه(٧): يسلي الهم، ويرقع الخَلَّة، ويحيي النفوس، ويميل قلوب الناس إليه». كتب أحدهم إلى صاحب له: «ولنا بعدُ مذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى ولا قذى، يُخرج إلى الأنس من العبوس، وإلى الاسترسال من القطوب، ويلحقنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء والتصنع»(٨).

وكما أن للمزح فوائد فإن له مخاطر، منها(٩):

إفساده المودة، وإيغار الصدور، وإثارة العداوة، وذهاب البهاء، وتجرئة الدنيء، وحقد الشريف، وإحياء الضغينة. وهذا ما حدا مِسعَر بن كِدَام إلى أن ينصح ابنه كداماً قائلاً(١٠):

إني نحلتُك يا كِدَامُ نصيحتي
فاسمع مقال أب عليك شفيقِ
أما المزاحة والمراء فدعهما
خُلقان لا أرضاهما لصديقِ
إني بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاورٍ جاراً ولا لشقيقِ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩٥) وضعف إسناده الحافظ في البلوغ (١٣٠٧).

(٢) انظر جميع ما سبق في بهجة المجالس (٢/٥٦٩ وما بعدها).

(٣) المرجع السابق (٢/٥٦٩).

(٤) فتح الباري (١٢/١٥٨).

(٥، ٦) روضة العقلاء، ص ٧٧.

(٧) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٧.

(٨) عيون الأخبار (١/٣٧٤).

(٩، ١٠) روضة العقلاء، ص ٧٧، ٧٨.

وقال آخر[١]:

وإياك من حلو المزاح ومره ... ومن أن يراك الناس فيه ممارايا

وإن مراء المرء يُخلِق وجهه ... وإن مزاح المرء يبدي التشانيا

دعاه مزاح أو مراء إلى التي ... بها صار مقليَّ الإخاء وقاليا

المسألة الرابعة: ضوابط المزح المحمود[٢]:

١ - ألاَّ يكون إلا حقاً. كما سبق من قول النبي ﷺ: «إني لا أقول إلا حقاً»[٣].

٢ - ألاَّ يداوم المرء عليه، بحيث يكون صفة لازمة؛ لأن الجِد من سمات العاملين. يقول محمد أحمد الراشد: «وقضايا الإسلام أوفر جداً وأثقل هموماً من أن تدع عصبة من الدعاة تطيل الضحك، وتستجيز المزاح، وتتخذ لها من صاحب خير فيها محور تندُّر تروي قصصه وغرائبه. والابتسامة علامة المؤمن ولسنا ننكرها، والنكتة في ساعتها سائغة، والأريحية أصل في سلوكنا، والألفة والبشاشة ليس العبوس. والقهقهة الأولى لك والثانية نهبها لك أيضاً فإنَّا كرماء، ولكن الثالثة عليك وتشفع حسناتك لها عندنا، وأما الرابعة فيلزمها حد لا شفاعة فيه. وشعار الضحك للضحك باطل، والهزل الهزيل مرفوض في أوساط العمل الإسلامي، وإنما الداعية مفوض بالجد والتجديد»[٤].

٣ - ألاَّ يشتمل المزاح على مساوئ الأخلاق ومعايب الكلام مما ينكره الشرع أو يمجه الطبع.

٤ - اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب.

وقد ذكر الدكتور عادل الشويخ ـ رحمه الله ـ أوقاتاً يجمل فيها المزاح. فقال: أجمل ما قد يكون المزاح بعد صلاة الفجر؛ ودليله ما رواه سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: «أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فيضحكون ويبتسم»[٥]، وقال: «ومن الأوقات ـ أيضاً ـ بعد صلاة العشاء. أي: السمر فيه»[٦]، وقال ـ أيضاً ـ «ويقال: إذا كانت المؤانسة تصح من الأهل[٧] فهي تصح من الإخوان والخلان، ويزداد استحبابها إذا كانت لمصلحة الدعوة في بذل النصح، وتقريب القلوب، وزيادة المودة، وإزالة الكدر، وإيجاد أجواء الحب والتعارف»[٨].

قلت: إن الوقت يخضع لنظر المازح حسب اختلاف الأحوال.

وخلاصة الضوابط في رأيي أن ينظر لها من زاويتين:

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) ينظر: فتح الباري (١٢/١٥٨)، الأذكار للنووي، ص ٤٦٨، مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تقرير ميداني، ص ٢٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٦٧٠).

(٦) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

(٧) ينظر فتح الباري (١/٢٧٨ ـ ٢٨٨).

(٨) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

١ - ذات المزح.

٢ - آثاره.

فمتى كان أحدهما أو كلاهما حراماً فهو حرام وإلا فلا.

وهذه فائدة ساقها لنا الإمام النووي في المزاح فقال: «المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار. فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله فإنه كان يفعله؛ في نادر من الأحوال لمصلحة، لتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا مانع منه مطلقاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمِدْ ما نقلناه عن العلماء وحققناه؛ فإنه مما يعظُم الاحتياج إليه. والله الموفق»(١).

تنبيه:

مما تجدر الإشارة إليه أنه يوجد ما يغني عن كثير من المزاح إذا أحسن المرء استخدامه، ألا وهو التباسط. وهذا مفيد لمن لم يعطه الله طابع المزح والمرح. ولكن لا تنس أن للتباسط آداباً.

المسألة الخامسة: نقاط متفرقة:

اجعل لك هدفاً في مزاحك حتى يؤتي ثماره.

المزاح كالملح في الطعام فاجعله قدراً، ولكن لا تنس أن بعض الناس لا يأكلون الطعام إذا كان فيه ملح.

قال الشاعر:

أفد طبعك المكدود بالجِدِّ راحة ... يُجمُّ وعلِّله بشيء من المَزحِ

ولكن إذا أعطيته المَزْح فليكن ... بمقدار ما تُعطي الطعام من المِلْحِ

فبعض الناس لا يناسبه المزاح كما نقل الذهبي في سِيَره عن خلف بن سالم: «كنا في مجلس يزيد ابن هارون فمزح مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل. فضرب على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح»(٢).

وبعض الناس قد يجره مزحك معه إلى إيذائك كما قيل: «لا تمازح الغلمان فتهون عليهم أو يجترئوا عليك»(٣). وقيل: «لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الوضيع فيجترئ عليك»(٤).

قال ابن حبان: «من مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقاً؛ لأن كل شيء يجب ألا يسلك به غير مسلكه ولا يظهر إلا عند أهله. على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العامة، كما أكره تركه عند حضور الأشكال»(٥).

قال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين، ويلبس لهم لباسين مختلفين: فطبقة من العامة يلبس لها لباس انقباض وانحجاز وتحفظ في كل كلمة وخطوة، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد، ويلبس لباس الأنسة واللطفة والبذلة والمفاوضة، كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السر ووفاء بالإخاء»(٦).

---

(١) الأذكار، ص ٤٦٨.

(٣، ٤) روضة العقلاء، ص ٧٧.

(٥) روضة العقلاء، ص ٨٠.

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/٣٧١).

(٦) الأدب الصغير، ص ٤١.

قال الدكتور عادل الشويخ: «ألاَّ يكون المزح إلا مع الأقران؛ لأن المزاح مع الأعلى يؤذيه، ومع الأقل يؤدي إلى الجرأة على المازح، وكذلك ينبغي البعد عن ممازحة الأعداء لما يقود إلى مفسدة تؤذي الداعية في دينه ودنياه»[1].

فحاول أن تدرس شخصية من أمامك: هل هو مناسب أم لا؟ ولعل هذا هو هدي النبي ﷺ، فلم يكن يمازح كل أصحابه.

- لعل من المناسب ألاَّ تمزح مع شخص أول مرة حتى تعرفه.
- إياك والتجريح في المزاح.
- لا تتكلف المزح.
- احذر الأريحية الزائدة مع البعض.
- أشعِرْ من تمازحه أنك تحترمه. وهذا كان هدي النبي ﷺ مع من يمازحه، مثل قوله: «لكن عند الله أنت غال».
- احذر أوقات انفتاح النفس.
- أحسِنِ التصرف مع من يخطئ معك في مزحه حسب ما يناسب المقام: من رد مفحم، أو تجاهل، أو تحديق النظر فيه أو غير ذلك من الأساليب الناجعة.

المسألة السادسة: أسئلة ينبغي مراعاتها عند المزاح:

١ - هل هذا الوقت مناسب؟

٢ - هل هذا الشخص مناسب؟

٣ - هل هذا الكلام أو الفعل «ذات المزح» مناسب؟

٤ - هل هذا المكان مناسب؟

المسألة السابعة: صور من مزح السلف[2]:

١ - قال غالب القطَّان: أتيت محمد بن سيرين وكان مزَّاحاً فسألته عن هشام بن حسان، فقال: تُوفي البارحة أما شعرت؟ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فضحك وقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

٢ - قيل لابن سيرين: إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء، فعجب من جهلهم وكان في المسجد فتمثل:

نُبِّئتُ أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

فقام واستقبل القبلة وكبر مفتتحاً صلاته.

٣ - ودخل رجل على الشَّعبي ومعه في البيت امرأة، فقال: أيكم الشعبي؟ فقال الشعبي: هذه.

٤ - وسُئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف. قال: فما تقول في الذبان؟ قال: إن اشتهيتَه فكله.

٥ - سأل رجل الشعبي: هل يجوز للمُحْرِم أن يحك بدنه؟ قال: نعم، قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

٦ - وسُئل: عن الرجل يغتسل في البحر إلى أين يتوجه؟ قال: يتوجه إلى ثيابه حتى لا تسرق.

٧ - ودخل يوماً الحَمَّام فوجد صديقاً له متجرداً فأغمض عينيه، فقال له صديقه: منذ متى عميت؟ فقال له الشعبي: منذ أن هتك الله سترك.

---

(١) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

(٢) انظر: عيون الأخبار (٢/٢٦٤ وما بعدها)، بهجة المجالس (٢/٥٥٦ وما بعدها).

حتى نستفيد من التخصصات الإنسانية

محمد بن عبد الله الدويش

كان الحديث في المقال السابق حول أهمية الاستفادة من التخصصات الإنسانية والاعتناء بها، ونواصل الحديث في هذه المقالة عن هذا الموضوع بالإشارة إلى بعض مجالات الاهتمام بالدراسات الإنسانية والإفادة منها.

فمن هذه المجالات:

أولاً: توثيق الصلة مع المتخصصين في هذه التخصصات ممن يحملون الغيرة الإسلامية، والسعي لتنظيم أعمال وبرامج علمية جماعية مشتركة مع أمثال هؤلاء، وهذا النوع من التواصل والتعاون لا يمكن أن يحقق ثمرته ما لم ينطلق أصحابه فيه من فضاء يتجاوز الحدود الحزبية، والخطوات التصنيفية.

ثانياً: الاستفادة من النتاج المتاح في هذا الميدان، والمتمثل في الرسائل الجامعية، والدراسات المنشورة في الدوريات العلمية، وبحوث المؤتمرات واللقاءات العلمية وأعمالها، ويمكن أن يتسع مدى الاستفادة من هذا النتاج باعتناء طائفة من المهتمين بفهرسة هذه المواد المهمة وتصنيفها

ثالثاً: كثير من المتخصصين في الدراسات الإنسانية حصلوا على شهاداتهم العلمية من جامعات غربية، وتناولت رسائلهم العلمية دراسات ميدانية اهتمت بمجتمعات المسلمين، وكثير منها يحوي نتائج في غاية الأهمية، ولا أقل من أن يقوم كل منهم بترجمة نتاجه وطباعته ليكون قريب التناول من المهتمين، وإن كان المنتظر منهم أكثر من ذلك.

رابعاً: تنظيم برامج تأهيلية ودورات فيما يحتاجه الدعاة من هذه التخصصات، فلا يسوغ بحال أن

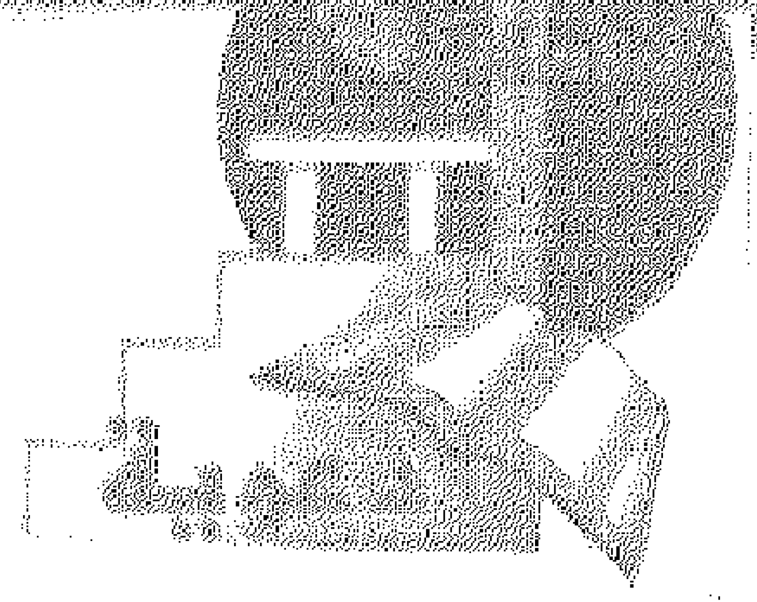
نكون في عصر يحترم المنهج العلمي، ويعتني بالتخصص، فيكوِّن طائفة من المربين والمصلحين نظرتهم للإنسان والمجتمعات والمتغيرات التي تؤثر فيها ـ من خلال آراء واقتناعات شخصية، وأن يتحدثوا في هذا الباب قيماً لا يحسنون ولا يجيدون؟

إن الدعاة اليوم على اختلاف ميادين أعمالهم بحاجة إلى قدر من الثقافة العلمية في الظاهرة الإنسانية، ومن ثَمَّ فتنظيم هذه البرامج والدورات، وإسهام المختصين في ذلك أمر لا يقل أهمية عن الدورات الإدارية والقيادية التي بدأ الشعور بأهميتها والتفاعل معها يتنامى، وبدأت تشهد إقبالاً واهتماماً واضحاً.

خامساً: وهو أهم هذه المجالات: توجيه طائفة ممن يملك القدرات العقلية والعلمية، ويحمل الحس والغيرة الدعوية إلى التخصص في هذه الميادين والأنواع ودراستها؛ فهي أوْلى بكثير من التخصصات التي غاية ما فيها أن تشغل أوقات أصحابها، ثم تهيئهم لفرص عمل ووجاهة اجتماعية ليتجهوا بعد ذلك للاعتناء بغير تخصصاتهم.

إننا نحتاج اليوم إلى أن يتولى العمل الإعلامي مختصون في الإعلام بدلاً من الأطباء، وبحاجة إلى أن يتولى الجانب الإداري ويهتم به مختصون في الإدارة بدلاً من الحاسب الآلي، وإلى أن يتحدث في الجوانب التربوية المختصون فيها بدلاً من الصيادلة والمهندسين. ونحتاج إلى أن يكون حضورنا الأكاديمي في التخصصات الإنسانية أكثر منه في التخصصات التطبيقية...

ويمكن الاتجاه لهذه التخصصات في الدراسات العليا وبعد الدراسة الجامعية، وهذا يهيئ اتجاه طائفة ممن ملكوا قدراً من النضج والاستقرار، وقدراً من العلم الشرعي حين يكونون خريجي كليات شرعية، مما يعطيهم قدرة أكثر على التأصيل الشرعي لهذه العلوم والتخصصات والإفادة منها.



كيف نتعامل مع المبتدعة؟

سليمان الخضير

كان مما تزامن مع إقبال المسلمين على السُّنَّة وعنايتهم بها - علماً وعملاً - الأخذ بمبدأ كراهة البدعة وأهلها وإنكارها عليهم؛ وفقاً للسنة الإلهية وتبعاً للحكم الشرعي.

غير أنه مما صاحب ذلك عند فئام من الناس قدر من الحماسة يصاحبها قدر من قلة العلم ومعرفة القواعد والمقاصد الشرعية التي تضبط تصرفات المكلفين؛ مما أضعف تقدير المصالح والمفاسد.

وتبعاً لذلك كانت هناك رؤى متضاربة وتصرفات متباينة إزاء المبتدعة أجمل وصفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بوصفه لاختلاف الناس في أخذهم بعقوبة (هجر المبتدع) فقال: «إن أقواماً جعلوا ذلك عاماً، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به [مما] لا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية؛ فلم يهجروا ما أُمروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره... ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً... ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه»(١).

وقد ظن أناس أن (هجر المبتدع) حكم شرعي لازم كملازمة المسببات لأسبابها، وهو بمنزلة الحد أو هو كالبراء. والواقع أن هجر المبتدع - كغيره من عقوبات المبتدعة وأهل المنكرات - من المصالح المرسَلة التي تقدر بقدرها، ويعمل بها حسب الحال.

من هنا رغبت في جمع نظائر في موضوع التعامل مع المبتدعة وترتيبها على شكل فقرات لتكون معالم للمنهج الشرعي في التعامل مع عامة ذوي المخالفات الشرعية، وخاصة المبتدعة(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/٢١٣).

(٢) وقد أكثرت فيها - مع اختصارها - من النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لأمور:

- مشابهة زماننا لزمانه في أمور هذه منها.
- أنه من محققي العلماء الذين يقدمون خلاصات لكلام السلف المتقدمين.
- ما رزقه الله - سبحانه - من قبول وقناعة في أوساط أهل السنة.

أولاً: لا يجوز أن نتدين باتخاذ موقف سلبي من مسلم بسبب أمور وقع فيها إلا بعد أن يغلب على ظننا أنها بدعة أو معصية، من خلال معرفة كون ذلك العمل ـ أو الأعمال ـ بدعة فعلاً أو معصية؛ فإن جملة من الخلافات التي تقع بين الناس في المسائل الشرعية يكون سببها قصر النظر في فهم الخلاف المذهبي الفقهي، وفي الوقت ذاته توسيع دائرته ليصبح خلافاً عقدياً أو مخالفات شرعية[1]، أو ربما كانت في أمور دنيوية ليست من الشرع أصلاً.

فينبغي للمسلم أن يتعرف إلى مفهوم البدعة وماذا يشمل؛ فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولتقريب مفهوم البدعة يمكن أن تعرَّف بأنها: كل ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، مثل:

- ما تخلف فيه واحد من شروط الاتباع، وهي أن يوافق السنة في زمانها ومكانها وسببها وقدرها وصفتها وعددها، كتخصيص يوم للاجتماع فيه على عبادة، كما خص الشارع أيام الأعياد.
- أو ما هو مخالف للقرآن أو السنة عند أهل العلم، كبدعة الخوارج والرافضة.
- أو المداومة على خلاف ما داوم عليه النبي ﷺ من العبادات كمداومة الاجتماع لصلاة تطوع مثل قيام الليل أو قراءة قرآن أو ذكر.
- ومن الابتداع جعل الامتناع عن المباحات ديناً.

ومن المهم استحضاره ـ أيضاً ـ: أن البدع ليست بدرجة واحدة، بل تتفاوت بقدر ما ارتبط بها من مفسدة، كما قال الشاطبي: «كل بدعة عظيمة، بالإضافة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها ـ وإن عظمت لما ذكرناه ـ فإذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبها: فيكون منها صغار وكبار؛ إما باعتبار أن بعضها أشد عقاباً من بعض؛ فالأشد عقاباً أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوات المطلوب في المفسدة»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الطوائف المنتسبة إلى مبتدعين في أصول الدين على درجات: فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون قد خالف السنة في أمور دقيقة»[3].

ثانياً: معالم في التعامل مع أهل البدع:

المَعْلَم الأول: يراعى في التعامل مع أهل البدع أن يكون قائماً على أصلين: الإخلاص، والمتابعة.

وذلك أن الحكم ببدعة ما واتخاذ موقف من أهلها مسائل شرعية نحن متعبدون بها، فيشترط لها ما يشترط لسائر العبادات، ومعنى الأخذ بالإخلاص: أنه ينبغي ألا يكون الموقف (عقاباً أو تألفاً) إزاء أحد من المبتدعة تشهياً ولا تشفياً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا[4]، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله

---

(١) ولا أدعي ـ هنا ـ أن كل ما جاء في المذاهب شرعي وفق السنة... ولكن الذي أحمد الله عليه أنه يكاد ألاَّ ينسب لعالم من علماء المذاهب المعتبرة ما يحكم ببدعته الصرفة، والبدع المتفشية في أوساط الناس المنتسبين للمذاهب هي مما جاء بعدهم؛ فألصقت بالمذهب الذي يحمل اسم هذا العالم أو ذاك، وكان أئمة المذاهب من أغير الناس على شرع الله ودينه أن يحدث فيه ما ليس منه، كيف وقد حفلت كتبهم بعبارات اطراح رأيهم لحديث رسول الله ﷺ.

(٢) الاعتصام للشاطبي، ١/٦١. (٣) مجموع الفتاوى، ٣/٣٤٨.

(٤) أي عن الهجر الشرعي.

طاعة لله!»[1]. وقال - رحمه الله - عن الرجل «إذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة... بُيِّن أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله، وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله - تعالى - لا لهوى الشخص مع الإنسان؛ مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهراً للنصح وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه؛ فهذا من عمل الشيطان»[2].

أما متابعة هدي رسول الله ﷺ في التعامل معهم فهو ما سنستوضح معالمه في هذه المقام.

المَعْلَم الثاني: أهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق:

والمبتدع من أولئك الخلق الذين يرحمهم أهل السنة مع يقينهم بكونهم على بدعة يستحقون بها العقوبة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون فيه موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون مع من خرج منها - ولو ظلمهم - كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءاً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق»[3].

وقال: «وإذا نظرت إلى المبتدعة بعين القَدَر - والحَيْرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم -: رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاءاً وما أوتوا زكاءاً، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]»[4].

يمثل هذا الخلق العالي أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - لما رأى سبعين رأساً من رؤوس الخوارج - وقد جُزَّت ونُصِبَتْ على درج دمشق - قال: «سبحان الله! ما يصنع الشيطان ببني آدم؟ كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء، ثم بكى وقال: إنما بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام»[5].

المعلم الثالث: أهل البدع مستوجبون للعقوبة[6]:

وذلك لمخالفتهم أمر الله - تعالى - ونهيه وأمر رسوله ﷺ ونهيه، سواء كانت تلك المخالفة في القلب عن اعتقاد أو كانت من أعمال الجوارح، وهم من جنس مواقعي المنكر ينكر عليهم بالقلب واللسان واليد.

فأما العقوبات المشروعة في حق المبتدع فمنها:

١ - هجرهم[7].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٢١.

(٣) الرد على البكري: (٢٥٧).

(٤) مجموع الفتاوى (الحموية)، ٥/١١٩.

(٥) الاعتصام، للشاطبي، ١/٧١.

(٦) انظر ضوابط إيقاع العقوبة في آخر البحث.

(٧) مجموع الفتاوى، ٢٤/١٧٥.

قال ابن عبد البر في فوائد حديث كعب بن مالك في الذين خلفوا: «وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته، وقطع الكلام عنه»[1].

وقال البَغْوي: «وفيه - أي حديث كعب بن مالك - دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد... وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[2].

ومن الهجر: عدم أخذ العلم عنه، ولا مناكحته، ولا الصلاة خلفه مع وجود إمام غيره؛ فإن كان هو الوالي فإنه يصلي خلفه الصلوات التي لا يمكنه فعلها إلا خلفه كالجمع والأعياد، ولا يعيد[3].

٢ - عدم الاستماع لكلامهم ومجالستهم:

وهو لون من ألوان الهجر، وقد جاء عن أبي زُرعة عن أبيه قال: «لقد رأيت صَبيغ بن عِسْل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحِلَق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزيمةَ أمير المؤمنين»[4].

وقال رجل من أهل الأهواء لأيوب السختياني: أسألك عن كلمة، فولّى أيوب وهو يقول: «لا، ولا نصف كلمة - مرتين يشير بأصبعيه -»[5].

قال شيخ الإسلام: «لا يجوز الاستماع إلى أهل البدع، ولا النظر في كتبهم لِمَن يضره ذلك»[6].

٣ - الإنكار والرد عليهم:

فيجب كشف بدعة المبتدع ولو أدى إلى غِيبته؛ إذ ليس لمعلن البدعة غِيبة[7]، إلا إن كانت البدعة خفية فتدحض بحسب درجة خفائها، ولا يعلن بإنكارها لئلا يكون سبباً في فشو أمرها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب الإنكار على أهل البدع ولو كانت بدعتهم بقصد حسن»[8].

وفي موضع آخر: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين... ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فيفسدون القلوب ابتداءاً»[9].

٤ - حرمانه من بعض الأمور:

كحرمانه من إعطاء الزكاة إن كان فقيراً إلى أن يتوب[10]، كما أنه لا تقبل شهادته، ويحرم من الإمامة في الصلاة كل ذلك لمن يملك منعه وحرمانه.

٥ - العقوبات البدنية:

وقد تصل للقتل لمن يملك ذلك، وأوضح مَنْ يصدق عليه ذلك: الداعيةُ لبدعة المصرُّ عليها، كما جرى للجَعْد وغيلان والجَهْم، وقد تكون العقوبة بما دون القتل[11].

(١) عن تحفة الإخوان: (٤٥).

(٢) شرح السنة، ١/٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٣/٣٤٢، ٣٥٣، ٢٨/٢٠٥.

(٤) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١١٤٠).

(٥) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ٢٩١).

(٦) مجموع الفتاوى: (١٥/٣٣٦).

(٧) مجموع الفتاوى، ٣٥/٤١٤، ١٥/٢٨٦.

(٨) مجموع الفتاوى، ٢٤/٢٩٢.

(٩) المصدر السابق، ٢٨/٢٣١.

(١٠) مجموع الفتاوى، ٢٨/٥٧٢.

(١١) المصدر السابق، ٣٥/٤١٤، مختصر الفتاوى المصرية، ٦٠٢ الاختيارات العلمية، للبعلي، ٥١٩.

المَعْلم الرابع: المقاصد الشرعية في تعامل أهل السنة مع المبتدعة:

هذه المقاصد منها ما يعود إلى الهاجرين القائمين بهذه الوظيفة الشرعية، ومنها ما يعود إلى المهجور، ومنها ما يعود إلى عامة المسلمين، كما أن منها ما روعي فيه جناب الشريعة وحماية السنن من البدع والأهواء.

وعند الحديث عن التعامل مع المبتدعة فالمقصود وجها التعامل: بالعقوبة بأي من صورها، أو بالتأليف المشروع عند الحاجة إليه؛ فإن المغلب في التعامل معهم هو جانب إيقاع العقوبة (بحسبها)، لكن تلك المقاصد تشمل ما لو كان ذلك التعامل تألفاً وتودداً.

المقصد الأول: إصلاحهم وهدايتهم.

فليس المبتدع - في الجملة - شراً من الكفار الذين شرع لنا دعوتهم ودلالتهم على الحق، بل ربما كان فيهم من القرب للحق ما يدعو للاهتمام بهم، وبخاصة إذا كانت البدعة عن جهل وبُعد عن مصادر العلم. وقد ناظر ابن عباس - رضي الله عنه - الخوارج فرجع منهم من أراد الله به الخير والهداية(1).

قال الخطابي: «إن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق»(2).

وتقدم - قريباً - قول شيخ الإسلام: «يريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءاً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق».

المقصد الثاني: حماية الشريعة.

فإن الزجر بالعقوبة منهج شرعي من جنس الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وأداءاً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تقرباً إلى الله - تعالى - بواجب الحب والبغض فيه - سبحانه - كما أن إيقاع العقوبة - بالهجر أو غيره - سبب لبعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم، ومن حماية الشريعة حصر انتشار البدعة الذي يحصل بقمع المبتدع وزجره فيضعف عن نشر بدعته(3).

قال الشاطبي: «إن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

إحداهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير.

الثانية: يكون كالحادي المحرِّض له على انتشار الابتداع في كل شيء»(4).

ولذلك كان موقف عمر - رضي الله عنه - من البدع صارماً؛ فكان حازماً في سد أبواب الابتداع مع توسع البلاد الإسلامية كما تقدم قريباً عن أبي زرعة عن أبيه قال: «لقد رأيت صَبيغ بن عِسْل(5) بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحِلَق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزيمة أمير

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح كما قال ابن تيمية في منهاج السنة، 8/530، وانظر: مجلة البيان العدد 12، ص 22.

(2) معالم السنن، 4.

(3) رسالة هجر المبتدع، للعلامة بكر أبو زيد، نشرت في مجلة البيان على حلقات، والنص في العدد 15، ص 16.

(4) الاعتصام، 1/114.

(5) صبيغ بوزن عظيم مكبراً، وعسل بكسر العين وسكون السين. انظر الإصابة للحافظ ابن حجر، 2/191، رقم الترجمة (4123) القسم الثالث من حرف الصاد.

المؤمنين»(١). و«الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يُحدِث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه»(٢).

المَعْلم الخامس من معالم التعامل مع المبتدعة: العدل معهم:

في الوقت الذي ندين لله - تعالى - ببغض المبتدع واستيقان استحقاقه للعقوبة: نلزم أنفسنا بما ألزمنا الله به من العدل والإنصاف؛ فالعدل منهج شرعي في كل شيء، على أن «العدل المحض في كل شيء - كما يقول شيخ الإسلام -: متعذر علماً وعملاً، ولكن الأمثل فالأمثل»(٣)، وأصل هذا المعلم قول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فمن العدل: ذكر ما لهم من صواب:

وذلك بحسب المقام والحال، واعتبار المصالح والمفاسد؛ والجمع بين ذكر محاسن المبتدع والتحذير منه غير سائغ في كل مقام، وإفراد المحاسن بالذكر مظنة الاغترار، والاقتصار - في جميع الأحوال - على التحذير وذكر المثالب بخس وإجحاف، ولكن حسب ما يقتضيه المقام.

ويمثل هذا المَعْلَم الإمام الذهبي - رحمه الله - في تراجمه، كما في قوله عن الفخر الرازي: «المفسر المتكلم... كان فريد عصره، ومتكلم زمانه، وكان ذا باع طويل في الوعظ، ويبكي كثيراً في وعظه»(٤).

ويتمثله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في حديثه عن الباقلاني الأشعري - مثلاً - فيقول: «مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدين وأهل البدع، حتى إنه لم يكن من المنتسبين إلى ابن كُلاَّب والأشعري أجلُّ منه ولا أحسن كتباً وتصنيفاً»(٥).

ومن العدل: تفاوت الولاء والبراء في حقهم:

الأصل في المسلم الموالاة والمحبة، كما أن الأصل في الكافر المعاداة، غير أن المبتدع والفاسق ينقص من موالاتهما بحسب جريرتهما، ولذلك قد يجتمع في المسلم حب وبغض: فيُحَبُّ لما معه من إيمان، ويُبْغَضُ لما اقترفه من بدعة وعصيان. قال شيخ الإسلام: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»(٦).

ومن العدل: قبول الحق إذا جاء به أحد منهم:

فليس من العدل رد الحق لكون صاحبه على خطأ أو باطل؛ فهما أمران غير متلازمين، وعندما يكون القول حقاً ويراد به باطل يرد ذلك القول (الحق) بسبب غايته لا بسبب قائله، وإنما كان قائله - بما هو عليه من الباطل - قرينة يستفهم منها الغاية التي من أجلها قبل ذلك (الحق).

قال معاذ - رضي الله عنه -: «اقبلوا الحق من كل

---

(١) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١١٤٠)، وأصل الخبر رواه الدارمي في السنن: (ح ١٤٦) من طريقين بألفاظ مختلفة، وابن وضاح في البدع: (٥٦، ٥٧) والآجري في الشريعة: (٧٣)، ونسبه الحافظ في الإصابة لابن الأنباري وصحح إسناده.

(٢) من قول ابن مسعود - رضي الله عنه - انظر شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/٩٩.

(٤) ميزان الاعتدال، ٣/٢٨٠.

(٥) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٠٠.

(٦) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٩، وانظر: ٢٨/٢٢٨.

من جاء به وإن كان كافراً أو قال: فاجراً»، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: «على الحق نور».

وقال شيخ الإسلام: «فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني - فضلاً عن الرافضي - قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»[(١)].

ضوابط في إيقاع العقوبات بأهل البدع:

تلك العقوبات المذكورة في المعلم الثالث - الهجر فما فوقه - لها ضوابط تختلف من حالة لأخرى؛ تبعاً لما يأتي:

أ - اختلاف البدع. ب - أحوال المبتدعة.

ج - أحوال أهل السنة أيضاً.

وذلك «أن الشرع الشريف يزن الواقعات والأحوال الداخلة تحت قاعدته العامة (الولاء والبراء) بميزان قسط، وقسطاس مستقيم يكون وسطاً عدلاً بين جانبي الإفراط والتفريط، فلا تزيد عن حدها ولا تنقص عنه، فتلتقي العقوبة للمبتدع بالهجر مع مقدار بدعته باعتبارات مختلفة، وما يحف بذلك من أحوال تنزل على قاعدة (رعاية المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها).

فـ «هجر المبتدع ليس عاماً في كل حال، ومن كل إنسان، وكل مبتدع. وترك الهجر والإعراض عنه بالكلية تفريط على أي حال... وميزانها للمسلم الذي به تنضبط المشروعية هو: مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر: من الزجر والتأديب ورجوع العامة وتحجيم المبتدع وبدعته، وضمان السنة من شائبة البدعة»[(٢)].

قال شيخ الإسلام في المسلك الحق في الهجر: «فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به، [مما] لا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات.

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره... ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه»[(٣)].

وهناك حالات لا بد من مراعاتها والنظر فيها عند إيقاع العقوبات العملية، فأما إنكار القلب واعتقاد بغض المبتدع فغير داخل في هذه الحالات نحو:

حال المهجور: ففرق بين القوي في الدين وبين الضعيف فيه؛ فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين، كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه، رضي الله عنهم[(٤)].

حال المكان: وفرق كذلك بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر بالبصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، رعاية للمصالح الشرعية[(٥)].

حال الهاجرين: إن مما تنبغي مراعاته كذلك حال الهاجرين أنفسهم؛ في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية إيقاع العقوبات قائمة على أصولها، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر، ولا يحصل به المقصود الشرعي: لم يشرع الهجر، وكان مسلك التأليف أولى خشية زيادة الشر، وهذا كالحال المشروع مع العدو: القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/٣٤٢.

(٢) هجر المبتدع، مجلة البيان، العدد ٢١، ص ٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢١٣، وانظر: منه (٢٠٦).

(٤) انظر: فتح الباري، ٨/١٢٣.

(٥) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٦، ٢٠٧، وانظر: ٢٨/٢١٢، ٢١٣، فهو مهم.

الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح[1].

حال البدعة[2]: فهي - من حيث الكفر بها - إما مُكفِّرة أو غير مكفِّرة. ومن حيث الاستقلال: حقيقية أو إضافية[3]، فليس الموقف من صاحب بدعة غير مكفِّرة كالموقف من ذي البدعة المكفِّرة.

حال المبتدع نفسه: فهو متردد بين أن يكون داعية، أو جاهلاً، أو متأولاً، أو صاحب هوى، أو مستتراً، أو مصراً عليها.

فالداعي للبدعة - كما قال الشاطبي -: «إذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولا سيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب إذا أخذ بالترغيب والترهيب وأدل بشبهته التي تدخل القلوب بزخرفها»[4].

والجاهل والمقلد يقول فيهما شيخ الإسلام: «وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة»[5].

وفي موضع آخر: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا كثروا في هذا الزمان فلقلة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغه ذلك»[6].

والمتأوِّل له شروط: ألا يخالف معلوماً من الدين بالضرورة، وأن يكون تأويله سائغاً له وجه مقبول في اللغة، وأن يُعلم بقرائن الأحوال اجتهاده وأنه لا يقصد معارضة الشريعة.

فأما صاحب الهوى: فيقول الشيخ حافظ الحكمي في حقه: «ولكن هؤلاء منهم من عُلم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه؛ فهذا مقطوع بكفره، وآخرون مغررون ملبَّس عليهم؛ فهؤلاء إنما يُحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها»[7].

وأما المستتر: فكما قال شيخ الإسلام: «لا سبيل لنا عليه؛ لأنه ليس أكثر شراً من المنافقين الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ»[8].

وأما المصر عليها: فيجعل من قبيل الداعي إليها، فيكون داعية معلناً لها، وأما عدم الإصرار فهو من قبيل كونها فلتة، وزلة عالم إذا كانت منه ثم لم يعاودها[9].

وهنا أمر في غاية الأهمية: وهو صورة من صور التعامل مع المبتدعة تختلف عما تقدم؛ فليست عقاباً ولا تألفاً، وإنما أدت الحاجة إليها وهي: ما إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل: الجهاد والتعليم والطب والهندسة ونحوها متعذراً إقامتها إلا بواسطتهم، فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد، ومصلحة التعليم، مع الحذر من البدعة، واتقاء الفتنة به وبها ما أمكن. قال شيخ الإسلام: «فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس»[10].

والله الموفق للصواب، والهادي للرشاد.

---

(1) المصدر السابق.

(2) الاعتصام للشاطبي، 1/167 - 174،

(3) يراد بكونها حقيقية أنه لا أصل لها في الشرع كالاحتفال بالمولد، أما الإضافية فأصلها عبارة شرعية أضيف عليها كيفية غير شرعية كالذكر الجماعي.

(4) الاعتصام، 1/169.

(5) مجموع الفتاوى، 2/336، 337.

(6) المصدر السابق.

(7) معارج القبول، 2/116.

(8) مجموع الفتاوى، 28/205.

(9) الاعتصام، 1/174.

(10) مجموع الفتاوى، 28/212.

فتوى: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية

حـــول كتابـَيْ:

التحذير من فتنة التكفير.. صيحة نذير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء اطلعت على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من بعض الناصحين من استفتاءات مقيدة بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٢٩٢٨) وتاريخ ١٣/٥/١٤٢١هـ. ورقم (٢٩٢٩) وتاريخ ١٣/٥/١٤٢١هـ. بشأن كتابَي: «التحذير من فتنة التكفير» و «صيحة نذير» لجامعهما: علي حسن الحلبي، وأنهما يدعوان إلى مذهب الإرجاء من أن العمل ليس شرط صحة في الإيمان، وينسب ذلك إلى أهل السنة والجماعة، ويبني هذين الكتابين على نقول محرفة عن شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير وغيرهما، رحم الله الجميع؛ ورغبة الناصحين بيان ما في هذين الكتابين ليعرف القراء الحق من الباطل... إلخ.

وبعد دراسة اللجنة للكتابين المذكورين والاطلاع عليهما تبين للَّجنة أن كتاب «التحذير من فتنة التكفير» جَمْع علي حسن الحلبي - فيما أضافه إلى كلام العلماء في مقدمته وحواشيه يحتوي على ما يأتي:

١ - بناه مؤلفه على مذهب المرجئة البدعي الباطل الذين يحصرون الكفر بكفر الجحود والتكذيب والاستحلال القلبي كما في ص/ ٦ حاشية / ٢ وص/٢٢ وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك.

٢ - تحريفه في النقل عن ابن كثير - رحمه الله تعالى - في: «البداية والنهاية: ١٣/١١٨» حيث ذكر في حاشية ص/١٥ نقلاً عن ابن كثير: «أن جنكيز خان ادعى في الياسق أنه من عند الله، وأن هذا هو سبب كفرهم» وعند الرجوع إلى الموضع المذكور لم يوجد فيه ما نسبه إلى ابن كثير - رحمه الله تعالى -.

٣ - تقوُّله على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في ص/ ١٧ - ١٨ إذ نسب إليه جامع

الكتاب المذكور أن الحكم المبدل لا يكون عند شيخ الإسلام كفراً إلا إذا كان عن معرفة واعتقاد واستحلال. وهذا محض تقوُّل على شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فهو ناشر مذهب السلف أهل السنة والجماعة، ومذهبهم كما تقدم، وهذا إنما هو مذهب المرجئة.

٤ - تحريفه لمراد سماحة العلاّمة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته/ تحكيم القوانين الوضعية؛ إذ زعم جامع الكتاب المذكور أن الشيخ يشترط الاستحلال القلبي مع أن كلام الشيخ واضح وضوح الشمس في رسالته المذكورة على جادة أهل السنة والجماعة.

٥ - تعليقه على كلام من ذكر من أهل العلم بتحميل كلامهم ما لا يحتمله كما في الصفحات ١٠٨ حاشية/ ١، ١٠٩ حاشية/ ٢١، ١١٠ حاشية/٢.

٦ - كما أن في الكتاب التهوين من الحكم بغير ما أنزل الله وبخاصة في ص / ٥/ ح/ ١. بدعوى أن العناية بتحقيق التوحيد في هذه المسألة فيه مشابهة للشيعة ـ الرافضة ـ وهذا غلط شنيع.

٧ - وبالاطلاع على الرسالة الثانية: (صيحة نذير)، وُجِد أنها كمساند لما في الكتاب المذكور ـ وحاله كما ذُكر ـ.

لهذا فإن اللجنة الدائمة ترى أن هذين الكتابين لا يجوز طبعهما ولا نشرهما ولا تداولهما لما فيهما من الباطل والتحريف، وننصح كاتبهما أن يتقي الله في نفسه وفي المسلمين وبخاصة شبابهم، وأن يجتهد في تحصيل العلم الشرعي على أيدي العلماء الموثوق بعلمهم وحسن معتقدهم، وأن العلم أمانة لا يجوز نشره إلا على وفق الكتاب والسنة، وأن يقلع عن مثل هذه الآراء والمسلك المزري في تحريف كلام أهل العلم، ومعلوم أن الرجوع إلى الحق فضيلة وشرف للمسلم. والله الموفق.

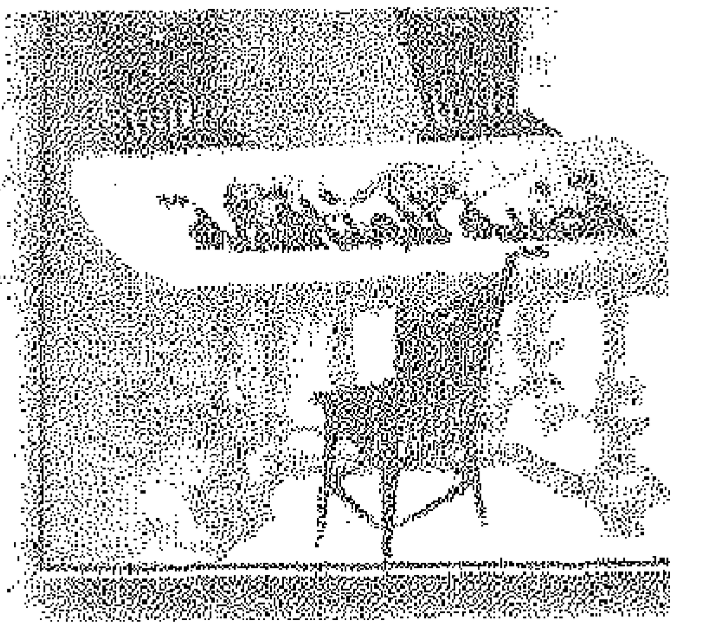
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	**الرئيس**
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
عضو	**عضو**
بكر بن عبد الله أبو زيد	صالح بن فوزان الفوزان

الرقم: ٢١٥١٧

التاريخ: ١٤٢١/٦/١٤هـ



قراءة في الذهنية السلفية

نواف الجديمي

ثمة شيء ينبغي أن يقال وهو: إن عمليات المراجعة والنقد لكل الأفكار والمواقف والتحركات السابقة، وتكرر عملية التصحيح وتقييم الماضي: هي الضمان الوحيد للبقاء والحيوية والتجدد لكل الحركات والجماعات والتيارات والأحزاب، بل إن النظريات المجردة لا بد أن تخضع لنفس المقياس إن أرادت الدوام والاستمرار.

الإشكالية المتجددة دائماً، والتي ترافق عمليات النقد والمراجعة: هي الشعور الذي قد يعم الشريحة السائدة، وربما النخبة أحياناً، بأن هذا النقد لا ينبع من صدق وإخلاص للحركة أو المبدأ، وإنما يهدف إلى التقليل من قيمتها والحط من قدرها، فضلاً عن أن تسيطر نظرة تآمرية ضد القائمين بالنقد واتهامهم بمحاولة التخريب والهدم من الداخل، مما قد يستتبع تصدي البعض للدفاع والذود عن تلك القضايا، والثبات على كل مواقفها وتحركاتها ربما دون قناعة حقيقية بها، وإن كانت تحمل العديد من الأخطاء والإشكاليات، معتقدين أنهم بذلك أكثر إخلاصاً وانتماءاً.

إن استقراءاً مبسطاً لوقائع التاريخ ونشوء الأفكار والحركات يعطينا دلالة كبيرة على أن عملية التصحيح المتجددة هي التي تبعث القدرة على الاستمرار، ولا أدل على ذلك من الديمقراطية ـ بوصفها نظاماً للحكم ـ التي بدأت واقعاً ملموساً بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وكانت آنذاك مقصورة على النبلاء والخاصة، ثم ما لبثت تتطور حتى وصلت إلى صيغتها الحالية، وهي ما زالت تمارس نوعاً من النقد الذاتي واستعداداً للتطور نحو الأفضل. أما الشيوعية فكانت على النقيض؛ إذ إن الجمود والتصلب كانا السمة الغالبة للدولة الشيوعية ـ رغم ملامح التطور الطفيفة التي أجراها خروتشوف ومن بعده بريجينيف بعد زوال الحقبة الستالينية ـ وذلك مما عجل في زوالها.

حتى مبدأ الحرية المطلقة ـ والذي كان نتاجاً للثورة الفرنسية ـ بدأ يراجع في الغرب؛ إذ بدأ وهجه يتضاءل، وطفت هشاشته على السطح؛ ولذلك تسود الغرب اليوم ومنذ الخمسينيات من هذا القرن نظرية المسؤولية الاجتماعية بوصفها نظرية بديلة عن نظرية الحرية المطلقة. وكذا الرأسمالية كنظام اقتصادي حر والذي ساد الغرب سنين طويلة، بدأت الاشتراكية تزاحمها على السلطة، وبدأت الولايات المتحدة تتجه إلى تطوير جديد للنظرية أسمته الطريق الثالث.

إذاً فالغرب ما فتئ يتطور ويراجع نظرياته ومواقفه؛ لذلك هو قادر على التفوق المادي والتقني، بل وفي العلوم الإنسانية كالإدارة والفلسفة

والاجتماع، رغم الخواء الروحي الذي تعيشه فئات المجتمع والضياع والانحلال والتمزق الأسري، والذي كان مفترضاً أن يلقي بظلاله على الجوانب المادية الأخرى.

ونحن - المسلمين - إذ نملك منهجاً ربانياً صالحاً لكل زمان ومكان فإن مجال النقد والتقييم لا يأخذ حيزاً واسعاً من قناعاتنا - وإن كنا في الوقت ذاته لا نستطيع نفيه وإقصاءه - إذ إن كثيراً من مواقفنا وقناعاتنا - خاصة فيما يتعلق بأساليب التربية والتنشئة، والتعامل مع الآخر، والقدرة على التحليل والاستنتاج لمجريات الحياة اليومية ومستحدثاتها على الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ومن ثم اتخاذ المواقف الصحيحة - ليست خاضعة لثوابت الشريعة بقدر ما هي اجتهادات بشرية محضة تخضع للحوار والمراجعة.

والسلفية إذ تملك منهجاً ربانياً واضحاً، وعقيدة صحيحة وتأسياً بسلف هذه الأمة، لهي الأوْلى بمراجعة الماضي وتقييمه، وهي الأوْلى بالرجوع إلى الحق إن تبين لها ذلك.

ولكن الحقيقة التي لا يمكن أن نغفل عنها أننا أصحاب حساسية مفرطة لأي محاولة للنقد والتقييم، وننظر إليها بتشكك وريبة، فضلاً عن سوء الظن الذي يصبغ نظرتنا لدوافع هذا الكاتب أو ذاك من عملية النقد.

قد أكون مخطئاً عندما أرى أن جميع محاولات النقد والتقييم سواء كانت من داخل البناء أو من خارجه، تصب في النهاية لصالح تلك الجهة التي تعرضت للنقد؛ وذلك إن استطاعت الاستفادة منه في تصحيح مسيرتها.

ونحن إذ ندعو لقراءة الذهنية السلفية لَنطالب بممارسة هذا النقد لمواقفنا وعلاقاتنا بكل تجرد وموضوعية، حتى نستطيع مراجعة الماضي ومن ثم التخطيط السليم للمستقبل، وتبني أساليب ومواقف صحيحة ومتعلقة بعملية البناء الذاتي للأفراد، أو الجماعي للمجتمع والأمة، أو في علاقتنا مع الآخر. ونقول ذلك مع إدراكنا أن السلفية ليست نمطاً واحداً بل هي ألوان طيف متعددة، وفيها أصوات هادئة وأخرى متشنجة لا نستطيع تجاهلها، وندعو إلى التعامل معها وتصحيح مواقفها، ومع ذلك فهي تحوي جمهوراً غالباً له مشتركات كثيرة، ويسوده تقارب كبير في الأفكار وطريقة التنشئة، وهذه الشريحة هي التي نقصدها ونتوجه إليها.

لذلك فأنا أدعو إلى إعادة التقييم والمراجعة والنقد. وأبدأ ذلك حفزاً للهمم، مع إدراكي بقصوري لاستقرائي وبحثي المحدود، تضاف إليه تجربة محدودة. وأزعم أن هذه الإشكاليات التي سأذكرها تكاد تسود غالب الاتجاهات السلفية المعاصرة، وأدعو الإخوة إلى تسديد الأخطاء، وأن يتسع صدرهم لهذا النقد والتقييم؛ فلأن نقوم بذلك ونخطئ خير من أن نكتفي بتلميع الذات وذكر الأمجاد.

صراع الأفكار والمعلومات:

إن أردنا الدخول في صراع الأفكار والمعلومات فلا بد أن نكون حذرين؛ لأننا ندخل حقلاً من الألغام؛ ذلك أن الموضوع في طبيعته يتعرض لمفهوم كان وما زال سائداً في أذهان الكثيرين، ولذلك فإن مجرد طرحه قد يثير السواكن، ويلقي حجراً في الماء الراكد.

ما أريد قوله ببساطة هو: إن التيار السلفي دائماً ما يركز على دائرة المعلومات ويهمل دائرة الأفكار.

السؤال الذي يتبادر الآن هو: كيف؟!

والجواب: أن غالبية التيار السلفي المعاصر مع بعض امتداداته في التاريخ، لا يسلط الضوء بل

لا يعطي قيمة إلا للمعلومة المجردة بوصفها وحدة معرفية مستقلة عن دائرة الأفكار. فالمعلومة هي مجال التفوق والتميز، وبقدر ما يحفظ الشخص من الأرقام والأحداث والآثار والأحاديث والكتب والأسماء والتواريخ - ينال هذا الشخص مكانة مرموقة، ويوضع في خانة التفوق والإبداع، أما دائرة الأفكار وما تحويه من القدرة على التحليل والاستنتاج والسبر، وربط الأحداث، وتفكيك الظواهر المعقدة، وتوليد الأفكار، والقدرة على الفرز والنقد، فهذه الدائرة لا قيمة لها؛ لأنها لا تحوي كمّاً ملموساً نستطيع حسابه ومعرفة قدره.

إن تسليط الأضواء على المعلومات دون الأفكار بات أمراً سائداً في أوساط الشباب المتدين اليوم، فأصبح الحفظ وتدوين المسائل ومعرفتها هو أقصر الطرق للبروز بين الأقران، بل إن الأمر يتجاوز أوساط الشباب إلى شرائح أكبر سناً وأكثر نضجاً وتجربة، ولذلك نجد هذا التلميع للدائرة الأولى على حساب الدائرة الثانية امتد حتى داخل تخصصات العلوم الشرعية، فنجد مثلاً أن من يحفظ كتب السنة الستة قد لا تقارن شهرته وتعلق الشباب به بالمتضلع في أصول الفقه. مع أن هذا الأخير أكثر قدرة على العطاء للأمة اليوم مع هذه الثورة التقنية والفكرية الهائلة التي يشهدها العالم، والتي غيرت كثيراً من طبيعة الحياة وتفاصيلها. وهذا واقع يدركه كل من عاش بين أوساط الشباب.

ذلك فضلاً عن الإهمال الكبير وربما الازدراء لكتب الفكر حتى الإسلامي منها، مما انعكس بدوره على تسطيح كبير للعقول، حتى صار مصطلح الفكر قرين السفسطة الفارغة التي لا تكاد تعني شيئاً غير القدرة على الكلام المنمق والمتكلف.

إن الأفكار هي التي تصنع الحضارات، وتدعمها بوقود لا ينفد للاستمرار والبقاء. والتاريخ كله يشهد على أن تغيرات العالم هي تغيرات أفكار ومعتقدات؛ فالثورة الفرنسية لم تقم رفضاً للتسلط الكنسي فقط، بل هي في أساسها كانت إرهاصاً لعديد من الأفكار التي سبقت الثورة بما يزيد عن القرنين، ولذلك كان شعارها عند قيامها «الحرية، والإخاء، والمساواة». والشيوعية قامت على فكرة صراع الطبقات وعلى أساس المادية الجدلية والمادية التاريخية، والنازية قامت على فكرة تفوق العرق الألماني على بقية الأعراق والإثنيات.

وتاريخنا الإسلامي مليء بالحركات والتغيرات التي قامت على الأفكار الصحيحة والمنحرفة، ولا أدل على ذلك من أن مبعث رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - كانت لتغيير معتقدات الناس وأفكارهم، وإعادتهم إلى الحنيفية المسلمة، وثورة الخوارج قامت على فكرة عدم جواز تحكيم الرجال في كتاب الله. والشيعة أول ما قامت كانت لفكرة أحقية عليٍّ - رضي الله عنه - بالخلافة لأنه من آل البيت، وفي تاريخنا القريب لم تقم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا على تصحيح معتقدات الناس مما علق بها من شرك وتصوفات، ولم تقم جماعة الإخوان المسلمين إلا على فكرة دعوة الناس إلى التمسك بالإسلام وتوحيد الصفوف.

واليوم نعيش زمن فورة الأفكار والتصورات والمعتقدات التي تملأ عالمنا بشكل مذهل، وإذا اجتزأنا القرن العشرين وسلطنا الضوء على منطقتنا العربية نجد أن هناك عدداً من الأفكار والأيديولوجيات سيطرت في مراحل متعددة على قطاع كبير من الناس في العالم العربي؛ وأبرزها القومية العربية، والماركسية الشيوعية، والبعث العربي، والنظرية الليبرالية الغربية:

والسؤال الحيوي هنا: ما مدى معرفة السلفيين بتلك الأيديولوجيات التي سيطرت زمناً على منطقتنا؟ وهل تمت دراستها دراسة مفصلة متعمقة للرد عليها وتبيين عوارها من داخلها، كما كان منهج ابن تيمية في الرد على خصومه؟

الحقيقة أن ذلك لم يحصل إطلاقاً.. وإن وجد من الإسلاميين من تصدى لهذه الأفكار دراسة ومعرفة ومن ثم رداً وتفنيداً؛ فهم ـ دون شك ـ من خارج التيار السلفي، وهم ـ في الغالب ـ غير مرضي عنهم، ويحملون العديد من المخالفات في الفكر والاعتقاد كما يصفهم أفراد التيار السلفي، بل إن المتخصصين في العقيدة من السلفيين ـ وهم أقرب الناس إلى دراسة هذه المعتقدات الجديدة ـ ما زالت قائمة المذاهب والمعتقدات المنحرفة التي تدرس عندهم تدور حول القدرية والكلاَّبية وإخوان الصفا والجهمية؛ مع أن انتشارها تناقص كثيراً إلى درجة الانتهاء أحياناً؛ في الوقت الذي يهملون فيه المعتقدات المتوجهة في العالم اليوم والتي قد تلاقي قبولاً في المجتمعات المسلمة؛ فمثلاً هل دُرست الديمقراطية كآلية للاختيار ونظام للحكم من أصحاب التيار السلفي بدلاً من فتاوى التحريم الجاهزة ـ ربما ـ دون استيعاب جيد للفكرة؟ وهل لاقت الأنظمة البنكية الدراسة التفكيكية الشرعية الجيدة من أجل إيجاد بدائل إسلامية للمعاملات البنكية الربوية؟ وهل وجد علم النفس الدراسة التحليلية العميقة لآخر نظرياته وأطروحاته ومن ثم الدراسة الشرعية لها؛ ومعرفة مدى موافقتها للتصور الإسلامي ثم محاولة استخراج ملامح للنظرية الإسلامية في علم النفس؟ هل قام رموز التيار السلفي بدراسة هذه القضايا الملحة في الساحة اليوم، أم أنها إلى الآن ليست من باب المفكَّر فيه؟

أما إن أردنا الحديث عن آخر النظريات الفلسفية والفكرية في العقود القليلة الماضية، وآخر الدراسات والتحليلات للمجتمعات المعاصرة، والتطورات الحضارية، والاستقراءات المستقبلية، كصراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وحوار الإسلام والغرب، وصراع الأيديولوجيا، والاختراق الثقافي ومسائل الهوية، وكلها قضايا معقدة ومتشابكة وتحتاج إلى فهم متأنٍ واستيعاب عميق فإننا ستجد ـ دون شك ـ أن غالب النُّخب السلفية من علماء وطلبة علم وتربويين ومحاضرين وغيرهم لم يسمعوا بتلك المصطلحات من قبل؛ فضلاً عن أن يكونوا درسوها واستوعبوها. وإن كان قد سمعوا بها فقد لا يزيد الأمر في كثير من الأحيان عن نظرة الازدراء والدونية لتلك السفسطات الفارغة التي لا تنفع المسلم في دنيا ولا دين. كما قد يقال.

وفي الوقت الذي يتعاظم فيه دور المفكر على مستوى العالم يتضاءل دور الحافظ والمتقن للمعلومات والكتب والأرقام، بسبب تطور تكنولوجيا الصناعة وإنتاج أجهزة حفظ المعلومات ووسائل استرجاعها وطباعتها، والذي جعل أجهزة حاسب صغيرة وبواسطة أقراص ممغنطة تستطيع حفظ عدد هائل من المعلومات قد تفوق في كميتها المكتبات الضخمة، وقد خدمت هذه الأجهزة الجانب الشرعي كثيراً؛ إذ توجد اليوم أقراص ممغنطة تحوي أكثر من مائة وعشرين كتاباً في الحديث، وأقراص أخرى جمعت الكثير من المسائل الشرعية وأقوال الفقهاء؛ مما جعل الحصول على الحديث أو رأي الفقهاء في إحدى المسائل أمراً متيسراً بالقدر الذي لا يتجاوز مجرد الضغط على عدد من الأزرار. والسنون حُبلى بتطورات كثيرة في هذا المجال، وإن كنا نؤكد أن هذا لا يقلل بالضرورة من قيمة العالم ولا ينقص من

قدره. ولكن إذا أردنا أن نكون منصفين فإنه من دون شك يقلل كثيراً من قيمة التوجه الحفظي للعلماء وطلبة العلم، ويزيد من قيمة القدرة على الاستنباط واستخراج الأحكام وغيرها من العمليات التي تعتمد على العقل لا الذاكرة.

ولا أنسى الإشارة إلى أن هناك ـ دون شك ـ تداخلاً بين دائرة الأفكار ودائرة المعلومات، وأن هناك مشتركات كثيرة في الوسط بين المسارين، ولكن تجدر الإشارة ـ أيضاً ـ إلى أن هناك تبايناً كبيراً بين أطراف الدائرتين، لذلك نجد أصحاب التيار السلفي قد يحيطون بهذه المشتركات، وقد يدخلون قليلاً إلى دائرة الأفكار، ولكنهم بالطبع لا يوغلون في الدخول، ولا يصلون الأعماق.

النشء الذي لا يكبر:

ربما تكون من إشكاليات الذهنية السلفية ـ والتي تتقاطع مع النقطة السابقة في بعض الجوانب وتتفاوت في جوانب أخرى ـ: النظر بتخوف وتوجس للتدفق الهائل في المعلومات والأفكار في عالم اليوم، والخشية من تأثر النشء بها، هذا النشء الذي قد يمتد عمره إلى قرابة الثلاثين وربما أكثر وهو غير قادر على الفرز والقراءة النقدية، ويخشى عليه دائماً من التأثر حتى بأبسط الأفكار وأكثرها سطحية وضحالة. أما الرموز وطلبة العلم والمربون فهم وحدهم القادرون على الفهم الواعي للأفكار التي تطرح، والكشف عن مدى مخالفتها للشرع، وربما أحياناً الكشف عن خبثها ومكرها والسموم التي تدسها من أجل التأثير على جيل النشء؛ ثم قد يُطرح عدد من التساؤلات مثل: ما قيمة هذه الأفكار؟ وما وزنها؟ وما مقدار فائدتها للشباب الناشئ؟! وإذا أشكل على الشباب شيء في معرفة سيرة مؤلف أو كنه كتاب؛ فما عليه إلا أن يسأل أحد المهتمين من نفس التيار ليعطيه فتوى جاهزة مقبولة في شأن ذلك الكتاب أو ذاك المؤلف؛ مما ينتج عنه أحياناً اختزال كبير للأفكار في حدود مقولات مبتسرة لا تكشف فكراً ولا تروي ظمأً، فنجد أن عقولاً ضخمة في الساحة الفكرية والثقافية أنتجت مشاريع ودراسات فكرية تحليلية رائدة، يُختزل فكرها في أن فلاناً يرى في الجنة والنار كذا، وأن فلاناً يؤوِّل الصفات ولا يثبتها، وغير ذلك من اختزال للأفكار الهادرة في قطرات قليلة وجمل مجتزأة، وأبسط ما تحلل به كتابات هؤلاء أن يقال: إن فلاناً تأثر بالفكر القومي، وفلاناً ماركسي سابق، وفلاناً يعاني من الاستلاب للغرب، وتكفي هذه المقولات لإسقاط هذا المؤلف أو ذاك من قائمة الذين يستفاد منهم، فينشأ الشاب على أن فلاناً هو من يرى كذا، وفلاناً هو من يرى كذا، ربما دون أن يرى غلاف كتاب لأحد هؤلاء الذين تكلم عنهم فضلاً عن أن يكون قد قرأه.

وربما نكون في حاجة إلى التأكيد على أن التذكير بمخالفات أي كاتب ومفكر خاصة في مجال الاعتقاد أمر مطلوب؛ ولكن ينبغي قبل ذلك إعطاء صورة واضحة ومنصفة عن تلك الأطروحات أو الدراسات الرئيسة التي أنتجها هذا المؤلف. كما أنه من المعلوم أن الشاب والقارئ السلفي في الجملة لا يأخذ عقيدته من ذلك النوع من الكتب، مما يقلل من مقدار تخوفنا من الاستلاب والتأثر.

هذا السلوك في التعامل مع الأطروحات الفكرية والثقافية ربما ينتج في المستقبل ردود أفعال تتفاوت في شدتها، مثل أن تقرأ بعض هذه الكتب في الخفاء ودون علم المحيطين، مما قد يصيب بعضاً بردة فعل عنيفة، خاصة عندما يستوعب تلك الأفكار والكتب، ويكتشف أنه كان يعيش فترة تغييب لعقله

وازدراءاً لقدراته. وربما اتهم من كان معهم بالسطحية والضحالة وهشاشة الفكر، وممارسة الوصاية على من دونهم، ومصادرتهم للرأي الآخر وتهميشه أياً كانت قوته وعمقه.

أذكر أن أحد الإخوة وهو يعمل مديراً لإحدى المدارس الثانوية الأهلية التقى عدداً من أساتذة العلوم الشرعية المتقدمين للتوظيف، ودار بينهم حوار حول عدد من القضايا الثقافية، فكان يقول: إنه فوجئ بالمستوى الثقافي المتدني جداً، وبالبساطة والسطحية عند هؤلاء الأساتذة، مما جعلني أقول له: إن هؤلاء من النشء الذي لا يكبر.

نعم النشء الذي يظل نشئاً لا يملك القدرة على الفرز والتقييم والفهم لأي طرح ثقافي وفكري إذا لم يضع قدميه على طريق التطور نحو الأفضل والفهم والإدراك للأطروحات الحديثة بشكل متزن ومتدرج، وإلا فسيكون أحد ضحايا النظرة السائدة التي ترى أن أصحاب المرحلة الثانوية هم صغار من الصعب أن يستوعبوا تلك القضايا «المعقدة»!!.. ومن هم في المرحلة الجامعية لا يملكون القدرة على التمييز والفرز، وربما تشوش أفكارهم ويدخلون في إشكالات ومعتركات قبل الأوان، والموظف - وهو متزوج في الغالب - لديه من هموم الحياة وطلب الرزق والعمل الدعوي ما يصرفه عن الاهتمام والمتابعة، حتى إذا امتد العمر بذلك النشء، كان في حقيقته لا يزال نشئاً لا يستطيع الدخول في عالم الفكر والثقافة دون تأثر؛ لأنه لا يملك آليات النقد والتقييم. وإن أراد الدخول فإن استعداده للتطور والاستفادة يكون قد تقلص كثيراً؛ لأنه صار يملك عقلاً قد شكلته البيئة والتوجهات السائدة فيها حتى صار أشبه بقطار يسير على سكة حديد لا يحيد عنها لا يميناً ولا شمالاً، ثم في النهاية لا يزيد على أن يكون رقماً مفرداً قد ينفع فقط في تكثير السواد.

قد يقال: يكفي أن تنفر طائفة من المؤمنين بهذا الأمر دون الآخرين. وهذه حقيقة دون شك؛ إذ من البداهة أن ذلك ليس مطلوباً من الجميع ولا حتى الغالب إذا كنا نتحدث عن التخصص في هذا المجال والتعمق فيه، ولكن إذا كان الحديث عن قضية الوعي والنضج في التعامل مع الآخر أياً كان، فلا أقل من أن تكون سمة غالبة، ولا أعتقد أننا بذلك نطلب مستحيلاً. ثم في موضوع التخصص: أين هي تلك الطائفة التي تكفي الآخرين هذا الأمر؟! هل هي موجودة فعلاً؟ أم لا نزال في طور الإعداد والتنشئة؟ لأنه عند استقراء سريع للساحة الثقافية اليوم قد لا تخرج بأكثر من أسماء تعد على أصابع اليدين - إن تواضعنا كثيراً في شروط التقييم.

إن كنا نريد أن نقوم بواجبنا على هذا الصعيد، وأن نعد إجابات للأسئلة النهضوية الملحة من واقع شريعتنا وبصفاء منهج السلف، فلا بد من إعادة النظر بأساليبنا في التنشئة والتكوين، قبل أن تفد علينا إجابات من الخارج، ينشغل مثقفونا في تفنيدها والرد عليها، دون أن نصنع من ثقافتنا شيئاً يلائم هذا الواقع بمستحدثاته التي لا تتوقف.

المؤامرة.. المؤامرة:

قد لا تكون النظرة التآمرية صفة إسلامية بقدر ما هي عقدة عربية تجمع غالب التوجهات والتيارات والأحزاب في عالمنا العربي، وتشكل نقطة محورية في علاقاتها مع الغرب وطريقة التعامل معه، وهي نزعة تشكلت - في صورتها الحدية المعاصرة - بعد سيطرة الاستعمار على العالم العربي، وما صاحبه من ظلم وطغيان وتكميم للأفواه.

وبدءاً يجب أن نؤكد على قضية هي من المسلَّمات والثوابت في عقيدة المسلم، ولكن التأكيد

عليها قد يحد من الفهم الخاطئ لمضمون هذا الكلام ومقاصده ـ وهي : أن عداء الغرب للإسلام والتآمر عليه ومحاولة إضعافه هي مسألة عقيدة قبل أن تكون مسألة فكر وتحدٍّ حضاري : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] . ولكن من هو الذي يكره الإسلام في الغرب؟ هل هم كل أفراد المجتمع؟! أم المؤسسات الحاكمة؟ وهل ما يحرك الغرب في علاقاته مع العالم الإسلامي والعربي هو نزعته العدائية فقط؟ أم أن هناك مجموعة معقدة وخطوطاً متداخلة في خريطة العلاقات السياسية . وهناك مصالح وموازين قوى، ربما تجعل الغرب في ظروف معينة يدعم الحركات الإسلامية ـ ولو معنوياً ـ كما حصل في أفغانستان، وهذا ما لا يتصوره بعضهم، والتي تجعل المسلمين الذين يعيشون في الغرب أكثر حرية في إقامة شعائرهم وعباداتهم وبناء مساجدهم ومراكزهم، بل وفي دعوتهم للإسلام لأفراد تلك المجتمعات، واستخدام بعض الوسائل الإعلامية الرسمية، فضلاً عن الحرية في تنفيذ وإصدار أي وسيلة إعلامية خاصة، وهذا ما لا يحصل قطعاً في معظم الدول الإسلامية إن لم يكن في جميعها .

لذلك فمع إيماننا بهذا العداء، إلا أن المسألة لا تحسم بوصفات وفتاوى جاهزة ومبسطة، بل تحتاج إلى تصور واقعي وسياسي ومصلحي، يضاف إلى تصورنا العقدي المستقر في النفوس، حتى نصل إلى صورة أقرب للحقيقة لهذه اللحظة التاريخية المعقدة من عمر العالم .

إننا نجد أن الأجيال الإسلامية الشابة في معظمها تربى اليوم على نزعة تآمرية حادة تفسر بها كل الظواهر المعادية للإسلاميين والمتدينين، وتضع كل المعادين في سلة واحدة، وتحشدهم في جبهة موحدة هدفها ضربهم والقضاء عليهم، حتى إننا نساهم في رسم صورة ذهنية سطحية لدى الناشئة مفادها : أن كل هؤلاء العلمانيين ـ بكل ما يحمله هذا المصطلح من تعميم يشمل : الليبراليين والشيوعيين والبعثيين والقوميين والمنحلين خلقياً ـ أن كل هؤلاء هم ببساطة عملاء للغرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُدعمون منه مادياً ومعنوياً، وأن هدفهم الوحيد هو القضاء على المتدينين، ومن ثم القضاء على الإسلام؛ مما قد يرسم صورة كاريكاتيرية في أذهان بعض الناشئة تجعلهم يتخيلون أشكال هؤلاء المتآمرين وهم يجتمعون في سراديب مظلمة، حيث تنبت لهم قرون التآمر، وتتسع العيون وتزداد حدتها، وهذه الصورة وإن بدت مضحكة إلا أنها نتاج طبيعي للخطاب التعبوي واللغة العاطفية التحريضية، وتوجيه الرأي العام الإسلامي الذي تمارسه بعض رموز الصحوة في كل طرح جماهيري، ضد كل من يحمل توجهات مخالفة للتيار الإسلامي، وربما يتكرر الاستشهاد ببروتوكولات حكماء صهيون، حتى ترسم في ذهنياتنا الصياغة المثلى لتوصيات المتآمرين في اجتماعاتهم ومؤتمراتهم .

إن طرحاً بهذا التوجيه له ـ دون شك ـ انعكاسات خطيرة على ذهنية الشباب المتدين؛ حيث يساهم في تشكيل عقليات مسطحة وحدية، تتعامل مع ظواهر الحياة وتفاصيلها ببساطة مفرطة، وتبني خوفاً من هذا الجيش العارم والمنظم تنظيماً دقيقاً من العملاء والمنافقين والحاقدين في الداخل، وأسيادهم الذين يدعمونهم في الخارج، وتبني عداءاً ليس فقط لكل من له انتماءات أيديولوجية أخرى، بل ربما لكل من يشك في ولائه للتيار المتدين بكل مواقفه وأطروحاته، حتى يغدو من الصعب تصور

أن العدو رقم واحد للماركسيين في العقود الماضية كانت الليبرالية الأرستقراطية، لا التيار الإسلامي وإن وقف في الخانة الثانية، وأن ألد أعداء القوميين والبعثيين هو الغرب المستعمر وعملاؤه في الداخل، لا التيار الإسلامي وإن وقف أيضاً في خانة العداء.

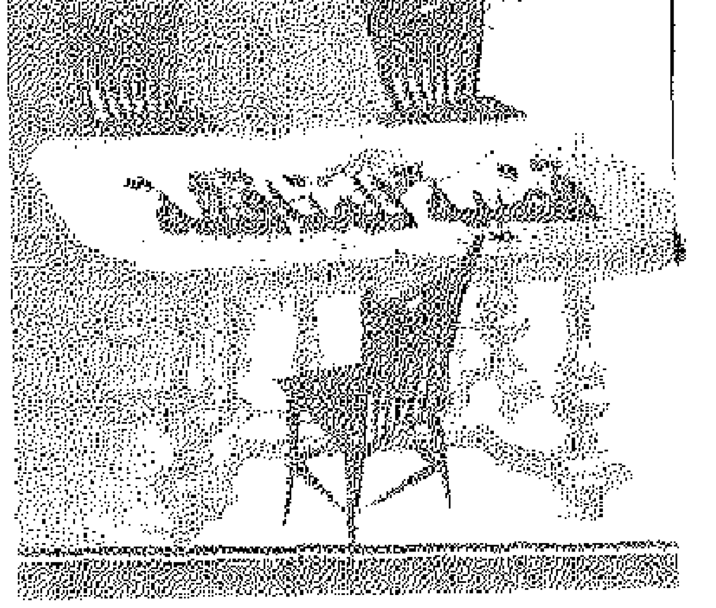
هذا التفسير التآمري للظواهر والأحداث الحياتية ربما أخذ منحىً آخر، هو محاولة التصدي والاستعداء لكل المستحدثات العلمية الحديثة ذات الطابع الإعلامي والجماهيري، والتي هي نتاج تطور تقني محض، وجعلها وكأنها لم تصنع ولم توجد إلا لمحاربة الإسلام ولصرف الشباب المسلم عن دينه؛ حيث ما زلنا نسمع من يطالب بتقليص انتشار الإنترنت وإغلاق المقاهي المخصصة له؛ لأنها قد تستخدم في العبث المحرم، دون مجرد التفكير في إيجاد بدائل وحلول، ولأن التاريخ يعيد نفسه، فقد كان الطرح الإسلامي قبل عدد من العقود هو محاربة المجلات والإذاعات والتلفاز بعموم، أما اليوم وبعد أن صارت تلك المستحدثات واقعاً مفروضاً، ووجدت بدائل إسلامية، صار الطرح مختلفاً؛ فليس كل المجلات تحارَب لأن هناك مجلات إسلامية نافعة، وليس كل الإذاعات سيئة؛ لأن هناك إذاعات مفيدة وتخدم الدين، وليس التلفاز بعمومه حراماً؛ لأنه قد يحوي برامج إسلامية جيدة ومفيدة، ومع أن هذا يمثل اليوم وعياً، إلا أنه وعي متأخر ينطبق عليه المثل الذي يقول: «حكيم بعد الحادث».

لعل من أسباب هذا التفسير التآمري غياب التصور الصحيح للخريطة الأيديولوجية في العالم العربي أثناء القرن الأخير وفي العقود القليلة الماضية، وطبيعة المتغيرات التي حصلت، وطريقة نشوء الأفكار وانتشارها، وتأثر الضعيف بالقوي، واستلاب المغلوب للغالب ـ كما وصفه ابن خلدون في المقدمة ـ الذي ساهم في تشكيل جيل يحمل مبادئ الغالب شرقياً كان أم غربياً، لا بطريقة تآمرية نفاقية بل بقناعة حقيقية تنتج أحياناً عن إخلاص وصدق وحب للمجتمع والأمة، وإن كان ظل بهذا السبيل، بل ربما كانت هذه المبادئ والأيديولوجيات نتاج البيئة العربية المحضة في إحدى مراحل الضعف، كما هو الحال بالنسبة للقومية العربية والبعث العربي، اللذين يقومان في أساسهما على بث الروح العربية الوحدوية في أرجاء العالم العربي.

إننا نضيع وقتاً في الانشغال المستمر في محاولة تقصي المؤامرات والتصدي لها وفضحها، مما قد يسبب ضياع كثير من الجهود على حساب بنائنا الداخلي وتكوينه الثقافي الذي يجب أن يعد لمواجهة متغير لا يكاد يتوقف، وزرع الوعي المبكر في عقول الأجيال، ومد الجسور بوعي وبصيرة لأقرب التوجهات والأيديولوجيات المعاصرة، وبناء تحالفات تكتيكية لخدمة الأهداف المشتركة.

وفي آخر هذه السطور التي لا تعدو أن تكون إشارات مقتضبة لقضايا تحتاج الكثير من الحوار والنقاش، أرجو أن تكون معالم هذه الأفكار قد اتضحت وتجلت وإن كان بشكل مختصر ومتعجل؛ لأنني أعوِّل كثيراً على قدرتنا في مراجعة مواقفنا وتصوراتنا، وعلى النقد الذاتي المتبصر لسيرتنا وواقعنا، وإن كان هذا النقد لا يصفو في بداياته من أخطاء.

بقي أن أشير إلى أن هناك تطوراً واضحاً في صفوف التيار السلفي إذا ما قورن بالعقود الماضية، ووعياً متزايداً يبشر بارتفاع مستمر لمؤشر القياس، مما يدعونا إلى مزيد من الوقفات والمراجعات تجنبنا الوقوع في نفس الأخطاء التي وقعنا فيها سابقاً، ومن أجل ألا يكون تاريخنا الذي يعيد نفسه إلا ذلك الذي يحمل النجاح والتقدم والإبداع.



تنزيل الشريعة الإسلامية في الواقع الإسلامي الراهن

بين الرفض والقبول

محمد إكيج

يعيش العالم الإسلامي بشكل عام، والعربي منه على وجه الخصوص صحوة إسلامية هائلة تؤكد أوبة الجماهير المسلمة إلى هويتها الأصيلة، ورغبتها وطموحها في تحقيق النهوض الحضاري الذي طال انتظاره تحت ضغط التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء، ولئن شملت مسحتها نفسية الشعوب وغشيت غاشيتها سلوكياتها ومعاملاتها، وبدأنا نلحظ يوماً بعد يوم اندحار المظاهر التغريبية الهجينة في سلوكيات بعض الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي؛ فإنها أفرزت إفرازات إيجابية محمودة تاخمت عتبات الأنظمة والمؤسسات الحاكمة في البلاد الإسلامية الراهنة؛ رغم صنوف التضييق والحصار تارة والتهميش واللامبالاة تارة أخرى.

ولعل من حسنات هذه الصحوة المباركة أنها أعادت الاعتبار والمصداقية والمشروعية ـ ولو على المستوى النظري ـ لقانون الأمة الأصيل الذي ساد في المجتمعات الإسلامية زمن الوهج الحضاري للأمة الإسلامية؛ رغم فترات النكوص والتذبذب التي انتابت مساره التاريخي قبل أن «يتوارى» عن التطبيق على إثر الهجمة الشرسة للقوانين الوضعية الغربية والمتغربة، والتي حاصرته حتى في المواقع الضيقة التي تهم شخصية المسلم وأحواله العائلية.

لقد غدت الشريعة الإسلامية وإشكالية تطبيقها في الواقع الإسلامي الراهن من المواضيع الأساسية التي تشغل بال المفكرين سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين، كل من وجهة نظره الخاصة، ولم تعد الدعوة إلى تطبيقها مقتصرة على برامج الحركات الإسلامية وبعض الدعاة المخلصين، وإنما بدأت تشق طريقها نحو العديد من الهياكل التنظيمية والبُنى الدستورية والقانونية لبعض الدول العربية والإسلامية، بل وترجم ذلك عملياً بإدخال نصوص جديدة أو تعديل نصوص قديمة في دساتيرها وقوانينها التي تتعلق بمصادر التشريع التي تمتاح منها إلا أن هذا الموضوع ـ وكما هو الشأن لكثير من المواضيع الإسلامية الحساسة ـ كان عرضة لكثير من سوء الفهم والتعسف في التأويل والنقد والتغليط، مما جعل الآراء والتصورات يتوزعها تياران رئيسان:

أ – تيار مؤيد وراغب في التطبيق ويمثله عموم الإسلاميين.

ب – تيار رافض أو متحفظ إزاء هذا التطبيق، ويمثله عموم العلمانيين بمختلف توجهاتهم.

وإذا حاولنا تتبع آراء هاتين الجبهتين؛ ألفينا أن كلتيهما تستند في قولها ودعوتها إلى مسوِّغات تعزز به موقعها سلباً أو إيجاباً إزاء هذه القضية، وسنحاول أن نقف على مرتكزات كل طرف ومسوغاته على حدة، لنخلص في نهاية المطاف إلى تبيان الأبعاد الحقيقية والخلفيات الكامنة المستكنة وراء كل موقف وتجليتها.

مسوغات الرفض العلماني لتطبيق الشريعة الإسلامية:

يتأسس هذا الرفض على جملة من الحجج نوردها كالآتي:

أ - ترى التوجهات العلمانية أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر تفتقد إلى الرؤية المنهجية العامة التي ستيسر هذا التطبيق، وذلك لكونها تنبني على نصوص بالغة العمومية: فآيات الأحكام لا تتجاوز في مجموعها خمسمائة آية، ولا يمكن أن تعد قانوناً بالمعنى الصحيح للكلمة؛ هذا فضلاً عن الاختلافات الواسعة بين المذاهب الفقهية القديمة والحديثة حول كيفية تنزيلها على الوقائع المستجدة.

٢ - إن هذه الدعوة تفتقد إلى المصداقية التاريخية، لأن الشريعة الإسلامية لم تطبق في أجلى صورها إلا في فترة جد محدودة تنيف عن الأربعين حولاً، وفي بيئة لم تعرف من التعقيدات والمستجدات مثل ما نعيشه في عصرنا الراهن، مما يجعل إعادة إنتاج تلك التجربة تكريساً لماضوية القوانين العربية والإسلامية، وخروجاً عن منطق التاريخ الذي يقتضي التطور والتحديث، ومواكبة الابتكار الإنساني في النظم والأحوال والقوانين.

٣ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيؤدي إلى تفتيت وحدة المجتمع العربي والإسلامي؛ بحكم وجود العديد من الأقليات غير المسلمة والتي تتعايش جنباً إلى جنب مع الشعوب الإسلامية في ظل القوانين الحالية دون أدنى حساسية أو «مركب نقص» لأن الجميع يستظل بمظلة الوطنية العاصمة من كل انقسام أو تشتت. ويستدلون هنا بموقف الرفض «النصراني العربي» لهذه الصيغة لما تنطوي عليه من أخطار العودة إلى نظام «أهل الذمة» و «نظام الملل» أي إيجاد نظام تراتبي في المواطنة.

٤ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيكون ذريعة للحاكم المسلم للاستبداد، وانتهاك حقوق الإنسان، وسفك الدماء بدعوى تطبيق شرع الله ومحاربة المفسدين، ولعل في التجارب التاريخية التي عرفها تاريخ الإسلام السياسي خير شاهد على ذلك، ودليلاً ساطعاً على توظيف الدين لأغراض شخصية دنيئة، كما أن بعض التجارب المعاصرة تؤكد هذا وتشهد عليه.

٥ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيخوِّل المؤسسة الدينية صلاحيات واسعة في إطار الدولة؛ مما سيتيح إمكانية الهيمنة وإقصاء المؤسسات الأخرى، وسيمثل هذا سابقة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية؛ إذ المعلوم من استقراء التاريخ الإسلامي أن هذه المؤسسة نشأت بمعزل عن الدولة بل وفي تعارض معها.

٦ - إن الغاية المبتغاة من المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية وإثارة النقاش حولها، هي بلوغ أهداف سياسية مرحلية كتحسين الموقع السياسي، والضغط باسم الشريعة على الخصم قصد انتزاع ما يمكن انتزاعه من مكاسب في اللعبة السياسية الداخلية، وقد تبين ذلك بشكل جلي في مشاركة العديد من الحركات الإسلامية في إطار هذه اللعبة وفق شروط لم تشارك أصلاً في وضعها. ومعلوم أيضاً أن هذه القضية تفتقد إلى إجماع إسلامي حول المبدأ أصلاً، كما تعاني من انشطار في الموقف الإسلامي العام يتراوح بين موقف رافض لها داع إلى التعامل الإيجابي مع الأنظمة السياسية القائمة، إلى موقف داع لها رافض لكل الأجهزة الحالية، وإلى موقف اجتهادي يحاول التوفيق بين القواعد العامة للشريعة والاندماج المباشر أو غير المباشر في اللعبة السياسية على علاتها وقواعدها الهجينة.

ملاحظات بشأن الدعاوى العلمانية:

قبل استعراض حجج المؤيدين لهذه القضية لا بد من إبراز جملة من الملاحظات بشأن الحجج العلمانية الآنفة الذكر:

١- إن الأطراف العلمانية بإصرارها على رفض تطبيق الشريعة الإسلامية أو حتى المطالبة بذلك تبغي تكريس القطيعة بين الجماهير المسلمة وبين هويتها الأصيلة المتجسدة في الإسلام عقيدة وسلوكاً وشريعة ونظاماً، وفي المقابل تعمل على إدامة القوانين الوضعية الدخيلة، ومن ثم تعميم الإلحاقية للغرب، ومصادرة المرجعية التاريخية للأمة الإسلامية الكامنة في نفوس شعوبها رغم مظاهر الانحراف والتسيب واللامبالاة الطافية في المجتمعات الإسلامية الراهنة؛ لأن هذه الحالات لا تعدو أن تكون مظاهر نفسية متوترة تشعر بالقلق وتبحث عن «الذات» في خضم واقعها المضطرب والمفروض باستبداد الأنظمة المتغربة التي تحتكر السلطان السياسي بمعاول «الأنا» وعقلية «الآخر» وتخطيطه!!

٢ - إن العلمانيين يطبقون مقولة «قياس الشاهد على الغائب» في محاكمتهم للشريعة الإسلامية، وذلك لارتكازهم في بناء تحفظاتهم (وهي تعني رفضهم) إزاء الشريعة على روايات من تاريخ الدول الإسلامية تحكي عن سفك دم أو حمق أو تهور حاكم في تطبيق بعض الأحكام الإسلامية، فيتخذون هذا العمل المُشين حجة على الإسلام وليس على فاعله، ولو لجأنا إلى هذا المنطق في تقويم مسار القوانين الغربية والمتغربة المعمول بها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي والعربي لما بقيت حصاة في جدرانها بَلْهَ أن يكون حجراً، والتاريخ الأوروبي والغربي ـ تاريخ المظالم ـ خير شاهد على ذلك؛ ولو قورنت جرائم الحكام المسلمين الأوائل التي يُتَذَرَّع بها لرفض شريعة الإسلام، لما بلغت في هولها وفظاعتها عشر ما بلغته جرائم حكام أهل الغرب وساساتهم، ونحن هنا لا نسوِّغ الظلم والطغيان باسم الإسلام، وإنما نوازن بين المفاسد؛ وللعاقل حرية الترجيح!!

٣ - إن النخب المتغربة في العالم العربي والإسلامي يغيظها أن تكتسب الحركات الإسلامية ومقاصدها مصداقيتها لدى الشعوب من خلال بنائها لمشروعها السياسي على أسس الشريعة الإسلامية ومقاصدها، مما يدفعها إلى «الإرهاب الفكري والمصطلحي» وذلك من قبيل الاتهامات الفجة والانطباعات القيمية المستفزة التي تسجلها في شأن هذه الحركات، بل بلغت الوقاحة ببعضها إلى مستوى «العمالة الفكرية» لبعض الأنظمة المتغربة ثمناً لبقائها، وإفناءاً لخصمها، وما اليسار المتغرب في تونس عنا ببعيد.

٤ - وأخيراً، إن عتاة العلمانيين، وبعد أن بارت بضاعتهم في السوق الفكرية والسياسية العربية والإسلامية، وعجزوا عن اختراق البنية الفكرية والنفسية للإنسان المسلم لجؤوا إلى التكسب والارتزاق من الإساءة بأقلامهم إلى ما يمت بصلة إلى الإسلام، بتأويلاتهم الفجة لنصوصه المقدسة، أو للإسلاميين بالنبز والتشهير وسوء الأدب، وأمثال هؤلاء في العالم العربي والإسلامي كثر.

مسوغات الاتجاه الداعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية:

تتمثل حجج مؤيدي هذا الاتجاه في الآتي:

١ - إن الشريعة الإسلامية، وإن توارت عن مواقع التوجيه المباشرة في حياة المسلمين، وتركت لتوجيه التيارات المنحرفة والأنظمة الوضعية، تملك رصيداً تاريخياً هاماً يزكي مصداقيتها ومشروعيتها في التطبيق من جديد، وذلك بعد استصحاب مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، وخاصة ذات الصبغة الاجتماعية نظراً لما استجد من النوازل التي تستلزم تنزيل أحكام الشريعة عليها.

٢ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف ينهي «الانشطارية الولائية» القابعة في نفسية الإنسان، بل والمجتمع المسلم بشكل عام؛ ذلك أن المسلم يتوزع في الوقت الراهن بين ولائين: أحدهما للأنظمة السياسية القائمة بقوانينها وتشريعاتها المتغربة في عمومها، وثانيهما للإسلام الذي يمثل جوهر هويته وشريعته الواجبة الاتباع، وقد كانت هذه الثنائية في الولاء ولا تزال سبباً في كثير من مظاهر الإعياء والنكوص والرياء والنفاق الفردي والجماعي، فانعكس ذلك سلباً على أداء أمتنا الحضاري.

٣ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف ينمي لدى الفرد المسلم وكذا المجتمع عقلية «الواجب الشرعي» المحفزة للعمل، بدل عقلية «الحقوق» الدافعة للمطلبية المستمرة والاستياء والنفور والتقاعس عن تنفيذ الخطط والتوجيهات الصادرة ـ حاضراً ـ عن أهل السلطان السياسي، نظراً للقطيعة القائمة بين الأسس المعرفية لهذه القوانين والتركيبة النفسية للفرد المسلم.

٤ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية لن يلغي سلطة المؤسسات بل سيعمل على ترسيخها وتزكية مشروعية العمل بها؛ لأن موقف الإسلام من المؤسسات أصيل، والتجربة التاريخية للدولة الإسلامية ثرية جداً في هذا المضمار، وتكفي الإشارة إلى بعض الهيئات التي عرفتها الدولة الإسلامية النواة كـ «هيئة النقباء الإثني عشر» و «هيئة المهاجرين الأولين» اللتين كانتا بمثابة «مؤسسات دستورية» ذات اختصاصات محدودة

كالتمهيد لعقد البيعة مثلاً. يضاف إلى هذا العديد من المؤسسات التي أفرزها تطور بُنية الدولة الإسلامية عبر مختلف المراحل والعصور، ومن ثم فلا ضير من استصحاب ما يمكن استصحابه من مؤسسات الدولة العصرية لكن بعد تنقيتها من كل الأوضار الأيديولوجية العالقة بها ظاهراً وباطناً.

٥ – إن تطبيق الشريعة الإسلامية لن تكون أداة تسلطية بيد الحاكم، بل على النقيض من ذلك تماماً ستكون معياراً لضبط تصرفاته ومحاسبته على ضوئها؛ لأن الحكومة في الإسلام ليست «ثيوقراطية» تمثل ظل الله في أرضه، ولا هي تقوم على منطق التسلط الفئوي، وإنما هي شورية تقوم على أساس رقابة الأمة لما يُسن من نظم وقوانين تلائم المصلحة العامة والمقاصد الإلهية العليا.

٦ – إن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية في زماننا هذا وإن كان يبدو أنه ذو طبيعة سياسية، إلا أنه ليس مطلباً فئوياً أي يخص الإسلاميين وحدهم ـ بل هو مطلب شعبي جماهيري، لأنه يهدف إلى إعادة المصداقية والمشروعية المستلبة لقانون الأمة الحقيقي، ولا مجال للتعبير عن ذلك في الظرف الراهن في رأيي إلا من خلال المؤسسات التي تقرها الأنظمة المتغربة في كثير من بلادنا الإسلامية، أي تكوين الأحزاب والمشاركة السياسية المشروعة.

وقبل الختام؛ يجدر بنا أن نشير إلى أن الموقف من تنزيل مضمون الشريعة الإسلامية في الواقع الإسلامي الراهن لا يزال يتوزع داخل الصف الإسلامي بين ثلاث اتجاهات:

– اتجاه أول يدعو إلى التطبيق الفوري، وخاصة مسالة الحدود.

– اتجاه ثان يدعو إلى تأجيل الشعار وانتهاج أسلوب إصلاحي قصد تعديل أو تطوير الشرائع السائدة في الاتجاه الذي لا يتعارض ومقاصد الشريعة الإسلامية العامة.

– اتجاه ثالث يدعو إلى فتح الحوار وتعميق النقاش حول «القاع النظري» لهذا الموضوع ـ على حد تعبير الكاتب التونسي صلاح الدين الجورشي ـ من أجل إيجاد مقترحات عملية وتفصيلية للتطبيق.

ولعل هذا التوزع يعكس مدى الشتات النظري القائم حالياً بين الاتجاهات الإسلامية، مما يعني أن الأمر يحتاج إلى رؤية منهجية واضحة تلم بمختلف جوانب الموضوع، ولن يتأتى ذلك إلا بإدارة الحوار الواسع بين مختلف الاتجاهات قصد إيجاد الإجابات لمجمل الأسئلة التي تتداولها النخب الفكرية والسياسية في العالم العربي والإسلامي، كما أن المفكرين الإسلاميين مطالبون بدراسة المجتمعات الإسلامية ابتداءاً من المجتمع القدوة (مجتمع الرسول ﷺ) حتى مجتمعاتنا المعاصرة مع تبيان مختلف الأنماط التطبيقية للأحكام الإسلامية التي سادت في كل مجتمع على حدة، وتجلية الخروقات والتجاوزات التي شهدتها؛ وذلك لتبرئة ذمة الدين الإسلامي الحنيف من كل جور أو عسف ارتكب باسمه في زمن من الأزمان، مما يتخذ في يومنا هذا تَعِلّة لأي رفض أو تحفظ .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن دراسات الفقه الدستوري والجنائي الإسلامية لا تزال ضعيفة إلى يومنا هذا، فإذا استثنينا بعض المجهودات التي خلفها لنا الشهيد عبد القادر عودة من خلال مؤلفيه القيمين: «الإسلام وأوضاعنا القانونية»، و«التشريع الجنائي في الإسلام» وكذا ما ألفه الدكتور محمد فتحي الدريني حول «نظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة الإسلامية» فلا نكاد نجد إلا اجتراراً لاجتهادات فقهية قديمة كانت في واقع أمرها صدى لواقعها بالدرجة الأولى مما يتطلب اجتهادات جديدة في هذا المضمار تجيب بدقة عن الإشكالات المطروحة في العصر الحاضر.

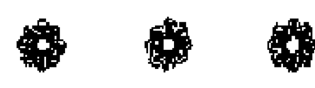
وختاماً: نقول إن هذا الموضوع يحتاج إلى مجهودات فكرية ونظرية متضافرة تخدم الصالح العام للأمة الإسلامية لإخراجها من واقع التردي الحضاري الذي تعيشه في الوقت الراهن، ولن يتأتى ذلك إلا بالحوار الهادف والبناء بدل الاتهامات والاتهامات المضادة الفجة.



لقد طال ليلك أرض السلام!

مروان كُجُك

لَقَدْ طَالَ لَيْلُكِ أَرْضَ السَّلامْ وَآدَكِ[1] ظُلْمٌ شَدِيدُ الظَّلامْ
وَبِتِّ كَأَنَّكِ بَيْنَ الْبَرَايَا تُسَاقِينَ سَوْقَ ذَلِيلِ السَّوَامْ
يَقُودُكِ عِلْجٌ إِلَى مُبْتَغَاهُ شَحِيحُ الْفِعَالِ سَخِيُّ الْكَلامْ
يُزَوِّرُ كُلَّ صَبَاحٍ مَقَالاً بِأَنَّ الْبِلادَ عَلَى مَا يُرَامْ
فَلا ذُلَّ فِيهَا وَلا فَقْرَ فِيهَا وَلا هَمَّ فِيهَا سِوَى أَنْ تَنَامْ



لَقَدْ طَالَ لَيْلُكِ، وَالْمُجْرِمُونَ أَحَلُّوكِ سِجْناً وَخِيمَ الرَّغَامْ
وَقَالُوا: هُنَا الْعَيْشُ حَتَّى تَمُوتِي قَضَى الْقَاضِيَانِ: الْهَوَى وَالْخِصَامْ
بُعِثْنَا لِنَهْدِمَ كُلَّ الْمَعَالِي وَعِثْنَا فَسَاداً بِكُلِّ نِظَامْ
فَنَحْنُ الْعَدُوُّ وَنَحْنُ الصَّدِيقُ وَنَحْنُ الْعِرَاكُ وَنَحْنُ الْوِئَامْ
سَطَوْنَا عَلَى الدَّارِ وَالنَّاسُ فِيهَا فُرَادَى سُكَارَى الْفُؤَادِ نِيَامْ
فَلَمْ نَلْقَ حَرْباً وَلَمْ نَلْقَ إِلاَّ رُؤُوساً تُجِيدُ فُنُونَ الْكَلامْ
لَهَا صَوْلَجَانُ الْحُرُوفِ الْمُقَفَّى وَنَثْرُ تَخَارِيفِ أَهْلِ الْمَنَامْ
تَبِيتُ وَفِي مُقْلَتَيْهَا بَرِيقٌ وَتُصْبِحُ غَارِقَةً فِي الظَّلامْ

(١) أي: أجهدك وشقّ عليك.

تَعِيشُ عَلَى ذِكْرَيَاتِ الْجُدُودِ ... وَتَهْدِمُ مَجْداً رَفِيعَ الْمَقَامْ
وَتَحْيَا عَلَى قَوْلِ: نَحْنُ الأُبَاةُ ... وَتَأْبَى مَسِيرَةَ قَوْمٍ كِرَامْ
وَتَجْتَرُّ فِي النَّاسِ: كُنَّا وَكُنَّا، ... وَتُسْلِمُ مُهْجَتَهَا وَالْخِطَامْ
وَتُعْطِي الزِّمَامَ لِفَسْلٍ ذَمِيمٍ ... سَلِيلِ بُغَاةٍ حَفِيدِ لِئَامْ
بِهِ الْغِلُّ يَأْوِي سَعِيداً وَلُوداً ... قَوِيَّ الْمِرَاسِ شَدِيدَ الضِّرَامْ
يَذُرُّ الرَّمَادَ بِعَيْنِ الْحَسُودِ ... وَيَسْحَرُ لُبَّ الْفَتَى الْمُسْتَهَامْ
وَيَكْتُبُ بِالسَّيْفِ عَدْلاً عَمِيماً ... وَيَمْلأُ أَعْيُنَنَا بِالسِّهَامْ
لَنَا مِنْهُ كُلَّ صَبَاحٍ وُعُودٌ ... تُقِيتُ الظُّنُونَ، تُحَاكِي الْغَمَامْ:
سَنَجْعَلُ أَرْضَ السَّلامِ مُرُوجاً ... حَدَائِقَ غُلْباً، وَجَيْشاً عُرَامْ
يَكِيدُ الْعَدُوَّ وَيَحْمِي الْبِلادَ ... مِنَ الذُّلِ وَالْقَهْرِ وَالإنْقِسَامْ(١)
وَيَبْنِي صُرُوحَ الْحَيَاةِ بُرُوجاً ... وَيَعْدِلُ فِي الْخَلْقِ حَاماً وَسَامْ



لَكِ اللهُ يَا شَامَةً فِي الدِّيَارِ ... وَإِنْ طَالَ لَيْلٌ وَسَادَ طَغَامْ
وَلَوْ كَبَّلُوكِ بِكُلِّ الصُّكُوكِ ... وَظَنُّوا الأُمُورَ انْتَهَتْ لِلْخِتَامْ
فَعُودِي لِرَبِّكِ وَاسْتَرْشِدِيهِ ... وَظَلِّي عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى التَّمَامْ
فَمَهْمَا يَجُرْ فِيكِ مِنْ مُسْتَبِدٍّ ... وَيَجْعَلْ حُصُونَ الْهُدَى كَالْحُطَامْ
فَلَيْسَ لِحُكْمِ الدَّعِيِّ بَقَاءٌ ... وَلَيْسَ لِعَهْدِ الشَّقَاءِ دَوَامْ
وَسَوْفَ نُمَزِّقُ سِتْرَ اللَّيَالِي ... وَنَبْعَثُ فِي الأَرْضِ رُوحَ السَّلامْ

---

(١) الانقسام: مصدر خماسي، وهمزته همزة وصل؛ إلا أنها قطعت لضرورة الشعر.

في السحر

عبد الرحمن السنوسي

رَبَّاه هَذِي جَبْهَتي   تَعْنُو لِوَجْهِكَ فِي حُضُورْ
وَتَسُلُّ مِن أَيَّامِهَا   هَذِي الدَّقَائِقَ في السَّحُورْ
فَلَعَلَّهَا تَحْظَى بِمَا   أَكْنَنْتَ مِن سِرٍّ ونُورْ
وَتَذُوقُ مَعْنًى قَدْ طَوَتْـ   ـه .. سِجَافُ هَاتِيكَ السُّتُورْ
وَتَصُوغُ مِنْ هَالاتِهِ   سَوْطاً لأَهْوَاءٍ تَثُورْ
فَلَقَدْ أَمَضَّ فُؤَادَهَا   فَوضَى بِأَحنَاءِ الصُّدُورْ
وَتَشَعَّبَتْ مِنْ حَولِهَا   فِكَرٌ كَأَسْرَابِ الطُّيُورْ
وَيَسُوقُهَا أَمَلٌ إلى   نَجوَاكَ في كَنَفِ السَّحُورْ
فَلكَمْ حَدَاهَا بُؤْسُهَا..   فَتَصِيح لَيْلاً: ... يَا غَفُورْ
ولَكَم أثَارَ شُجُونَهَا   أَلَمٌ مُمِضٌّ لا يَغُورْ
لا الصَّبْرُ ثَاوٍ في الفُؤَادِ   وَلا المُقِيمُ بِهِ صَبُورْ
أبداً حَيَاتي في عَنَاء   ليس يُحْيِيهَا السُّرُورْ
قَدْ بَرَّحَ الأَلَمُ المُمضُّ   بِهَا وَأَضْنَاهَا الفُتُورْ
فَإِلَيْكَ أَشْكُو شِقْوَتِي   في هَدْأَةِ اللَّيْلِ الوَقُورْ
وإلَيكَ أَرْفَعُ هَامَتِي   ويَدَيَّ إبَّانَ الحُضُورْ
لتَشُدَّ أزري يا كَرِيم   وتمحُ أخْطَاءَ الشُّعُورْ!

شعر

كنت أدعو للصواب

محمد عبد السلام الباشا

عندما أسْفَرَ شَيبي
باكياً عهد الشبابِ
عندما أيقنتُ أنّي
مِنْ تُرابٍ
عائداً نحوَ الترابِ
عندها جالستُ نفسي للحسابِ
قد سألتُ النفسَ
من غيرِ تغابي
علّها تَدري سَوادَ الأمرِ
مِنْ قَبْلِ الجوابِ
علّها تبني مَلاذاً
في جِنانِ الله،، تسعى للثوابِ
هل أقومُ الليلَ في جوفِ الظلامِ؟
هل أبُاري الطيرَ..
في تسبيحةٍ تعني التزامي؟
هل أصونُ الصومَ في شهرِ الصيامِ؟
هل رَعَيْنا حقَّ جيرانٍ لنا قبلَ الملامِ؟
هل نُريدُ الحقَّ..
في أقوالنا عندَ الكلامِ؟
هل نصونُ العهدَ..
حتّى في الخِصامِ؟

هل تَوَاصَيْنَا بِصَبْرٍ ..
في النوازلْ؟
هل أجبْنَا دعوةً للخيرِ..
أو جُدْنا لِسَائلْ؟
هل تَمَسَّكْنَا بأنواعِ الفضائلْ؟
هل سَلَكْنا للعُلا كلَّ الوَسائلْ؟
إنْ فعَلْنَا..
نحنُ في الإبحارِ أقوى
بلْ إلى الخيراتِ نَسعى..
قُلْ ونَهْوى
عندها يزداد شوقي للمآبِ
عندها تُشْرِقُ شَمْسي..
بعد طولٍ للغيابِ
قد دنتْ مني الأماني
في جنانِ اللهِ مِنْ غيرِ عذابِ
عندها تَدْري بأنّي
كنْتُ أدعو للصوابِ
كانَ قَولي:
إنّما الدُّنيا سرابٌ في سرابِ
حاذِرُوها..
إنّها تجري سريعاً كالشهابِ

الأمم المتحدة.. ما حدود صلاحياتها؟!

أ.د. جعفر شيخ إدريس
رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

أظهرت الجلسة الأخيرة الخاصة للأمم المتحدة قضية يجدر بالدول الأعضاء - ولا سيما الإسلامية منها - أن توليها قدراً كبيراً من العناية، لما يترتب عليها من آثار خطيرة بعيدة المدى.

سميت الجلسة بالخاصة؛ لأنها إنما عقدت لإجازة «القرارات» التي كان مؤتمر بالصين قد أجازها قبل خمس سنوات. ولذلك سميت الجلسة «بيجن/٥»(*) وقد أعطيت المنظمات غير الحكومية فرصة لحضور هذه المناسبة لمناقشة القرارات والتأثير على الممثلين الرسميين، وإن لم يؤذن إلا للقليل جداً منهم بحضور جلسات الجمعية نفسها.

لقد كانت مقررات «بيجن» كلها متعلقة بالمرأة، وكان فيها كثير من الاقتراحات الجيدة والمفيدة، كتلك المتعلقة برفع المعاناة عن الشعوب ولا سيما النساء فيها، وكتلك التي تتحدث عن الجوانب السلبية للعلمنة الاقتصادية. لكن المقررات تضمنت أيضاً دعوة إلى الإباحية الجنسية من شذوذ بين الرجال وشذوذ بين النساء، وأن البنت لها الحرية في أن تتصل بمن تشاء وأن تتزوج من تشاء من غير اعتبار لدين، ولا لرأي أسرة.

كنت فيمن شهد هذه الجلسة فرأيت فيها عجباً أثار في نفسي كثيراً من الآراء والمقترحات للجماعات الإسلامية، أرجو أن أتعرض له في مناسبات أخرى. أما الآن فيكفي أن أقول: إن معظم المنظمات غير الرسمية التي شهدت هذه الجلسة كانت من النوع المتحمس للإباحية الجنسية والداعي لها بقوة، حتى إنك تكاد ألاَّ تسمع صوتاً غير أصواتها، وقد بذلتْ جهداً كبيراً ومنظماً في التأثير على الممثلين الرسميين أصحاب القرار. ولولا لطف الله - تعالى - ثم اعتراض بعض المنظمات الإسلامية - وكان من أهمها رابطة العالم الإسلامي - والدول الإسلامية لأجيزت هذه التوصيات الإباحية.

لكن عرض هذا الموضوع على هيئة الأمم أثار في ذهني سؤالاً مهماً انتهزت فرصة وجودي في هيئة الأمم للتعبير عنه بين الجماعات الإسلامية، وللكتابة عنه في نشرات رابطة العالم الإسلامي. والموضوع هو: ما حدود صلاحيات الأمم المتحدة؟ قلت: إنه ليس من حق منظمة الأمم المتحدة أن تصدر قرارات في مسائل تتعلق بالمعتقدات والقيم التي يختلف فيها الناس اختلافاً كبيراً. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إنه بما أن الدول المكونة للأمم المتحدة يختلف كثير منها ذلك الاختلاف الكبير في المعتقدات والقيم؛ فإنه لا يمكن لهؤلاء الأعضاء أن يستمروا متعاونين لمواجهة المشكلات التي تهمهم جميعاً إلا إذا كانوا مستعدين لأن يتعايشوا ويتحمل بعضهم بعضاً رغم هذه الخلافات. إن التغيير في هذه المسائل الجوهرية الأصولية

(*) «بيجن» أي: بكين، وهي عاصمة الصين.

لا يأتي إن أتى - وسواء كان إتيانه إلى خير أو إلى شر - إلا بالتدرج وبالطرق السلمية. لكن الذي نراه الآن هو أن بعض الجماعات الغربية تريد أن تستغل المنظمات العالمية لكي تفرض معتقداتها وقيمها على المجتمعات الأخرى. وقلت: إنني موقن بأن بعض الدول - ومنها الدول الإسلامية - لن تنفذ هذه القرارات. وأن هذا سيؤدي إلى عدم احترام قرارات الأمم المتحدة، وربما أدى في النهاية إلى إضعاف المنظمة وعدم فعاليتها.

إننا - نحن المسلمين - مثلاً لا نأخذ معتقداتنا وقيمنا من الأمم المتحدة أو غيرها من المنظمات، ولا نعدها مصدراً مشروعاً لها، وإنما نأخذها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والغريب الذي لا يعلمه كثير من الناس أن موقف أمريكا شبيه بموقفنا الإسلامي هذا؛ فالدستور الأمريكي والقوانين الأمريكية هي عند الأمريكان فوق كل ما سواها من قرارات واتفاقات، فلا شيء من هذا يصير ملزماً قانوناً إلا إذا أجازته الهيئة التشريعية، وهي لا تملك أن تجيز أمراً مخالفاً للدستور. ولذلك فإن وزيرة الخارجية الأمريكية اعتذرت في خطابها بهيئة الأمم بهذه المناسبة بأن بلدها لم يستطع إجازة مقررات «بيجن» بسبب معارضة بعض الشيوخ!

ونحن نضع كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ فوق كل قانون وكل قرار وكل اتفاق، بل ونفسر ما نوافق عليه منها في حدود هذا القانون الأعلى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثانياً: إن إعلان حقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة يعطي الناس حق الحرية الدينية؛ فماذا يبقى للناس من هذه الحرية إذا أعطت الأمم المتحدة نفسها الحق في أن تفرض عليهم كيف يفهمون دينهم، وماذا يأخذون منه وماذا يدعون، وإلا كانوا معرضين للعقوبات؟ إن المسلم لا يظل مسلماً إذا هو أباح ما حرم الله تعالى، وإن من أشد المحرمات في دين الله جرائم الزنا وعمل قوم لوط. فكأن الأمم المتحدة تطلب من المسلمين إذن أن يتخلوا عن دينهم!! كيف يستقيم هذا مع اعتبار الحرية الدينية حقاً من الحقوق الإنسانية التي تدافع عنها الأمم المتحدة؟

إن الدين في المفهوم الإسلامي هو منهاج الحياة الذي يختاره الناس لأنفسهم، سواء كان هذا المنهاج قائماً على أسس من دين أنزله الله تعالى، أو كان شيئاً اختاره الناس وتصالحوا عليه. فما يسمى بالعلمانية هو بهذا الاعتبار دين، وقرارات «بيجن» هي أيضاً دين. فإذا فرضتها الأمم المتحدة على الشعوب تكون قد أكرهتهم على الالتزام بدين لا يؤمنون به؛ فأين حرية الدين إذن؟

ثالثاً: ماذا يبقى للدول من سيادة قومية إذا كانت قرارات الأمم المتحدة ستكون فوق ما تقرره الشعوب في أوطانها، حتى لو كانت قراراتها صادرة عن هيئات تشريعية كتلك التي توجد في البلاد الغربية؟ لكن الواقع أن هذا التطاول على السيادة القومية لن يمارس إلا على الشعوب الفقيرة والضعيفة. أما الشعوب الغنية والقوية فلن يجرؤ على مساءلتها أو محاسبتها ومعاقبتها أحد. وهذا يعني أن ما تقرره أو ترضى عنه الشعوب في الدول القوية هو الذي يفرض عن طريق الهيئات العالمية على الشعوب الفقيرة. هذا على افتراض أن الشعوب هي فعلاً التي تقرر. أما في الواقع الذي نراه فإن شعوب تلك البلاد هي نفسها مستغلة ومسخرة لأهواء جماعات أقلية غنية نشطة.

إذا كانت الحكومات القطرية تحدد صلاحيات الحكومة الفدرالية أو المركزية وصلاحيات حكومات الولايات أو الإمارات؛ بحيث لا يجور بعضها على بعض، أفلا يكون من العدل أن تحدد صلاحيات منظمة الأمم المتحدة، وصلاحيات الحكومات القطرية المكونة لها؟

الرؤية أم الحساب؟!

الخلاف شر

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

من المسائل المتفق عليها قديماً وحديثاً: إعذار المجتهد المخالف؛ فما زال العلماء يخالف بعضهم بعضاً في مسائل الاجتهاد، ولا يمنعهم ذلك من التواد والتحاب؛ وأقوال الأئمة في ذلك كثيرة جداً، منها:

قال يحيى بن سعيد الأنصاري - وهو من أجلاَّء التابعين - : «ما برح المستفتون يُستفتَوْن، فيُحل هذا، ويُحرِّم هذا، فلا يرى المحرِّم أنَّ المحلِّل هلك لتحليله، ولا يرى المحلِّل أن المحرِّم هلك لتحريمه»[١].

وقال سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»[٢].

وقال ابن قدامة المقدسي: «لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه؛ فإنه لا إنكار على المجتهدات»[٣].

وقال ابن تيمية: «التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله»[٤].

وهذه المسألة على الرغم من وضوحها وجلائها واتفاق الناس عليها إلا أن في تطبيقها عند بعض الناس خللاً ظاهراً؛ فخلافٌ يسير في مسألة فقهية اجتهادية يسوغ فيها الخلاف يؤدي إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية. نسأل الله السلامة.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٠٣).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/٦٩).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي (١/١٨٦).

(٤) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٣/١١٦).

ومن المسائل الفقهية التي يتجدد حولها الجدل في البلاد الغربية خاصة في مثل هذه الأيام، مسألة: (إثبات دخول شهر رمضان وخروجه)؛ فمنهم من يرى وجوب الاعتماد على الرؤية، ومنهم من يرى الاعتماد على الحساب. والقائلون بالقول الأول يختلفون فيما بينهم على أقوال: فمنهم من يرى اعتماد رؤية مكة، ومنهم من يرى اعتماد رؤية أقرب بلد إسلامي، ومنهم من يرى اعتماد رؤية أي بلد إسلامي...

ومثل هذا الخلاف أدى في العام المنصرم في بعض المدن الأوروبية ـ مثلاً ـ إلى جدل عريض، ثم تطور إلى قيل وقال، ثم وصل الحال إلى تراشق بالتهم عند بعضهم، وراح بعض أتباع كل فريق يستدعي خلافات أخرى، ويستثير كوامن من الاختلافات القديمة..!! ووقع بعضهم فيما أشار إليه العلاَّمة القاسمي بقوله: «غريبٌ أمر المتعسفين، والغلاة الجافين، تراهم سراعاً إلى التكفير والتضليل، والتفسيق والتبديع، وإن كان عند التحقيق لا أثر لشيء من ذلك إلا ما دعا إليه الحسد، أو حمل عليه الجمود وضعف العلم»[1].

فالقائلون بالقول الأول: يرون إخوانهم قد ردوا النص الشرعي، وساروا على منهاج أهل الأهواء من العقلانيين الذين لا يعظمون النصوص ولا يرعون حرمتها، وربما عظم بعضهم هذا الخلاف، وزعم أنه ليس خلافاً فقهياً، بل هو خلاف منهجي، وما الخلاف في هذه المسألة إلا أثر من آثاره!!

والقائلون بالقول الثاني: يرون إخوانهم قد جمدوا في فهم دلالة النص، فمقصود الشارع أن يتثبت الناس من دخول الشهر، فإذا استطاعوا معرفة دخوله بأي طريقة علمية صحيحة فثمَّ مقصود الشارع. والحساب الذي ردَّه المتقدمون من أهل العلم كابن تيمية وغيره هو الحساب الظني الذي يكثر فيه خطأ الحسابيين واختلافهم فيما بينهم، أما الحساب في هذا العصر فقد تغيرت آلياته وتطورت أدواته، وأصبحت نسبة الخطأ فيه قليلة جداً، والشرع لا يأتي بما يخالف العقل.

وأحسب أن حسم الخلاف بين الفريقين متعسر جداً إن لم يكن متعذراً؛ فمن جاء بفتوى من أحد العلماء رُدَّ عليه بفتوى أخرى مخالفة لها من عالم آخر، وكل عالم لدى صاحبه أوْلى بالاتباع من الآخر.

إذن ما الحل في ظل غياب الولاية الإسلامية التي تجمع الناس على رأي واحد؟!

أرى أن أمامنا خيارين:

● **الخيار الأول:** أن يأخذ كل مركز بما يرى أنه الأرجح، وعلى الأئمة ومديري المراكز الإسلامية والمساجد أن يتقوا الله ـ تعالى ـ في الترجيح، ويبذلوا الجهد في الوصول إلى الحق الذي تبرأ به الذمَّة، ويستشعروا عظم الأمانة المناطة في أعناقهم.

ثم ينبغي لكل مركز ومسجد أن يقدر رأي الآخرين الذين خالفوه، ويلتمس لهم العذر، ويذبَّ عنهم، ولا يسمح بالجدل والمراء.

وهذا الرأي وإن كانت نتيجته تفريق الناس في المدينة الواحدة، إلا أن فيه قطعاً لمادة الخلاف والتنازع، وسداً لأبواب الغيبة والنميمة، قال ابن تيمية: « .. وإن رجح بعض الناس بعضها [يعني:

---

(١) الجرح والتعديل، للقاسمي (ص ٣٧).

بعض الاجتهادات] ولو كان أحدهما أفضل؛ لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب بإجماع المسلمين، بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه بإجماع المسلمين، ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة»[1].

● **الخيار الثاني وهو الأولى والأرجح**: أن يجتمع أهل الرأي من الأئمة ومديري المساجد والمراكز ويتدارسوا المسألة، ثم يخرجوا باتفاق موحَّد؛ ويتطلب هذا حرصاً من الجميع على ضرورة التآلف والاتفاق، والالتزام بقول النبي ﷺ: «تطاوعا ولا تختلفا»[2]. فليس المقصود أن ينتصر المرء لرأيه، بل المقصود هو تحقيق المصلحة الشرعية؛ فمفسدة التدابر والتنابذ والتقاطع أعظم أثراً وأشد خطراً من الأخذ بأحد القولين؛ لأن غاية ما في أحدهما أنه اجتهاد مرجوح يثاب عليه صاحبه بأجر واحد، وأما الاختلاف فكما أنه يزيد من الشرخ المستشري في جسد العمل الإسلامي، ومدعاة لسخرية غير المسلمين من المسلمين؛ فهو مخالف لمقصود الشارع الذي أمر بالتعاون على البر والتقوى، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾.
[**آل عمران**: ١٠٥].

أنا لا أدعو إلى المثالية في إنهاء الخلاف برمته؛ فهذا أمر غير واقعي على الإطلاق، ولو سلم منه أحد لسلم منه أصحاب النبي ﷺ، ولكن الذي نهى عنه علماء السلف والخلف: هو أن يتحول الخلاف إلى صراع وتصادم وشقاق. قال الإمام الشاطبي نقلاً عن بعض المفسرين: «فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**﴾ [**الأنعام**: ١٥٩] .... فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [**آل عمران**: ١٠٣]، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدثٍ أحدثوه من اتباع الهوى. هذا ما قالوه، وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف؛ فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين»[3].

وها هنا مسألة جديرة بالاهتمام: فإذا آمنا بأن مسألة (إثبات دخول الشهر وخروجه) مسألة خلافية يسع فيها الاجتهاد، فهل يصح للإنسان أن يترك الرأي الراجح الذي يراه، ويأخذ بالرأي المرجوح، من أجل توحيد الكلمة وتأليف القلوب وتجميع الصفوف ودرء النزاع والتدابر؟! أم أن ذلك من التفريط والتمييع والتساهل والاجتماع على أرض هشة؟!

والحق الذي لاريب فيه أنَّ مصلحة الاجتماع والائتلاف أولى، وترك الرأي الراجح تحقيقاً لهذه المصلحة ممَّا دلَّ عليه الشرع المطهر، وإذا تعارضت

---

(١) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (٣/١٢٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٣٣).

(٣) الموافقات (٤/١٨٦ ـ ١٨٧).

المصالح، فتحصيل المصلحة الأعلى مقدم على المصلحة الأدنى، كما هو مقرر في علم الأصول، قال ابن تيمية: «.. ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك. ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسناً، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن عائشة أنَّ النبي ﷺ قال لها: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه»(١). وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يُجهَر بالبسملة عند المعارض الراجح، فقال: يجهر بها إذا كان بالمدينة. قال القاضي: «لأن أهلها إذ ذاك كانوا يجهرون، فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها، وأن قراءتها سنة، كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة»(٢).

إذن فالمسألة تحتاج إلى فقه رشيد يتسع فيه الصدر، ويسمو فيه المرء عن أهوائه؛ فليس الفقيه هو الذي يتعصب لرأيه، أو يشدِّد على الناس، وقديماً قال الثوري: «إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد»(٣).

وكأني بقائل قد يقول: إننا ـ معاشر أهل الحق ـ إذا تنازلنا عن رأينا في مسألة فقهية اجتهادية من أجل اجتماع الصف؛ قادنا ذلك إلى التنازل في مسائل منهجية وعقيدية أخرى فيكثر الخلط، وتتميع الصفوف..!

وهذا تحفُّظ مردود؛ لأنَّ التنازل في مسائل منهجية وعقيدية انحراف غير سائغ، وهو مخالف للسبيل الشرعي الذي سلكه سلفنا الصالح، ولكن الذي ندعو إليه هو التحاور والتطاوع في مسائل اجتهادية يسع فيها الخلاف تحقيقاً لمصلحة أعظم نفعاً بإذن الله، ومراعاة لقاعدة تعد من أعظم قواعد الإسلام وأصوله، وهي: الاعتصام بحبل الله تعالى، وترك التفرق والاختلاف المذموم، وها هو ذا عبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يترك رأيه بقصر الصلاة في الحج ويأخذ بفعل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لمَّا رأى الإتمام؛ فلمَّا سئل عن ذلك قال: «الخلاف شر»(٤)، وفي رواية: «إني أكره الخلاف»(٥). فهذا خلاف في مسألة متعلقة بركن مقدَّم على الصوم، وقعت في ذاته لا في زمانه، ومع ذلك فقد تطاوع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولم يختلفوا؛ فللّه دَرُّهُمْ! وما أحوجنا للاهتداء بهديهم.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق، وأعذهم من نزغات الأهواء.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم (٢٦ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ .. وغيرها)، ومسلم (٢/٩٦٨ ـ ٩٧٣).

(٢) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٣/١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١٠/٧٨٤).

(٤) أخرجه: أبو داود، رقم (١٩٦٠).

(٥) أخرجه: البيهقي (٣/١٤٤). والحديث أصله في صحيح البخاري، رقم (١٠٨٤ ، ١٦٥٧).



تفكيك أمريكا

المؤلف: رضا هلال
عرض: وائل عبد الغني

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٨م
الإعلامية للنشر
٢٢٩ صفحة ـ كبير

نقلت السيولة اللغوية التي يحياها العالم اليوم « التفكيك » من عالم الماديات إلى مجال الاجتماع والسياسة ، في دراسة التجربة الإنسانية الفردية والجماعية من خلال الفكر والممارسة ومعرفة وسائل ممارسة السلطة وأساليبها من الفرد والمجتمع .

وفي النموذج الأمريكي يرتبط التفكيك بالتفكك ـ كما سنرى ـ برابط كالرابط بين الدليل والدلالة ، أو البرهان والقضية .

فالولايات المتحدة الأمريكية ـ التي يراها المؤلف فكرة أكثر من كونها دولة ـ آخذة في انفراط عقدها داخلياً ، وهي في ذلك أشبه ما تكون بثوب مبهرج تبدو بهرجته بادي الرأي للبسطاء والسذج شديدة الجاذبية ، لكن عند التدقيق ترى رقعاً شوهاء تفتقر إلى التناسق في غالب أحيانها إلى جانب هشاشة الرابط أو التنافر بين الرقع ؛ تلك هي أمريكا تحت المجهر .

والمؤلف الذي قسم كتابه إلى : مقدمة ، وخاتمة ، وملحق ، ضمَّنه نصاً لإعلان الاستقلال ، والدستور الأمريكي وتعديلاته ، بالإضافة إلى لبِّ الكتاب بفصوله الخمسة ؛ استفاد في تأليفه من اطلاعاته ودراساته وطبيعة عمله مراسلاً صحفياً في حشد الأرقام والشواهد والمتابعات الخاصة ؛ مما يسهل من محاولة فهم الواقع الأمريكي الذي يبدو لأول وهلة مستعصياً على التفكيك .

الفصل الأول: شخصية أمريكا:

يتناول في هذا الفصل السمات العامة للشخصية الأمريكية على المستوى الفردي والاجتماعي والآليات التي استخدمت في تشكيل هذه الشخصية .

● فالشخصية النموذج : هي شخصية « الفرونتيير » أو « الرائد المكتشف » الذي تحرك نحو أرض الأحلام ، والتي تطورت وفق الظروف إلى « الغازي المتقدم » (الكاوبوي) الذي اجتاح القارة طمعاً في الثروة وحباً للسيطرة ، وحين سيطر على القارة ؛ دفعته أطماعه نحو الخارج في مشروعه الإمبريالي .

هذه الشخصية تمثل الشخصية الأمريكية النموذجية التي تتسم بعدة سمات نفسية وفكرية أهمها :

- الطموح : الذي يحفز على العمل ويدفع نحو المجهول؛ لاعتقاد أن ما هو كائن وراء الأفق لا يمكن إلا أن يكون الأفضل.

- ومنها : الاعتماد على الذات في مواجهة ظروف العيش القاسية التي واجهها المكتشف مرة مع الأرض الجديدة، ثم واجهها «الكاوبوي» مرة أخرى مع السكان الأصليين «الهنود الحمر»، والصفتان السابقتان جعلتا المجتمع في حالة سيولة دائمة؛ فهناك ٤٠ مليون أمريكي يغيرون مساكنهم سنوياً كما يغيرون وظائفهم وأزواجهم، والأمريكي يغير مسكنه خلال عمره بمتوسط ١٤ مرة.

- وسمة ثالثة : هي «الفردية المقدسة» التي طغت بجوانبها المختلفة على الوجدان الأمريكي، بدءاً بـ «المذهب البروتستانتي» الذي يرفض وصاية الكنيسة ويرى فردية التجربة الدينية، ومروراً بـ «الرأسمالية» التي تقدس الملكية الفردية، وانتهاءاً بالديمقراطية التي تقدم الحرية الفردية على المصلحة الجماعية، وربما كان لتقديس الفردية أسبابها التاريخية والأيديولوجية خلال النشأة والتكوين لضمان البقاء والتوحد والاستقلال، ولكنها كانت بداية أزمة كما كانت طرف حل؛ لأنها أوجدت أنواعاً من الصراع بين الفرد والفرد، والفرد والمجتمع، والفرد والدولة؛ وذلك للنسبية السائدة في تفسير القيم وتأويل المصطلحات.

- مثل هذا الجو أفرز الفلسفة الأمريكية الوحيدة «البراجماتية» التي تعلي من مصلحة الفرد بوصفها قيمة فوق كل القيم، وتؤمن بالنتائج العملية دون اعتبار للثقافة. وقد أشار المؤلف إلى سمات أخرى مثل : الاعتداد بالذات، والتعالي على الآخر، والعدوانية الشديدة - في مواضع أخرى من الكتاب.

بوتقة الانصهار :

أما الآلية التي تم بها ختم الشخصيات المهاجرة إلى أمريكا بالختم الأمريكي (أي : لتتأمرك) - بعد أن خلَّف السدس رصيداً أسود من التجربة فكانت فكرة أخرى مارسها الرجل الأبيض للحفاظ على السمة الأمريكية وهي فكرة «بوتقة الانصهار» أي أن الجميع ينصهرون بماضيهم داخل هذه البوتقة لتتأمرك شخصيتهم، ولكن هذه الفكرة لم تكن سوى لون من الهيمنة المستترة للثقافة الأنجلو - ساكسونية على باقي الثقافات ليصبح «الأمريكي» هو «الإنجليزي المعدل»، هذه الهيمنة تصطدم صراحة مع قيم حرية التحييد والمساواة، لكنها جعلت اللغة والقوانين والمؤسسات والأفكار السياسية والعادات والآداب والصلوات كلها أمريكية؛ ولكن المجتمع الأمريكي لم يكن «بوتقة انصهار» وإنما كان «صحن سلَطة» اختلطت فيه الأصناف دون أن تمتزج.

لكن هذه الفلسفة ما لبثت أن تراجعت أمام الفلسفة الإثنية والجيتو العرقي ضد هيمنة الرجل الأبيض؛ إذ يتزايد الآسيويون بنسبة ١٠٨٪ (زيادة معدل المواليد والهجرة)، والهيسبانيون بنسبة ٥٣٪، والسود بنسبة ١٣٪ بينما لم تتعد نسبة البيض ٦٪؛ ووفقاً لهذه المعدلات فإن القارة البيضاء يمكن أن تتحول إلى اللون البني أو الرمادي في غضون ٢٠ أو ٣٠ سنة.

رسالة أمريكا «المصير المبين» :

القوم كما يقدسون الفردية يقدسون كل ما هو

أمريكي؛ لأن أمريكا ـ كما يقولون ـ منحة الله للأرض، وأنه أوكل إليها حراسة معاقل الحرية في العالم، وأن السلام يسود على يديها؛ ولهذا فهي تقوم بدور رسالي وعليها أن تسيطر على العالم؛ لأن مصير العالم ـ المبين ـ أو نهاية التاريخ سيكون أمريكياً، هذه النظرية شكلت الخلفية العقدية والفكرية لدى صانع القرار والرأي العام في التدخلات الأمريكية في العالم؛ لأن التدخلات تعني مباركة الرب لأمريكا، ومن ثم كانت التدخلات بدءاً بالحرب الأوروبية (العالمية) الثانية وانتهاءاً بالتدخلات الأخيرة ومروراً بإيران ودول أمريكا الجنوبية وفيتنام والخليج؛ ففي كل مرة لم تعدم الولايات المتحدة مسوغاً؛ فقد كان أولاً: مواجهة الشيوعية، ثم مكافحة الإرهاب، ثم حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان والحماية من الاضطهاد الديني؛ أما الهدف المستتر فهو تمكين المصالح الاقتصادية الأمريكية من التوسع على مستوى الأرض؛ لأن من حق أمريكا مقاسمة الآخرين أقواتهم ومقدراتهم!

وبعد بيان الملامح وطريقة التشكيل يرسم المؤلف لأمريكا صورة بالأرقام:

- فالسكان (٢٦٧ مليون) منهم ١٩٤ مليون بيضاً، ٣٣,٨ مليوناً سوداً، ٢٩,٥ مليوناً إسبانيين، ١٠,٥ ملايين آسيويين، ٢,٢ مليونان ومائتا ألف هنوداً حمراً.

- وكان ٣٦,٥ مليون أمريكي تحت خط الفقر (عام ١٩٩٦م).

- ٥٥ ٪ هي نسبة المتزوجين في الرجال، ٥٢ ٪ في النساء (فوق ١٥ سنة).

- ١٠٣٣٧ عدد المحطات الإذاعية الخاصة.

- ١٧٠,٢١٢ مليار دولار هو رقم العجز التجاري (عام ١٩٩٦م).

- (٣٤ ٪ زنوج، ٦٣ ٪ بيض، ٥١ ٪ هسبانيون) يرون أن الشخصية الأمريكية تغيرت للأسوأ خلال عشرين سنة ماضية.

- و (٤١ ٪ زنوج، ٢٦ ٪ بيض، ٣٨ ٪ من الهسبانيين) يرون أن أمريكا لن تبقى أمة واحدة بعد قرن.

- معدل الجريمة ٥٠٧٨٩ في المليون.

الفصل الثاني: أمريكا الحلم والسياسة:

في هذا الفصل يقابل بين قيم الحلم الأمريكي حول الحرية ـ والمساواة ـ والسعادة، وبين الواقع المليء بالازدواجية والبراجماتية والمعضلات التي يتسرب الحلم تحت ضغطها؛ فبينما يحصل الـ ٢٥ ٪ من العائلات الأكثر غنى على ٥١,٣ ٪ من الدخل عام ١٩٩٣م فإن نصيب الـ ٢٥ ٪ الأفقر كان ٦,٢٥ ٪؛ ولكن الفارق يزداد مع الوقت. أما نسبة الفقراء فقد بلغت ١٨ ٪ عام ١٩٩٥م إضافة إلى ٣٥ مليوناً يعيشون دون تأمين صحي. أما العائلات التي تمثل نسبتها ١ ٪ الأكثر غنى فتمتلك ٥,٦ تريليون (ألف مليار) دولار.

ومع اتساع الهوة يتحول الحلم الأمريكي في المساواة وتكافؤ الفرص إلى كابوس بفعل النخبة الطفيلية التي تحاول زيادة نصيبها من الثروة على حساب الفقراء؛ حتى إن بعضهم لا يعد نفسه أمريكياً وعلى استعداد للإقلاع بطائرته إذا ما وقعت أي هزات داخلية.

* المعضلة الثانية: لما كانت المعضلة الأولى هي تجاور الأغنياء والفقراء في مجتمع واحد فإن المعضلة

الثانية تتمثل في تجاور أمتين من السود والبيض، وصعود ما يعرف بـ «القبلية الجديدة» فالجيتو الزنجي تتزايد خصوصياته الثقافية والأيديولوجية المنبثقة من اللون - يوماً بعد يوم - في أحياء وأعمال ووضع اجتماعي ومعيشي يحكي جزءاً من الحرب العنصرية التي جعلت الحديث عن المساواة أشبه بطرفة ثقيلة، بعد تجربة ثلاثة قرون مليئة بالمرارة والازدواجية الأخلاقية والسياسية خلفت العنف والعنف المضاد. وقد بلغت جرائم العنف العنصري عام ١٩٩٣م وحده: ٦٢٧٧٥٩ جريمة.

* **أما المعضلة الثالثة**: فتتمثل في رأسمالية البورصة بوصفها نموذجاً متضخماً لحجم الاقتصاد الحقيقي؛ حيث تبلغ التعاملات في الدقيقة الواحدة ٢٠ مليون دولار تدور كلها في إطار الرأسمالية المالية - مرحلة ما بعد الرأسمالية التجارية والصناعية - التي تقامر في الأوراق المالية، وتكمن خطورة الوضع في أن كل لحظة تحمل في ثناياها فرص الانهيار التام أو الصعود.

* **والمعضلة الرابعة**: تتمثل في الصدام بين الرأسمالية والديمقراطية.

وقد عرف هذا الصدام منذ وقت مبكر، وكثر حوله الجدل بين طرفين: طرف يرى أن الأحق بالحكم هم الأقلية المالكة الرأسمالية، والآخر يرى أحقية الأغلبية وإن كانوا فقراء، وانحاز مجلس الشيوخ إلى مصالح الأغنياء، بينما عبر مجلس النواب عن مصالح الفقراء، ولضمان حقوقهم أكثر أنشؤوا الحزب الديمقراطي، فأنشأ الرأسماليون الحزب الجمهوري الذي استطاع بتحالفه مع المال أن يقلب الطاولة على ما قيل إنه ديمقراطية. ونتيجة لذلك دخل النظام السياسي في أزمة مستفحلة ضد الأغلبية نتيجة الضغوط التي تمارسها مجموعات المصالح ولجان العمل السياسي؛ حيث أصبح المرشحون عرضة للشراء في سوق مالية بمال وطني وأجنبي.

* **وأما المعضلة الخامسة**: فتتمثل في سيطرة اللوبي الصهيوني والتراث اليهودي - المسيحي؛ فسيطرة التراث اليهودي - المسيحي على العقلية الأمريكية مثَّل مركز دعم ونقطة ارتكاز للوبي الصهيوني الذي رتب أجندته مبكراً وجمع أوراقاً كثيرة في يده منها:

- وسائل الإعلام التي يمتلكها اليهود أو يسيطرون عليها، ورموزهم الإعلامية المؤثرة وذات الشعبية الكبيرة؛ هذه الورقة تستخدم وسيلة للضغط ولتشكيل الرأي العام في آن واحد.

- ومنها جماعات الضغط التي تطوِّق مؤسسة الرئاسة والكونجرس[1] من خلال الدعم المالي وغيره؛ فهناك ٧٦ عضواً في مجلس الشيوخ من مجموع ١٠٠ عضو قد تلقوا الدعم المالي المباشر من لجان الإيباك بالإضافة إلى ٣٢٤ من مجموع أعضاء مجلس النواب البالغ ٤٣٧ عضو.

- ومنها التسلل غير العادي لليهود إلى مراكز صنع القرار منذ عهد بوش.

- ومنها ما أشرنا إليه من تسلل المفاهيم التوراتية إلى العقيدة الإنجيلية التي تجعل من دعم اليهود وإسرائيل ليس مجرد موقف سياسي بل التزاماً عقدياً أيضاً؛ فهناك ٢٥٠٠ منظمة إنجيلية داخل أمريكا تمارس هذا الدعم بصوره المختلفة.

---

(١) كشف الرئيس ترومان حجم الضغوط التي تعرض لها من اليهود لدعم دولتهم في عام ١٩٤٨م، ومن أبرز صور الضغط ما مارسه اللوبي لإثناء الرئيس فورد عن منح الأردن صفقة صواريخ هوك.

* أما المعضلة السادسة: فتتمثل في تناقض القوة العسكرية والتراجع الاقتصادي: يرى نعوم تشومسكي أن النظام العالمي أحادي القطبية عسكرياً، لكنه ثلاثي اقتصادياً: «اليابان، وألمانيا، والولايات المتحدة»، ولكن القوة العسكرية دون قاعدة تدعمها كارثة، ولكم أثقلت هذه القوة كاهل دافعي الضرائب، وإذا كانت الولايات المتحدة نجحت على المستوى العسكري إلا أنها لم تثبت جدارة في مجالات أخرى مثل: البيئة والمخدرات والمنافسة الاقتصادية؛ فمع أن إنفاقها على الدفاع يقدر بـ ٣٠٠ مليار دولار وتخصص له ٦٥٪ من جهود البحث فإن الصناعة لا تستحوذ إلا على ٢٪ في أواخر الثمانينيات. وكان لذلك أثره على تدهور الصناعة وتراجع معدل نمو الإنتاجية، وزيادة الديون الخارجية، وعجز الميزانية والميزان التجاري وميزان المدفوعات، وتراجع الاقتصاد الصناعي لصالح اقتصاد الخدمات، ولهذا فإن استطلاعات الرأي بين الأمريكيين تشير إلى أن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، ولا أمل في الإصلاح إلا من خلال كارثة قومية؛ لأن طبيعة السلطة تحول دون تمرير تشريعات للإصلاح، كما أن النظام الحزبي في حالة من السيولة، والطريق مفتوح أمام جماعات المصالح، والتغير الديموغرافي في غير صالح الرجل الأبيض وله ظلاله على المستقبل السياسي والاقتصادي، والشركات المتعددة الجنسيات تلعب دوراً خطيراً لإبقاء الأمور على ما هي عليه، والمأزق يزداد تعقيداً؛ فقد بلغت الديون الخارجية ٤,٣ تريليون دولار في عام ١٩٩٥م في مقابل ١٤ مليار في عام ١٩٩١م.

الفصل الثالث: الدين الأمريكي:

مع أن الولايات المتحدة علمانية؛ بمعنى أنها لا تتبنى مذهباً معيناً، إلا أن الدين فيها له مكانة قوية، حتى إن أول تغيير للدستور كان سببه الدين، وقبل هذا ارتبط المؤسسون الأولون للدستور (البيوريتان) بالدين ارتباطاً واضحاً في ارتباط تحركاتهم وأسمائهم وأحلامهم بالكتاب المقدس، ومع كثرة الطوائف والخوف من الاضطهاد أو نشوء حرب دينية أسس جيفرسون فكرة إيجاد حائط فاصل بين الكنيسة والدولة يحمي من الاضطهاد الديني، أو بمعنى آخر إبعاد السلطة عن المجال الديني، وكان ذلك الحائط يرتفع حيناً، وينخفض حين تعلو موجة من التدين الفكري العام، ومع مجيء كارتر أخذ هذا الحائط بانخفاض مستمر حتى إن المحكمة العليا انقلبت على أحكامها السابقة بزواية ١٨٠ درجة.

ولكي نتفهم طبيعة الدين الأمريكي لا بد من معرفة الخريطة الدينية التي تتشكل من: ٨٨٪ من النصارى (٦٠٪ بروتستانت، ١٧٪ كاثوليك، ١٪ أرثوذكس) ٢٪ يهود - ١٪ مسلمون[1] - ٢٪ ملحدون - ٣٪ لا دينيين - ٤٪ أديان أخرى.

ومن خلال هذه الخريطة يظهر جلياً أن المسيحية هي الضلع الثالث لمثلث ضلعاه الآخران الديمقراطية وفلسفة «دعه يعمل دعه يمر»، وكانت المسيحية كالفينية مصطبغة بالأمريكية متسمة بالمادية والفردية تركز على فردوس الدنيا وليس على فردوس الآخرة.

وقد لعب الدين الأمريكي دوراً مهماً في ترسيخ الانقسام؛ حيث ظلت الكنائس بمذاهبها المختلفة أسيرة العرق والطبقة نتيجة عدم وجود كنيسة رسمية للدولة. في هذا الخضم برز نجم الأصولية

(١) يبدو أن هذه الإحصائية غير دقيقة؛ لأن المسلمين البالغ تعدادهم ١٠ ملايين يمثلون نسبة ٣,٧ تقريباً.

الإنجيلية واستطاعت أن تكسب أنصاراً وتوحد صفوفها لتلعب دوراً سياسياً قوياً؛ فقد لعبت دوراً في إنجاح كل من ريجان وبوش. ومنذ عام ١٩٩٠م دخلت في تحالف مع الحزب الجمهوري، ورفعت شعاراً أكثر صراحة مثل «حزب الله».

ومع نجاح كلينتون الديمقراطي تحول اليمين إلى الكونجرس لينال الأغلبية في المجلسين، وبهذا يعود الدين قوة محركة لعجلة السياسة، ومن مواقف أكثر توراتية متزعمة الحملة الصهيونية العالمية تحت ستار حماية المسيحيين المضطهدين في العالم بما يهدد بصدام عالمي محتمل، وقد حقق الإنجيليون هذه المكاسب من خلال عمل مؤسسي منظم يحمل برنامجاً متكاملاً ويمتلك من وسائل التأثير ما لا تمتلكه دولة قوية.

وعند تحليل الخطاب الإنجيلي يبدو واضحاً البصمة اليهودية التي اخترقت البروتستانتية منذ مارتن لوثر ثم تجذرت مع الأيام.

الفصل الرابع: حالة الجنس في أمريكا:

تضخم الجنس في الولايات المتحدة حتى أصبح ظاهرة من حيث المعايير والسلوك؛ حيث لا يمكن لمن يحلل المجتمع الأمريكي أو الفكرة الأمريكية أن يتجاوزه؛ لأنه أصبح جزءاً من صلب المكون الثقافي والاجتماعي الأمريكي.

وأصبح - كمال الثقافة الأمريكية مادة لقلب الحقائق؛ فالشذوذ تحرر جنسي، والفوضوية في العلاقات ثورة جنسية، وإلغاء قوامة الرجل مساواة، وحماية الشواذ تسامح جنسي، والخوض في أدق خصوصيات العلاقة ثقافة جنسية من حق الجميع!

والمؤلف في هذا الفصل تجاوز حدود ما يمكن أن يكون نقلاً علمياً إلى ما يمكن أن يكون تزويقاً أو تسويقاً؛ لأن مجاراة القوم في خوضهم لا يخضع للنسبية، والنزول على اصطلاحاتهم بُعد عن الفطرة وعدوان عليها.

ومن يطالع الفصل يرى كيف تآكلت مسألة الأعراض وفقدت حساسيتها لدى الأمريكيين؛ نتيجة لقيام الرأسمالية بتفكيك المجتمع وروابطه والتي من أهمها رابطة الزوجية والمصاهرة وهو الأمر الذي أوجد حالة من الفوضى الاجتماعية والأخلاقية؛ حيث أصبحت المرأة سلعة تباع وتشترى وتُسوَّق وسيلةً للجذب والإعلان وعقد الصفقات دون أدنى مشقة! وأصبح البغاء صناعة ذات أعراف وتقاليد وسوقاً يبلغ حجم أمواله ١,٥ تريليون دولار تقوم عليه مافيا تحميه من مؤسسات الدولة. كما حولت أفلام هوليود بإصداراتها المتتابعة في هذا المجال الولايات المتحدة إلى ماخور كبير، وإلى جانب هوليود تأتي الدوريات والقنوات التلفزيونية، وانتشار وسائل منع الحمل، وتوفر أدوات خاصة بالممارسة، وظهور النظريات التي تشجع على الحيوانية والشذوذ كـ «نظريتي دارون، وفرويد»، وكان لتمرد المرأة على استغلال الرجل أثر بالغ في انتشار حزمة من الأفكار التي تدعو إلى زواج المرأة بالمرأة والانقلاب على القوامة والأسرة - وبعد أن فقد المجتمع المناعة الأخلاقية والدينية إلا من بقية من الكاثوليك أفاق الجميع على صدمة الإيدز، وتبنت الدولة على استحياء - برنامجاً لنشر ثقافة تحمي من الأمراض، وعاد الحديث عن الأسرة بوصفها مؤسسة مهمة؛ ففي دراسة أجريت على عينة ممثلة لفئات المجتمع وافق ٩٠٪ على أن العائلة هي المؤسسة الأكثر أهمية في المجتمع الأمريكي، ولكن الكثيرين من هؤلاء فقدوا طريق العودة؛ إذ لم تتجاوز نسبة من لديه استعداد لإقامة أسرة سوى ٢٠٪ من الرجال، و١٣٪ من النساء!

وبهذا يبدو أن المجتمع فقد طريق الرجعة إلا أن يشاء ربي شيئاً سبحانه.

الفصل الخامس: الثقافة الشعبية الأمريكية:

هل يعني إفراد المؤلف هذا الفصل للحديث عن الثقافة الشعبية لا عن ثقافة النخبة أن الثقافة الأمريكية ثقافة تافهة ولا تعرف ثقافة النخبة على عكس الحال في فرنسا - مثلاً - أم أن البراجماتية الأمريكية لا تعبأ بثقافة النخبة، وأن الثقافة الشعبية هي الأبلغ أثراً - على اعتبار أن النقد الرديء يطرد النقد الجيد؟

وأياً كانت الإجابة فإنها سبة للثقافة هناك. أما عن الخلطة السحرية للثقافة الأمريكية فتتبنى الوسيلة أكثر من تبنيها للغاية، وتعتمد الاستهلاك لا البناء، وتعكس إلى حد بعيد الصورة النفسية للأمريكي المشبع بالغرور وحب الذات وجنون القوة ونزعة الأنا العنصرية.

والتوليفة التي يرى المؤلف أنها تعبر عن مضمون الثقافة الأمريكي هي:

أفلام هوليود ومادتها الرئيسة حول العنف والجنس، والنجوم الأمريكيون المعبرون عن الذوق الأمريكي في تجاوز الموضة والجنس، وأفلام رامبو التي تصنع رأياً عاماً لتأييد مواقف مستقبلية، وأغاني الراب في تعبيرها عن التصدع الثقافي المتمثل في تمرد الجيتو الزنجي، والنظرة الذاتية للآخر «نظرة الاستعلاء والتنقص».

● وفي الخاتمة: يلخص المؤلف نتائج التفكيك في أن الولايات المتحدة تحيا أزمة حقيقية ومتكاملة، ويخلص إلى أن العنصر الأهم في الأزمة يكمن في العقيدة الأمريكية وتناقضات المفاهيم حول الحرية والمساواة والديمقراطية والرأسمالية، وتتعارض هذه القيم بعضها مع بعض في كثير من الأحيان؛ فالولايات المتحدة ليست بالدولة العضوية كألمانيا التي قامت على تلاقي عرق ولغة وثقافة - أو الدولة القومية كفرنسا، وإنما هي متعددة الأعراق والثقافات جمع بين أطرافها العقيدة الأمريكية لهيمنة الثقافة الأنجلو - ساكسونية لقرون، ولكن استمرار الولاءات الفرعية والفصل العنصري واتجاه مؤشر النمو السكاني والهجرة تؤكد أن أمريكا القرن العشرين مهددة بألا تعود ساكسونية - بروتستانتية.

ويختم بقول هانتنجتون بأن تفكك الاتحاد السوفييتي يقدم مثالاً معقولاً للأمريكيين؛ لأن الدولتين ليستا قوميتين بالمعنى التقليدي، وأن العقيدة هي التي صبغت الدولتين؛ فإذا تفككت العقيدة الأمريكية، وسادت الانفصالية الثقافية، وتفكك الإجماع على الحرية والديمقراطية فتنضم أمريكا إلى الاتحاد السوفييتي على كل نفايات التاريخ.

إن الولايات المتحدة تمتلك من عوامل القوة الكثير لكنها لم تعد في يد واحدة ولا في طريق واحد. وهي مع هذا تنوء بأحمال وأثقال تمثل عامل نحر وإضعاف لأمريكا ما بعد الحداثة. فأمريكا الإنسان مهزومة نفسياً محبطة في مهاوي الاستدراج بعدما فقدت مفاتيح الاستدراك، وأمريكا الدولة تعجز عن تطوير آلياتها القديمة لتواكب ما تبشر به من أمركة، وأمريكا ولدت ميتة تعتمد على ضخ الدماء المهاجرة إليها.

وإلى جانب الحسابات المادية التي حفل بها الكتاب يبقى للمؤمن نظرته السُّننية التي تزيد القضية في حسه عمقاً وانتظاماً.

بقي أن نقول لوكلاء توزيع النموذج الأمريكي في عالمنا الإسلامي: إن النموذج الأمريكي بات منتهي الصلاحية! فضلاً على أنه غير صالح للاستخدام الآدمي!

التقرير السنوي للمنتدى الإسلامي

١٤٢١هـ





السلام عليكم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه .. وبعد:

فها هو ذا المنتدى الإسلامي يلتقي بكم مجدداً وهو مقدم على أعتاب عامه السادس عشر بخطى متئدة ومنهج منضبط وفق الكتاب والسنة؛ مستمداً عونه من الله ـ سبحانه، فله الحمد والفضل ـ، ومستنيراً بآراء أهل العلم والفضل.

وعبر مسيرته الماضية كانت تحفه دعوات ومشاعر وعطاء محبي الخير والإحسان؛ فلهم من الله الكريم أعظم الأجر ووافر الهبات ومنا أبلغ الشكر وأوفاه.

ونقلّب فيما يأتي صفحات من العطاء أشرقت في بقاع كثيرة من العالم هادية ومرشدة إلى دين الله بالكلمة الطيبة والحكمة الرشيدة.

وقد حرصنا على تنويع أساليب إيصالها؛ فحيناً بالدروس العلمية والمحاضرات التوجيهية، وأحياناً أخرى بعقد الدورات الشرعية والتدريبية، وأولينا الجانب التعليمي وحلقات تحفيظ القرآن الكريم عناية كبيرة سعياً لتربية النشء على تعاليم الإسلام ومبادئه.

وانطلقت قوافل الدعاة إلى المناطق النائية والقرى الريفية مبشرة بالدين الحنيف.

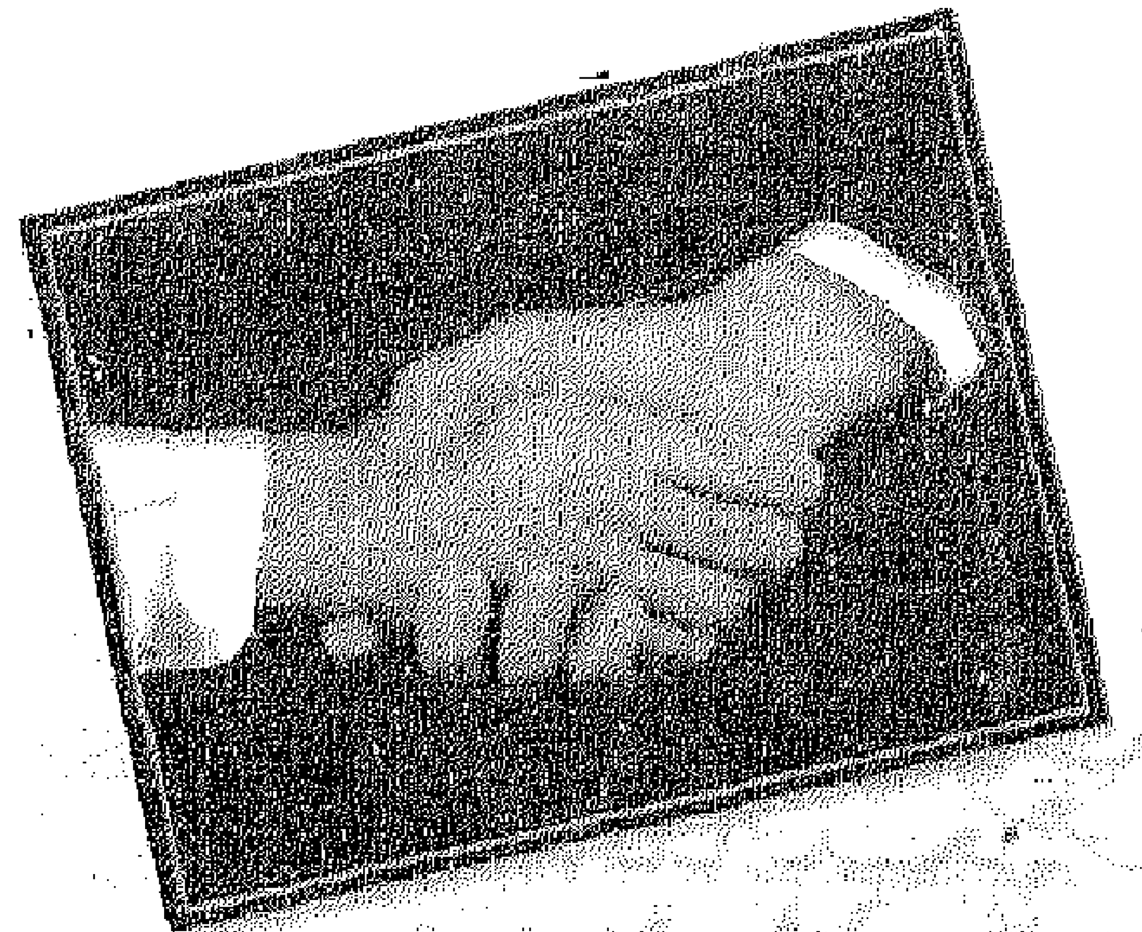
ولم تنس الجانب الإغاثي لما يجسده من تراحم المسلمين وتوادهم، ولدوره الهام في تأليف القلوب وتهيئتها لقبول الحق.

وكان للجانب الإعلامي دوره الفعال في نشر الوعي عبر الكتاب الهادف والشريط المتميز .

وأُنشئت المساجد والمراكز الإسلامية لتجميع كلمة المسلمين، ولتكون منطلقاً لهذه الأنشطة وغيرها.

وأخيراً .. فهذه خطوة سبقتها خطوات، سار خلالها المنتدى وفق خطة مرسومة وأهداف مدروسة؛ آخذاً على عاتقه مواصلة المسيرة والعطاء بمشيئة الله وعونه ثم بعونكم ودعائكم وتوجيهاتكم.

المنتدى الإسلامي



النشاط الدعوي

* مشروع كفالة الدعاة:

الدعاة المحليون هم الأداة الأجدى لنشر الإسلام بين بني جلدتهم، ولهذا فقد حرص المنتدى الإسلامي على إعداد نخبة من الدعاة وبنائهم بناءاً علمياً ودعوياً وتربوياً ليدعوا إلى الله على علم وبصيرة، وما يميز المنتدى في هذا المشروع أمران هما:

- أن الداعية يخضع لإشراف مباشر ومتابعة دقيقة بشكل مستمر من قبل مشرفين مؤهلين.
- أن المنتدى يحرص على تقديم برامج وأنشطة تهدف إلى رفع مستوى الداعية المكفول، ومن هذه الأنشطة: اشتراكه في دورات علمية وإدارية ـ عقد لقاء شهري علمي وتربوي لدعاة كل دولة ـ تكليف الداعية بإعداد بحوث شرعية متنوعة خلال السنة.

ويبلغ عدد الدعاة المكفولين من قبل المنتدى الإسلامي (٤٨٥) داعية منتشرين في (١٣) دولة من دول العالم.

من ثمرات دعاة المنتدى:

٤٦٤٧	درساً علمياً أسبوعياً
٨٥١	محاضرة أسبوعية

هذا وقد تم الانتهاء بحمد الله من شرح كتاب (القول المفيد في شرح كتاب التوحيد) في مركز المنتدى بلندن هذا العام.

* البرامج الدعوية:

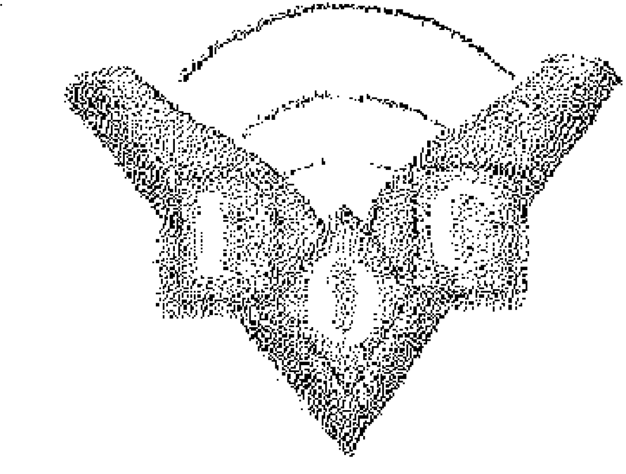
١- **الدورات الشرعية:** أعد القسم العلمي في المنتدى الإسلامي منهجاً متكاملاً للدورات الشرعية يشمل أربع مستويات بحسب مستوى المشاركين، ويحرص المنتدى على استضافة نخبة من طلبة العلم والمربين المتميزين للمشاركة في برامج هذه الدورات.

وبحمد الله ومنته فقد بلغ عدد الدورات التي أقامها المنتدى خلال هذا العام (٤٢) دورة علمية موزعة على الدعاة والأئمة والمدرسين، وبلغ عدد المستفيدين منها (٢١٦٠) فرداً. ومن أبرز الدورات: الدورة الشرعية المشتركة لدعاة غانا وتوجو وبنين المقامة في دولة توجو، ودورة فقه الأقليات المسلمة المقامة في بريطانيا.

٢- **اللقاءات التربوية للدعاة:** وهي برامج تربوية فكرية ينظمها المنتدى لدعاته بشكل شهري أو شبه شهري، ويهدف هذا البرنامج إلى توحيد الأهداف المرحلية، ومراجعة عمل الدعاة، وقد أعد المنتدى لهذا البرنامج منهجاً خاصاً، ويُعد هذا البرنامج من أكثر البرامج تأثيراً في تصحيح مسار الدعاة إلى الله عز وجل.

٣- **الدورات الإدارية:** التفت المنتدى إلى أهمية تطوير طاقاته ورجاله إدارياً وتنظيمياً ورفع مستوى قدراتهم وإمكاناتهم؛ لأن بناء الرجال هو الكفيل ـ بإذن الله ـ باستمرار العمل وتطوره؛ ولذا فقد واصل المنتدى عقد الدورات الإدارية المتنوعة، وقد بلغت في هذا العام (١٣) دورة إدارية، استفاد منها قرابة (٦١٥) داعية.

النشاط التعليمي



* كلية لندن المفتوحة:

أنشئت الكلية في لندن عام (١٤٢٠هـ) لتدريس العلوم الشرعية باستخدام وسائل اتصال حديثة كالإنترنت والفاكس والهاتف بهدف نقل العلم الشرعي وتيسيره للدارسين حيثما كانوا، ويشرف على هذه الكلية نخبة مؤهلة من المدرسين، وتمنح الكلية: درجة الدبلوم، والبكالوريوس باللغة العربية والإنجليزية، وقد بلغ عدد الدارسين فيها في العام المنصرم (١١٥) دارساً.

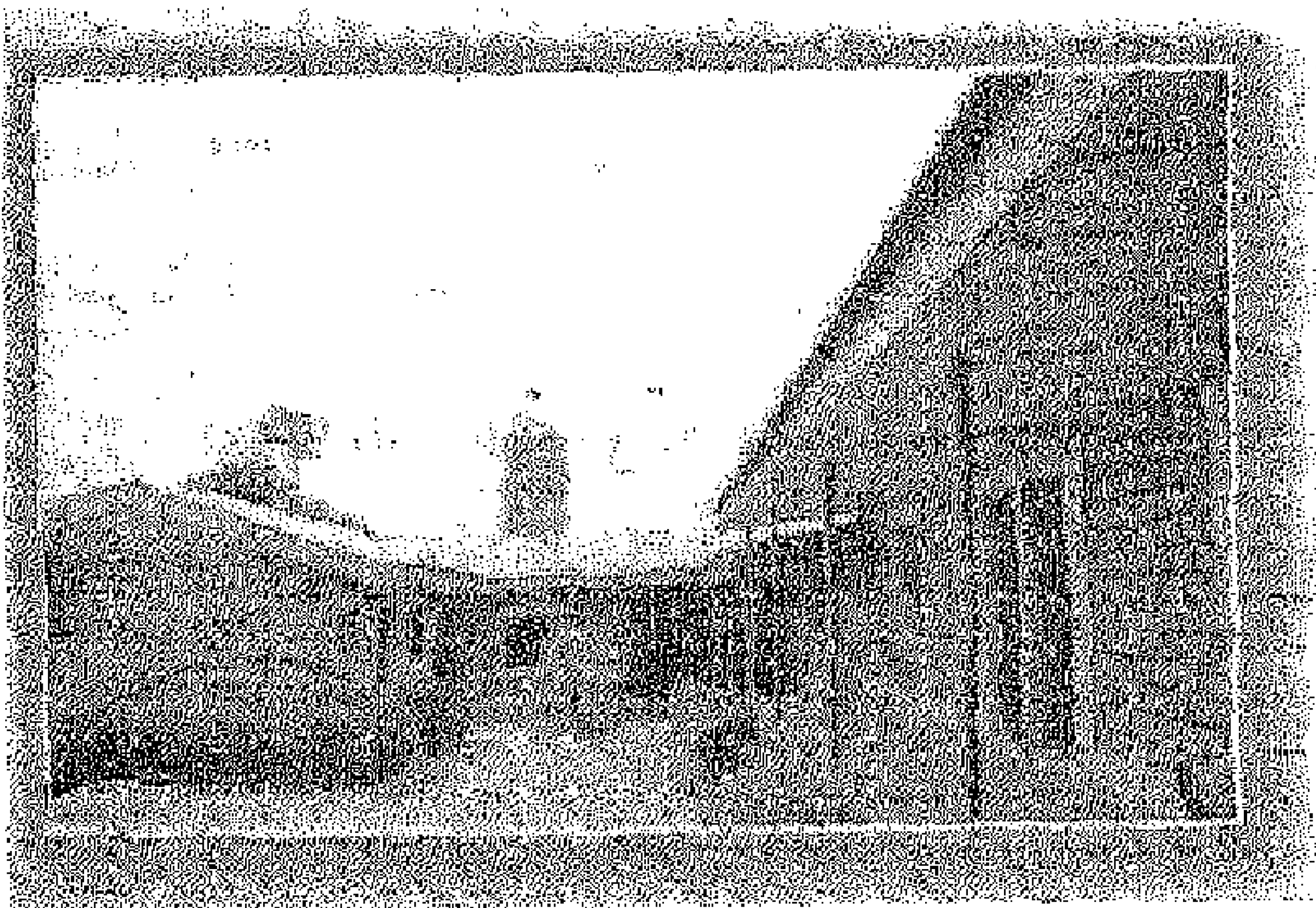
* المعاهد الشرعية:

حرصاً من المنتدى الإسلامي على نشر العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة فقد تولى المنتدى - بحمد الله ومنته - تشغيل معهدين شرعيين أنشأهما البنك الإسلامي للتنمية في الصومال، أحدهما للمرحلتين المتوسطة والثانوية ويبلغ عدد طلابه (١٧٥) طالباً. والآخر معهد متخصص لإعداد المعلمين ويبلغ عدد طلابه (١٢٠) طالباً.

* المدارس الشرعية:

يتم في هذه النوع من المدارس تعليم العلوم الشرعية بشكل مكثف، وقد أنشأ المنتدى الإسلامي حتى الآن (٤) مدارس شرعية متخصصة وهي على النحو الآتي:

* متوسطة البيان الشرعية في نيجيريا، ويبلغ عدد طلابها (٤٥) طالباً.
* ثانوية البيان الشرعية في نيجيريا، ويبلغ عدد طلابها (٤٥) طالباً.
* مدرسة دار الحديث الابتدائية في دولة مالي، ويبلغ عدد طلابها (٢٣١) طالباً.
* ثانوية الإمام مالك في مالي، ويبلغ عدد طلابها (٨٠) طالباً.



جانب من مبنى ثانوية البيان في نيجيريا

ويحرص المنتدى في هذه المدارس على رفع المستوى العلمي والتربوي للطلاب من خلال برامج متنوعة تستثمر قدرات الطلاب ومهاراتهم.

*** المدارس النظامية:**

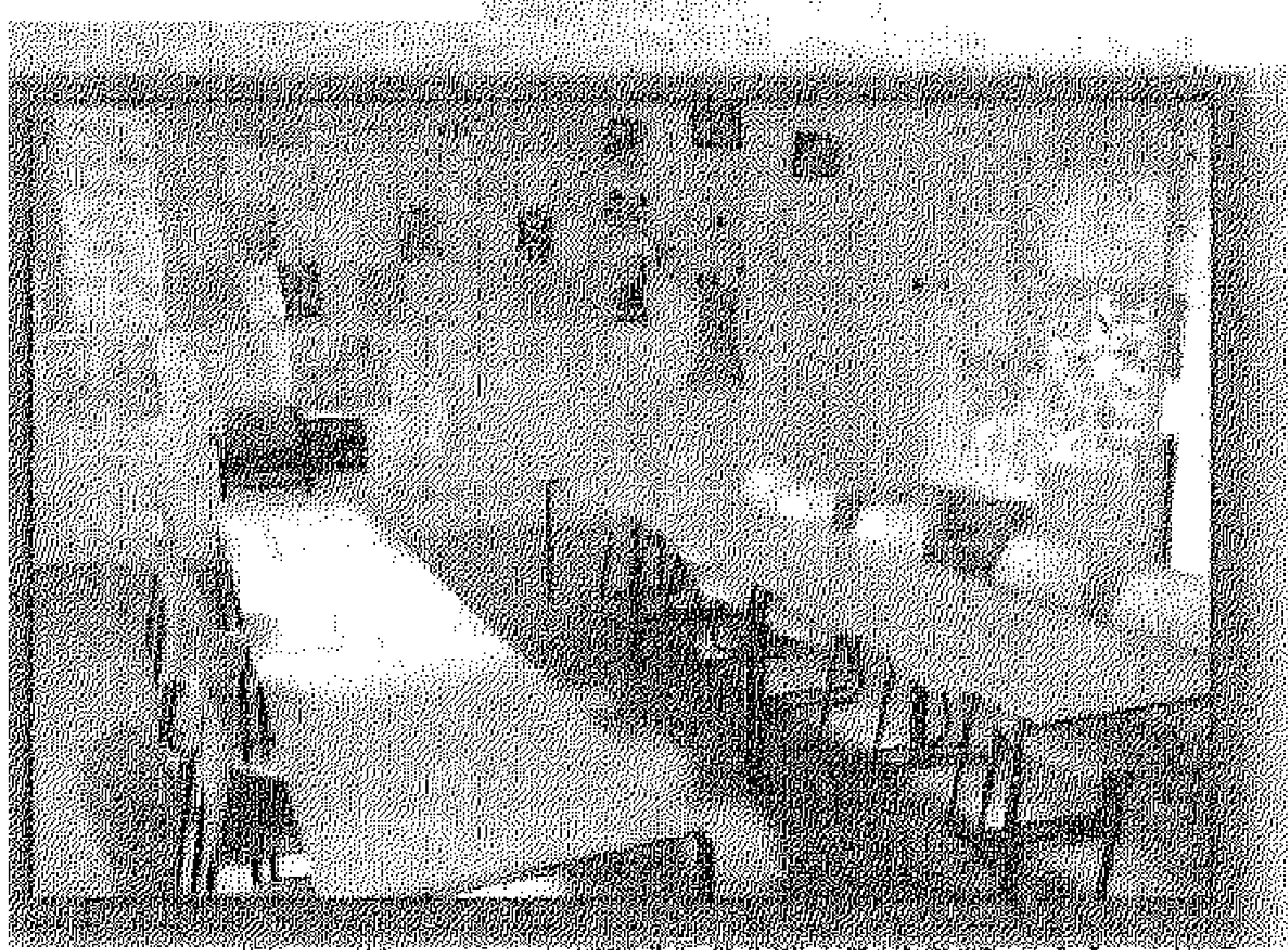
يدرس الطالب في هذه المدارس نوعين من المواد:

- العلوم المقررة في بلده.
- العلوم الشرعية المعدة من قبل المنتدى.

ويهدف المنتدى من هذا النوع من المدارس إلى تأهيل أبناء المسلمين تأهيلاً شرعياً وعصرياً يُمكِّنهم من مواصلة الدراسة في الجامعات الحكومية في مختلف التخصصات. وقد بلغ عدد المدارس النظامية التابعة للمنتدى (٢٧) مدرسة يدرس فيها (٦٦٥٢) طالباً.

ومن هذه المدارس:

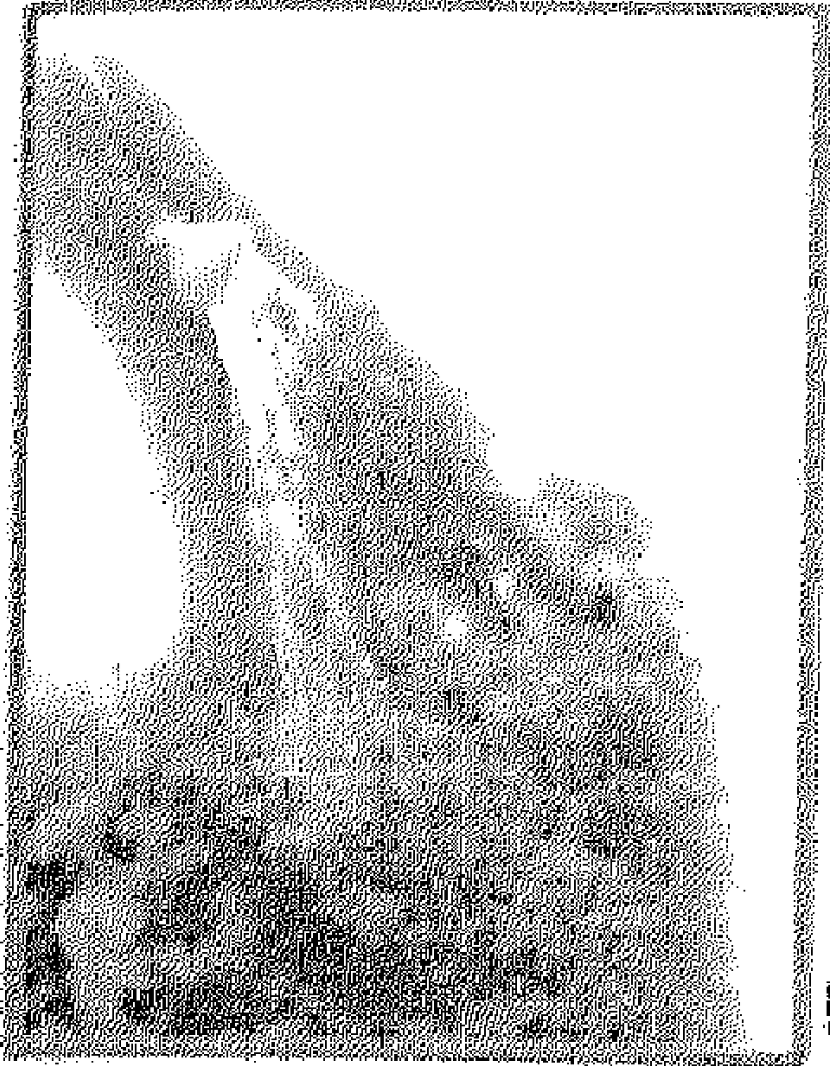
اسم المدرسة	الموقع	عدد الطلاب
مدرسة المنتدى الابتدائية	لندن	١٩٠
مجمع الصديق التعليمي (ابتدائي - متوسط - ثانوي)	غانا	٧٨٠
مجمع الفاروق التعليمي (ابتدائي - متوسط)	غانا	٥٠٠
مدرسة عمر بن الخطاب (ابتدائي)	مالي	١٥٠
مدرسة أبخ الإسلامية (ابتدائي)	جيبوتي	٣٧٠
مدرسة دار الحنان (ابتدائي)	الصومال	٢٣٢
مدرسة الطيبة (ابتدائي)	بنجلاديش	١٥٠


أحد فصول مدرسة المنتدى في لندن

التعليم الإسلامي ... صناعة رجال وحماية أجيال.

النشاط التربوي

يحرص المنتدى على توفير المناخ التربوي المناسب لشباب الأمة الإسلامية ؛ وذلك لكي يتحول العلم فيها إلى عمل وممارسة ، ومن هذه المناخات :



* المحاضن التربوية:

واصل المنتدى الإسلامي مسيرته في تكوين محاضن تربوية تضم نخبة من شباب الجامعات يجمعهم سكن واحد ، ويشرف عليهم شخص مؤهل تربوياً وعلمياً . وتقام في هذه المحاضن أشكال عدة من البرامج العلمية والدعوية والتربوية تم تصميمها من قبل المنتدى الإسلامي .

ومن هذه المحاضن : (**دعاة المستقبل في نيجيريا**) الذي يضم عشرين طالباً جامعياً يدرسون في مختلف التخصصات الجامعية ، ويهدف هذا المحضن إلى بناء هؤلاء الطلاب الجامعيين ليكونوا دعاة عاملين في مختلف التخصصات .

* المراكز الصيفية، والمخيمات الطلابية:

وهي برامج تربوية تقام بشكل دوري في مختلف الدول التي للمنتدى فيها مكاتب ، وتخدم هذه البرامج فئة الشباب بهدف بنائهم وتنشئتهم تنشئة دعوية جادة ، من خلال احتكاكهم بأقرانهم ومن هم أكثر منهم علماً خلال فترات زمنية مناسبة .

وقد أقام المنتدى الإسلامي العام الماضي (١٢) مخيماً ومركزاً صيفياً ، استفاد منها (٦٩٠) طالباً في كل من الدول الآتية : مالي ، نيجيريا ، غانا ، توجو ، بنين ، تشاد ، بنغلاديش .

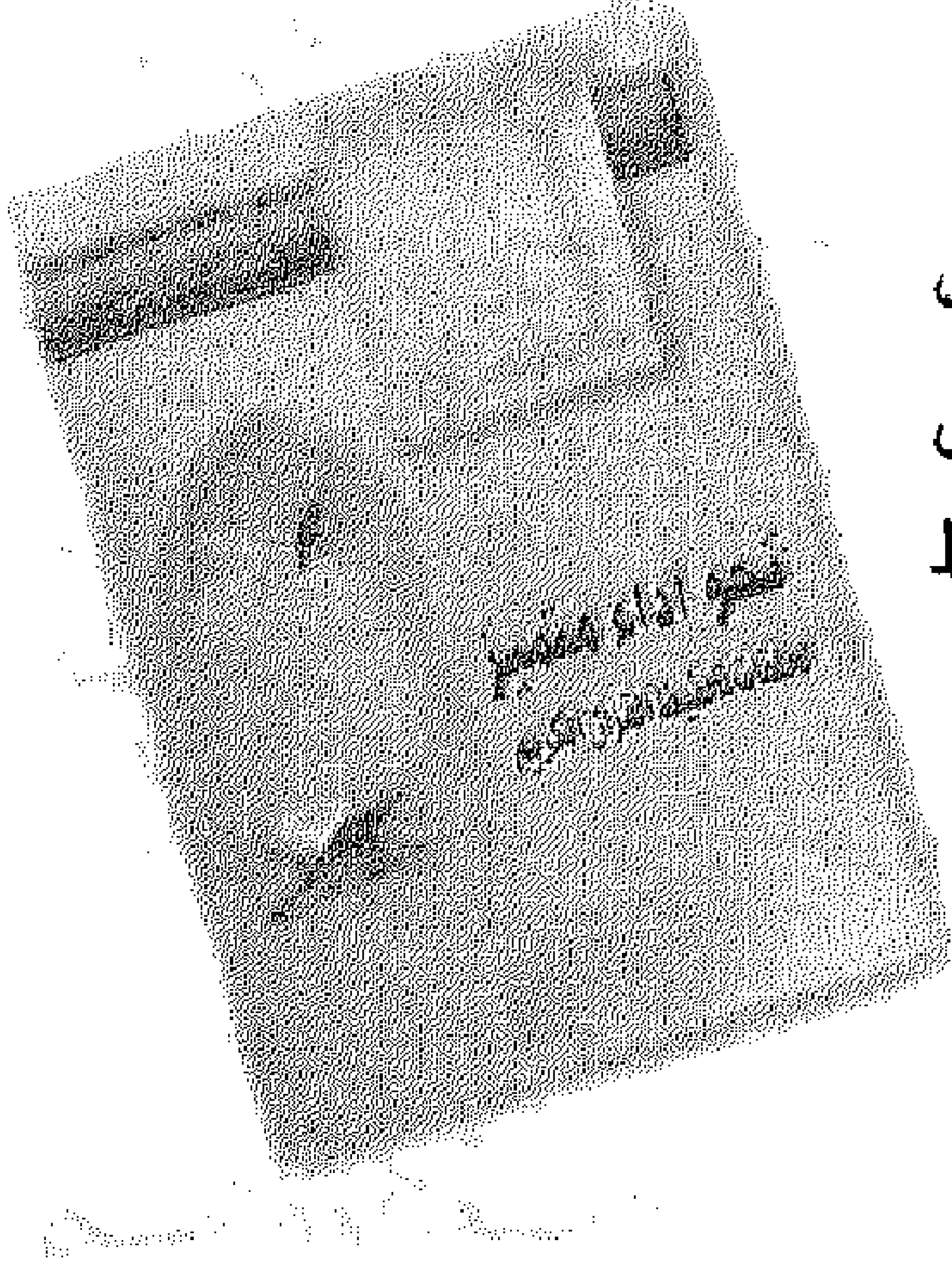
* برنامج الاعتكاف:

تربية الشباب على العبادة وحثهم على المنافسة في الخيرات هو أحد أنشطة المنتدى التي يقيمها في العشر الأواخر من رمضان المبارك من كل عام . وقد أشرف المنتدى على اعتكاف ما لا يقل عن (٥٣٠) شاباً خلال رمضان ١٤٢٠هـ في (٥) دول هي : بريطانيا ، غانا ، التوجو ، نيجيريا ، بنين .

الجدير بالذكر أن يوم الشاب المعتكف مليء بالبرامج الفردية والجماعية .

برامج الاعتناء بالقرآن الكريم

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله - عز وجل - حفظاً وتجويداً ودراسة، ويسعى لتربية النشء المسلم على آدابه وتوجيهاته؛ وذلك من خلال عدد من البرامج والأنشطة:



* حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

وهي حلقات تعليمية يتم فيها تعلم القرآن الكريم وحفظه، ويحرص المنتدى على توفير سبل استمرار الطلاب في الحلقات، كما يحرص على اختيار المعلم الكفء، وقد أصدر المنتدى كتاباً خاصاً بالحلقات يسلط الضوء على النواحي التربوية والإدارية في الحلقات؛ ويعتبر هذا الإصدار مرشداً لمعلم الحلقة والمشرف عليها.

- عدد حلقات التحفيظ في المنتدى: (٢٨٢) حلقة.
- عدد الطلاب والطالبات: (١٠,٤٦٩) طالباً وطالبة.
- عدد الحافظين لكتاب الله في العام الماضي فقط: (١٩٥) طالباً وطالبة.

* إقامة مسابقات حفظ القرآن الكريم:

ينظم المنتدى في كثير من مكاتبه مسابقات مختلفة المستويات لتشجيع الناس ولا سيما الشباب على حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أقام المنتدى بتوفيق من الله (٢٥) مسابقة في كل من: مالي، غانا، بنين، جيبوتي، الصومال، تشاد، شارك فيها ما لا يقل عن (١٧١٢) شخصاً.

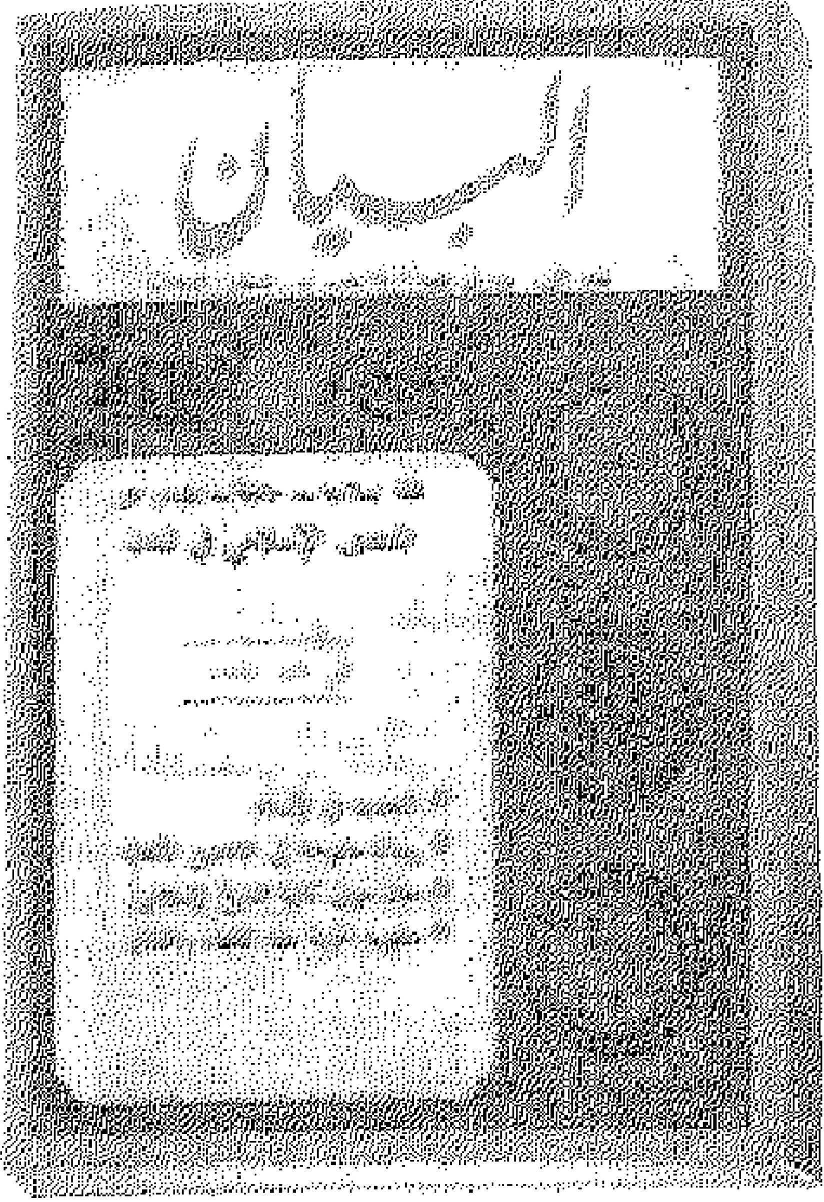
* تأهيل معلمي الحلقات:

نظراً لما لمعلمي الحلقات من دور أساسي في سير العملية التعليمية والتربوية داخل الحلقة فقد حرص المنتدى على رفع قدرات المشرفين على الحلقات والمدرسين فيها؛ وذلك بعقد دورات علمية لهم. وقد أقام المنتدى خلال هذا العام (٩) دورات في دول عدة.

قال ﷺ:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

منابر المنتدى الإعلامية

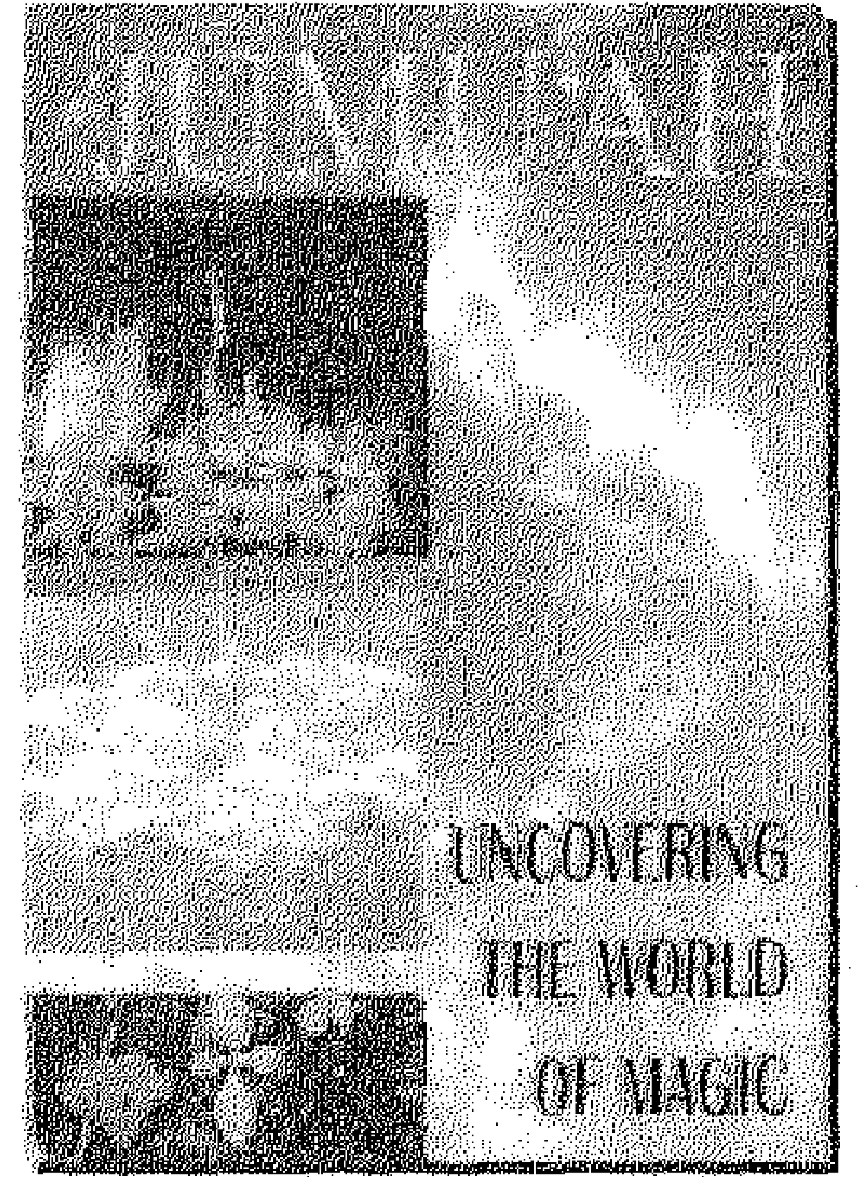


العدد الأول من البيان

* **مجلة البيان:**

ما زالت مجلة البيان - بتوفيق من الله عز وجل - تشق طريقها بخطوات راسخة ومنهج واضح، وقد بلغ عدد النسخ التي يطبعها المنتدى من البيان شهرياً (٤٢,٠٠٠) نسخة، توزع في أكثر من (١٠٠) دولة، وإخوانكم في البيان جادون في إيصال كلمة الحق ونشرها بين الدعاة وطلاب العلم في أنحاء العالم.

الجدير بالذكر أن المنتدى يوزع شهرياً (٥,٠٠٠) اشتراك مجاني للمراكز الإسلامية والدعاة وطلاب العلم الذين يشق عليهم شراؤها.



العدد الأول من الجمعة

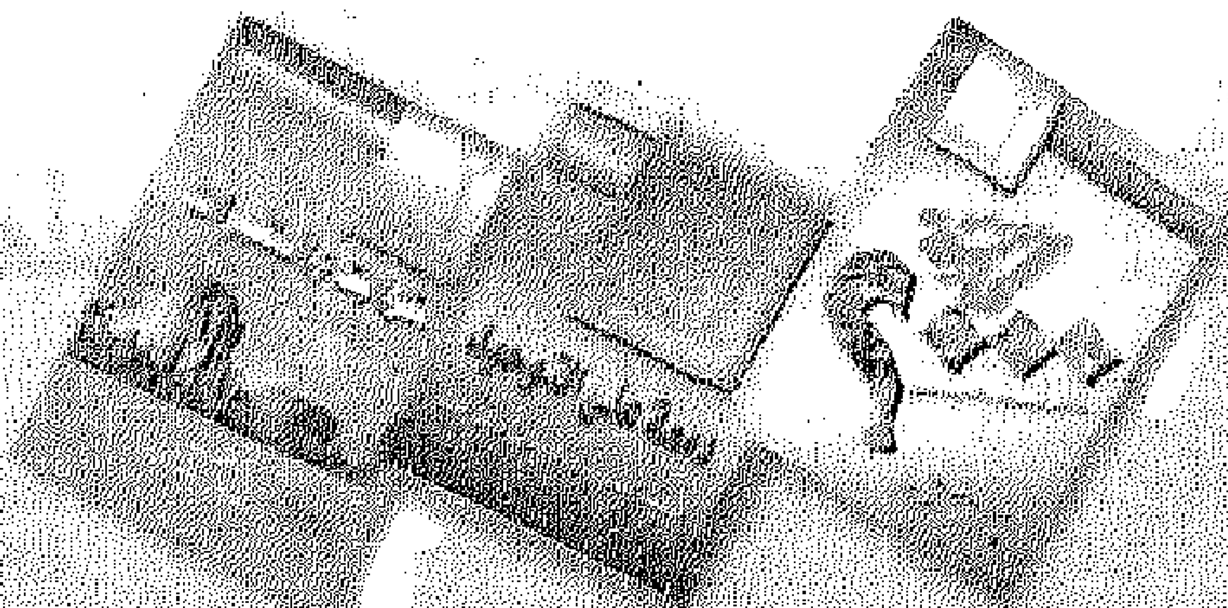
* **مجلة الجمعة:**

وهي مجلة فتية تصدر باللغة الإنجليزية عن المنتدى الإسلامي في أمريكا، وتستهدف الأسرة المسلمة الناطقة بالإنجليزية، ومع أن المجلة تمر بظروف مالية صعبة إلا أن ذلك لم يُعِق انتشارها لا سيما في أمريكا وأوروبا؛ فقد بلغ عدد الاشتراكات فيها (١٠,٣٠٠) اشتراك .

ومجلة الجمعة مادة مفيدة للتواصل مع المسلم الجديد وتعليمه أصول الإسلام، ووسيلة مناسبة للمساهمة في ثباته على الهداية.

* **كتاب المنتدى:**

هي سلسلة من الكتب الدعوية والفكرية والتربوية يحرص المنتدى على حسن اختيارها وإعدادها ومراجعتها من قبل بعض العلماء وطلاب العلم. وقد أصدر المنتدى الإسلامي حتى الآن (٢٤) كتاباً تم



توزيع وبيع ما يقارب (٩٣١,٠٠٠) نسخة منها. ومن الإصدارات الجديدة في هذا العام:

١ - اعترافات علماء الاجتماع.

٢ - مَعْلَم في تربية النفس.

* كتاب الجيب:



سلسلة تصدر باللغة الإنجليزية عن المنتدى الإسلامي، وقد بدأت هذه السلسلة بطباعة خمسة كتب تم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، ومنها: كتاب: (منهج التلقي والاستدلال) للشيخ أحمد الصويان، وكتاب: (يا بني .. لقد أصبحت رجلاً) للشيخ محمد الدويش، وكتابا: (عالمية الإسلام) و (الخطيئة الأصلية) وكلاهما للدكتور عبد الله القحطاني.

* مطويات المنتدى:

وهي مطويات صغيرة تصدر بشكل دوري عن بعض مكاتب المنتدى الإسلامي باللغات المحلية، وتهدف هذه المطويات إلى نشر العلم الشرعي لغير الناطقين بالعربية.

ومن أبرز هذه المطويات:

- مطوية (رسالة الإسلام) تصدر عن مكتب المنتدى في بنغلاديش باللغتين العربية والبنغالية.
- مطوية (أسبوعية المنتدى) تصدر باللغة الفرنسية وتوزع في دولتي توجو وبنين.
- مطوية (المنار) تصدر عن مكتب المنتدى في لندن ببريطانيا باللغة الإنجليزية.

* برامج الإذاعة والتلفاز:

يحرص المنتدى من خلال دعاته على إيصال كلمة الحق من خلال الوسائل الإعلامية المتاحة، ولذلك واصل دعاة المنتدى استثمار الفرص المتاحة للمشاركة في البرامج الإذاعية والتلفازية، إضافة إلى المشاركات في الصحف المحلية، وقد كانت المشاركات في هذه الوسائل على النحو الآتي:

المشاركة	العدد
برامج تلفاز	١٥
برامج إذاعية	٧٤١
صحف	٤٢

ترقبوا وسيلة إعلامية جديدة تصدر عن المنتدى الإسلامي!

المشاريع الإنشائية

*** بناء المساجد:**

لما للمسجد من دور هام في بناء المجتمع المسلم؛ ومن أجل تحقيق هذا الدور فقد حرص المنتدى على دقة اختيار الموقع المناسب لإنشاء المسجد وتسجيل الأوراق الرسمية له باسم المنتدى، كما أن المنتدى يحرص على أن يشرف بشكل مباشر على إنشاء المسجد وتشغيله، وقد بنى المنتدى حتى الآن (٤١٧) مسجداً بتكلفة لا تقل عن (٣٣,٣٦٠,٠٠٠) دولار في مختلف بلدان العالم.

*** المراكز الإسلامية:**

يهدف المنتدى من إنشاء المراكز الإسلامية إلى توفير مكان متعدد المرافق والمنافع من أجل تسهيل تنفيذ البرامج الدعوية والتعليمية. وقد بلغ عدد المراكز التي بناها المنتدى الإسلامي حتى الآن (٢١) مركزاً في كل من: بريطانيا، بنغلاديش، نيجيريا، مالي، غانا، توجو، بنين، جيبوتي، كينيا، السودان، إندونيسيا، اليمن.

● وكان من آخر هذه المراكز (المركز الإسلامي في باماكو) بدولة مالي، الذي تم بناؤه حالياً وهو يضم إضافة إلى المسجد الجامع معهداً شرعياً، ومبنىً إدارياً، ومكتبة عامة، وقاعة محاضرات.





نشر الكتاب الإسلامي

للكتاب والشريط الإسلاميين دور كبير في نشر العلم والعقيدة الإسلامية الصحيحة؛ وبسبب ندرتهما في بعض الدول فقد تبنى المنتدى عدداً من الأنشطة لسد الحاجة إليهما، ومنها:

*** توزيع المصاحف:**

يتشوق المسلمون في الدول الفقيرة إلى اقتناء نسخة من كتاب الله عز وجل؛ ولذا فقد سعى المنتدى لتوفير نسخ من القرآن الكريم لمن يظن أنهم حريصون على قراءته وتدبر آياته، وقد بلغ عدد المصاحف التي وزعها المنتدى العام الماضي (٧٧٥٠) مصحفاً.

*** طباعة وتوزيع الكتب الإسلامية:**

يحرص المنتدى على طباعة الكتب الإسلامية باللغات المختلفة وتوزيعها على دول العالم، وقد وزع من هذه الكتب خلال العام الماضي (٢١٢,٧٢٠) كتاباً بعدة لغات . ومن ضمن الكتب التي قام المنتدى بطباعتها وتوزيعها:

- الواسطة بين الحق والخلق، لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (مترجم بلغة **الهوسا**).
- الدروس المهمة لعامة الأمة، لسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - (مترجم **باللغة السواحلية**).
- كيفية صلاة النبي ﷺ، لسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - (مترجم **باللغة الفرنسية**).
- العقيدة الإسلامية الصحيحة، للشيخ محمد جميل زينو (مترجم **باللغة الإنجليزية**).

*** إنشاء المكتبات العامة:**

توفير المراجع وأمهات الكتب العلمية في الدول الفقيرة أمر ضروري للعلماء وطلاب العلم والدعاة في تلك الدول؛ ولذا فقد قام المنتدى باختيار قائمة من أهم الكتب في مختلف التخصصات الشرعية وعمل على توفيرها في مختلف الدول الفقيرة. وقد بلغ عدد المكتبات التي أنشأها المنتدى وأثثها قرابة (٥٢) مكتبة في أكثر من (٩) دول.

*** توزيع المناهج الدراسية:**

تفتقر كثير من المدارس الإسلامية في كثير من الدول الفقيرة إلى المناهج الدراسية؛ وهذا بدوره قد يؤدي إلى ضعف المستوى العلمي للطلاب؛ ولهذا سعى المنتدى إلى توفير المناهج الدراسية وشحنها إلى بعض المدارس، وقد بلغ عدد الكتب الموزعة (١٨٢,٨٤٦) كتاباً تقريباً.

*** توزيع الشريط الإسلامي:**

مع افتقار كثير من دول العالم إلى علماء موجهين فقد حرص المنتدى على نشر الشريط الإسلامي بمختلف اللغات بين صفوف الدعاة وعامة الناس. كما حرص المنتدى على توفير أجهزة نسخ الأشرطة لتسهيل نشر الشريط الإسلامي، وقد بلغ عدد الأشرطة التي تم توزيعها عبر مكاتب المنتدى قرابة (١٤,٢٧٠) شريطاً.

الكتاب الإسلامي... معين لا ينضب وزاد لا ينفد



نشر الإسلام

إقبال الناس في الشرق والغرب على الإسلام جعل المنتدى الإسلامي يفكر في استثمار هذا الإقبال؛ ولذلك فقد تبنّى المنتدى برامج متنوعة لنشر دين رب العالمين تختلف باختلاف المدعوين. ومن ذلك:

❊ القوافل الدعوية:

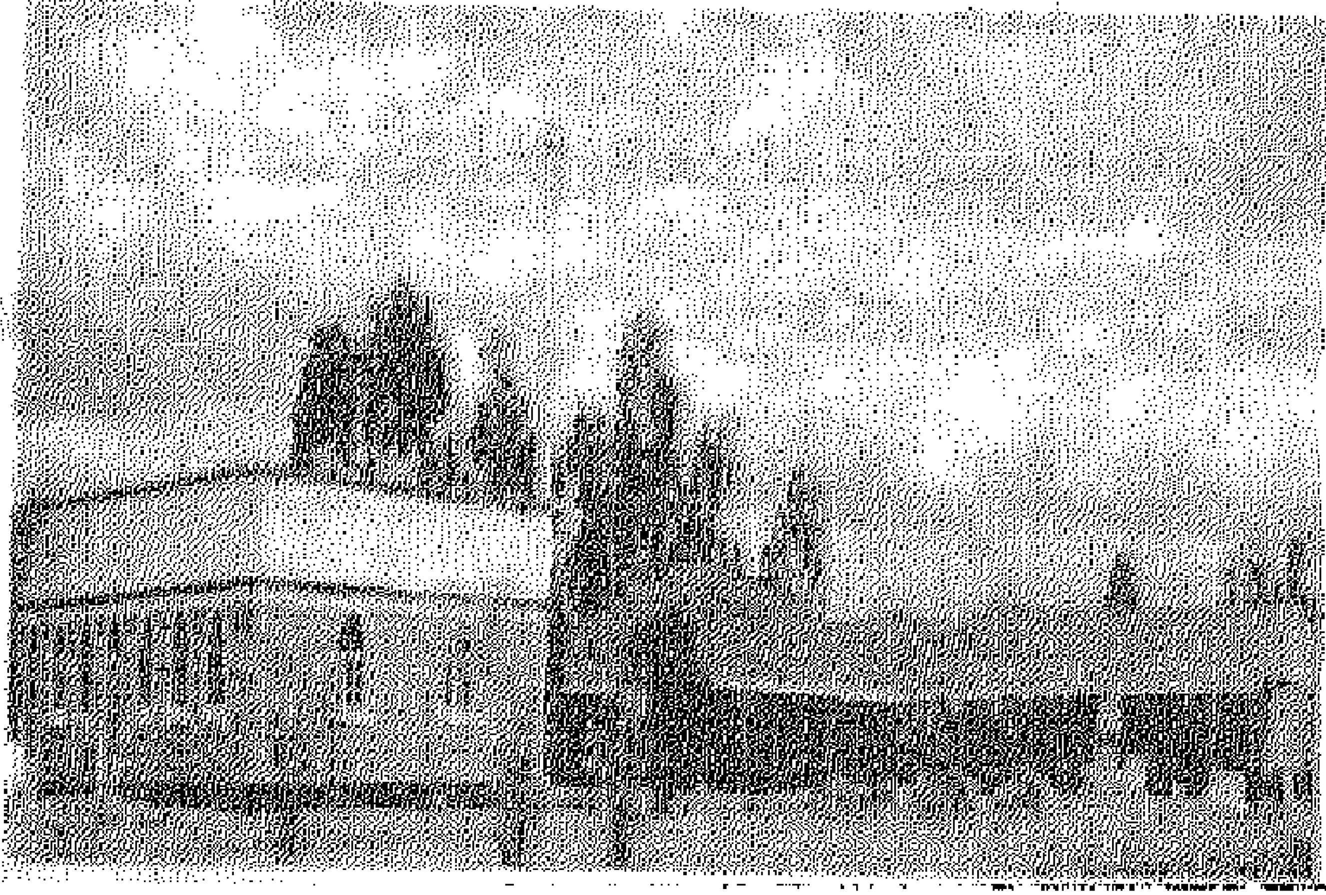
استمر المنتدى الإسلامي في تسيير القوافل الدعوية في أدغال إفريقيا. وبفضل من الله تمكن المنتدى خلال العام من تنفيذ (٢٠٠) قافلة في (٩) دولة.

ويصاحب القافلة عادة طبيب لمعالجة أهالي القرى، كما يتم توزيع مواد غذائية لتليين قلوبهم.

ومن فضل الله ومنته أن هدى للإسلام أقواماً من الناس في مختلف القرى والمناطق التي زارها الدعاة، وقد بلغ مجموعهم في العام الماضي (٤٨٢١) مهتدياً.

❊ مراكز المهتدين الجدد:

إن تحويل المسلم الجديد إلى إنسان يحمل همَّ الإسلام ويساعد في نشره بين بني جلدته أحد الأنشطة التي يقوم بها المنتدى الإسلامي من خلال إنشاء مراكز المهتدين الجدد وتشغيلها. وهي مراكز ينشئها المنتدى في بعض الدول لإعطاء المسلم الجديد دورات شرعية تمتد إلى أربعة أشهر متواصلة يتعلم فيها العقيدة الصحيحة وطرق تأدية العبادات وغير ذلك.



مركز ابن باز للمهتدين الجدد في كينيا

وقد أنشأ المنتدى حتى الآن (٤) مراكز للمهتدين الجدد. ويضم المركز مسجداً وفصولاً دراسية وسكناً للمهتدين ومكتبة وصالة طعام، وغير ذلك من المرافق.

وقد أقيمت في هذه المراكز خلال العام الماضي (١٦) دورة تعليمية خاصة بالمهتدين الجدد، واستفاد منها قرابة ([illegible]) شخص من حديثي الإسلام.

* اكتشف الإسلام:

وهو موقع يعمل المنتدى الإسلامي على إنشائه عبر شبكة (الإنترنت) وذلك لدعوة مستخدمي هذه الشبكة العالمية من غير المسلمين الناطقين بالإنجليزية ومن أهم محتويات هذا الموقع:



- تعريف شامل بالإسلام.
- شبهات حول الإسلام.
- الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل.
- ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية.
- توضيح خطوات الدخول في الإسلام.

* المسلم الجديد:

وهو كذلك موقع يشرف عليه المنتدى الإسلامي في الإنترنت، ويهدف هذا الموقع لخدمة الذين منَّ الله عليهم بالهداية وسيكون الموقع - بإذن الله - مرجعاً للمهتدين الجدد للتعرف على أمور دينهم من أحكام وتشريعات وآداب وغير ذلك. وسوف يضم هذا الموقع ركناً خاصاً بالرجال وآخر بالنساء.

* الطاولات الدعوية:

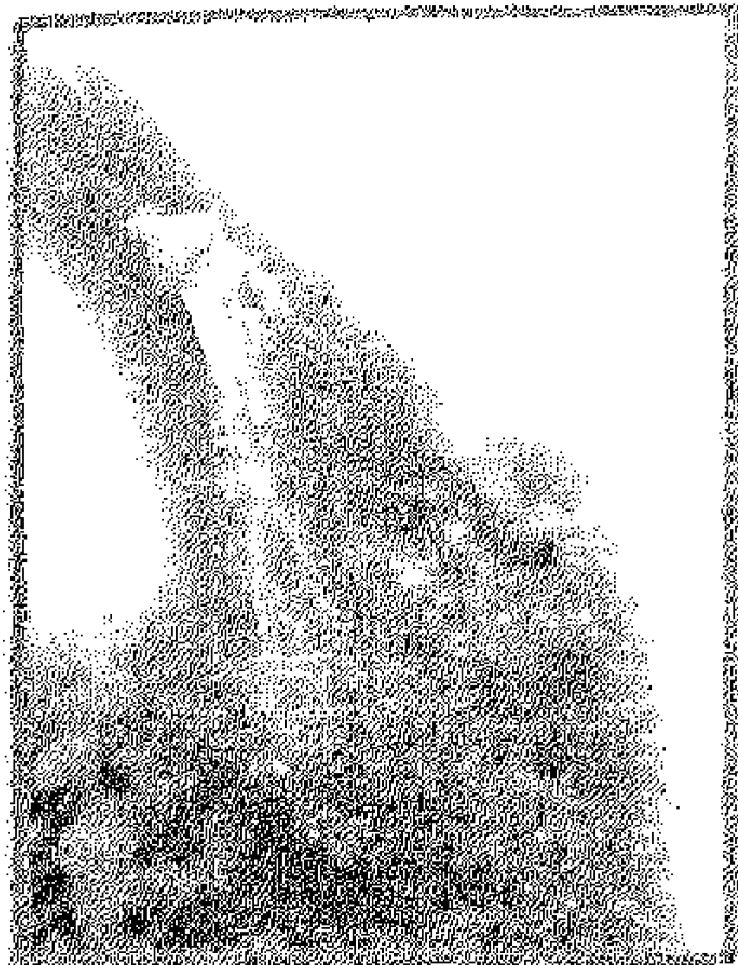
يغتنم دعاة المنتدى الإسلامي في لندن تجمع الناس في بعض الأماكن لا سيما في عطلة نهاية الأسبوع ويضعون طاولات تضم كتيبات ونشرات وأشرطة تعريفية بالإسلام، كما يقوم الدعاة بالإجابة على تساؤلات الناس حول الإسلام، ولقد كان لهذه الطاولات أثر إيجابي في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ودخولهم فيه.

* الدورات التدريبية في طرق دعوة غير المسلمين:

تتطلب دعوة الناس إلى الإسلام معرفة أحوالهم ومداخلهم والأسلوب الأنسب لمحاورتهم؛ ولذا فقد حرص المنتدى على إقامة دورات تدريبية للدعاة والمهتمين بدعوة غير المسلمين تتناول أساليب الدعوة وطرقها وبعض الموضوعات الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع. وقد أقام المنتدى دورتين في مركزه بلندن.

الأنشطة الإغاثية

يهدف المنتدى من خلال تنفيذه للبرامج الإغاثية إلى استثمار إقبال الناس على هذه البرامج في الدعوة إلى الله - عز وجل - وتصحيح العقائد ونشر السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم. ومن الأنشطة الإغاثية التي يقيمها المنتدى:



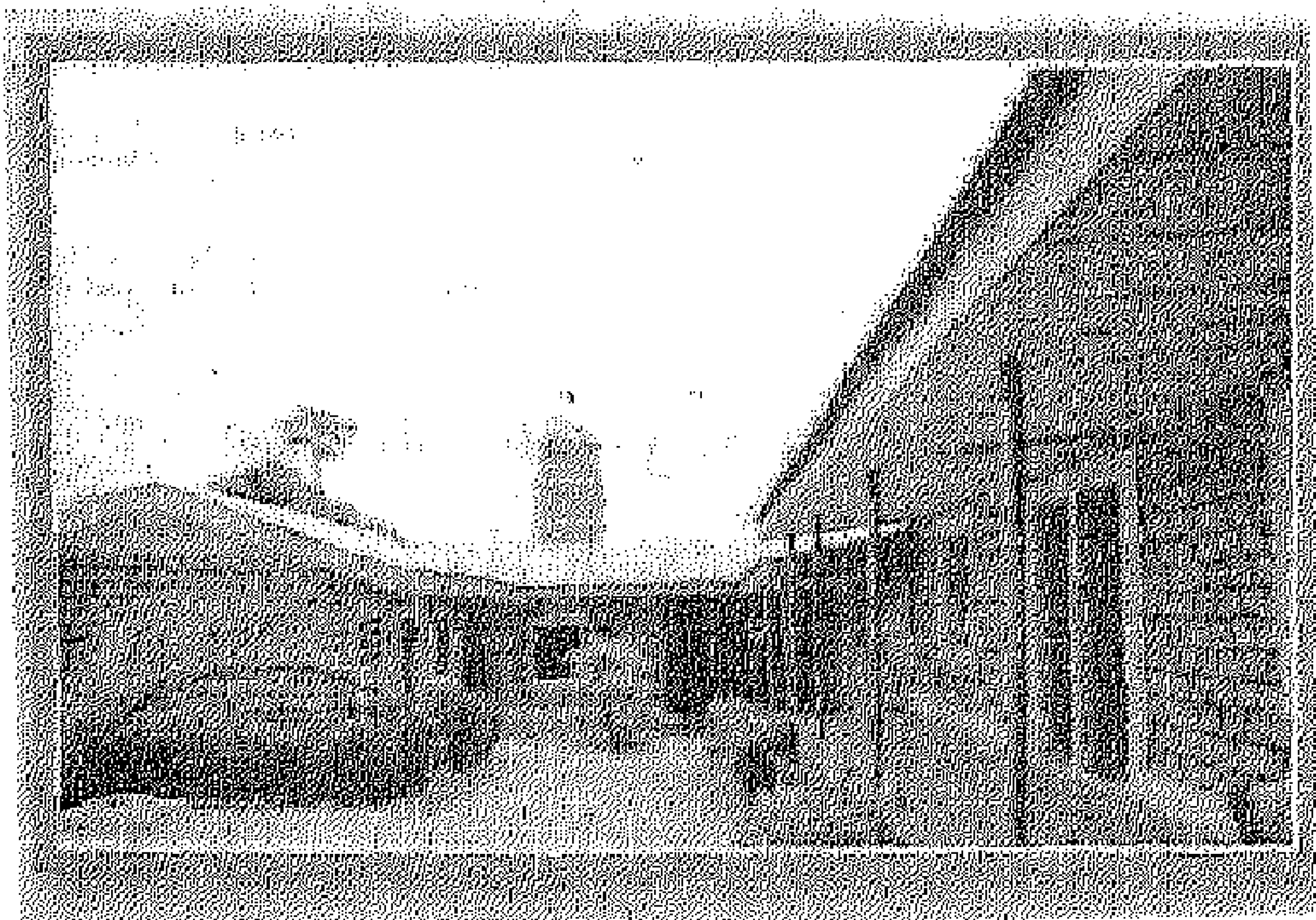
* مشروع إفطار الصائمين:

أقام المنتدى الإسلامي في رمضان عام (١٤٢٠هـ) مشروع الإفطار في (٥٦) دولة، وبلغ عدد المستفيدين من هذا المشروع (١,٦٦٩,٨٠٤) مستفيداً، بميزانية تقدر بـ (١,٠٦٦,٦٦٧) دولاراً.

وقد رافق المشروع برامج دعوية مصاحبة بلغ عددها قرابة (٢٤,٢٩٠) برنامجاً.

ومن مبشرات الخير لهذا المشروع إسلام (٨١١) شخصاً تأثراً بهذا المشروع المبارك؛ إضافة إلى إسلام قرية كاملة في دولة بنين يبلغ عدد سكانها (٦,٣٠٠) نسمة. فاللهم لك الحمد والمنة.

* المخيمات الطبية:



يقيم المنتدى بشكل دوري بالتعاون مع (مؤسسة البصر العالمية) مخيمات لمكافحة العمى في الدول الفقيرة، وهي تخدم بالدرجة الأولى فقراء المسلمين مع عدم حجب خير هذه المخيمات عن غير المسلمين. لدعوتهم وتأليف قلوبهم.

وقد أقام المنتدى - بتوفيق الله - خمسة مخيمات في كل من: نيجيريا، كينيا، الصومال، مالي، توجو.

تم الكشف فيها على أكثر من (٣٠,٤٠٠) مريض، وإجراء (٢,٢٩٠) عملية جراحية، وتوزيع (٦,٤٠٠) نظارة طبية. وقد كان لدعاة المنتدى دور دعوي بارز في استثمار إقبال الناس على هذه المخيمات وذلك بإعداد وتقديم عدد من المحاضرات، وتوزيع الكتيبات والكلمات الإرشادية والتعليمية.

ويسعدنا في المنتدى الإسلامي أن نقدم جزيل شكرنا وتقديرنا للجهود الحثيثة التي تقوم بها مؤسسة البصر العالمية، فهي مؤسسة رائدة في النشاط الإنساني المتخصص.

❊ مشروع الأضاحي:

وهو مشروع ينظمه المنتدى كل عام، وقد بلغ عدد الأضاحي التي تم ذبحها وتوزيعها على فقراء المسلمين عام ١٤٢٠ هـ (٣,٧٠٠) رأس من الغنم و (٥٠) من البقر. واستفاد من هذا المشروع قرابة (٤٣,٥٠٠) شخص .

البرامج الإغاثية للمنكوبين:



يسهم المنتدى في رفع المعاناة عن إخوة لنا في الدين ابتلاهم الله ـ عز وجل ـ ببعض المصائب والنكبات؛ فقد سيَّر المنتدى الإسلامي قوافل إغاثية لإغاثة المنكوبين من الجفاف الذي أصاب منطقة أوجادين في شمال الصومال. كما قدم المنتدى معونات سريعة للاجئين الإرتيريين النازحين من إرتيريا إلى شرق السودان بسبب الحرب التي دارت بين إرتيريا وإثيوبيا.

ويستعد المنتدى في الوقت الحالي لتقديم المساعدة للمتضررين من المجاعة التي ظهرت آثارها في شرق دولة كينيا .

قال رسول الله ﷺ:

«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»

رواه الطبراني وحسنه الألباني



مشروع عيون الحياة لحفر الآبار



الجفاف شبح يهدد كثيراً من الدول الفقيرة، ويكدر صفو الحياة فيها ولا سيما في القارة الإفريقية، ولذا حرص المنتدى على المساهمة في تخفيف هذه المعاناة عن المسلمين من خلال:

* محطات المياه:

وهي محطات كبيرة لاستخراج المياه تضخ قرابة (٧٠٠٠) جالون يومياً، ويهدف المنتدى من هذا النوع من المحطات إلى توفير مصدر مائي ثابت يساعد على استقرار أهل المنطقة. وبحمد الله فقد أنشأ المنتدى حتى الآن (٤) محطات كبيرة في شرق السودان.

* الآبار الارتوازية:

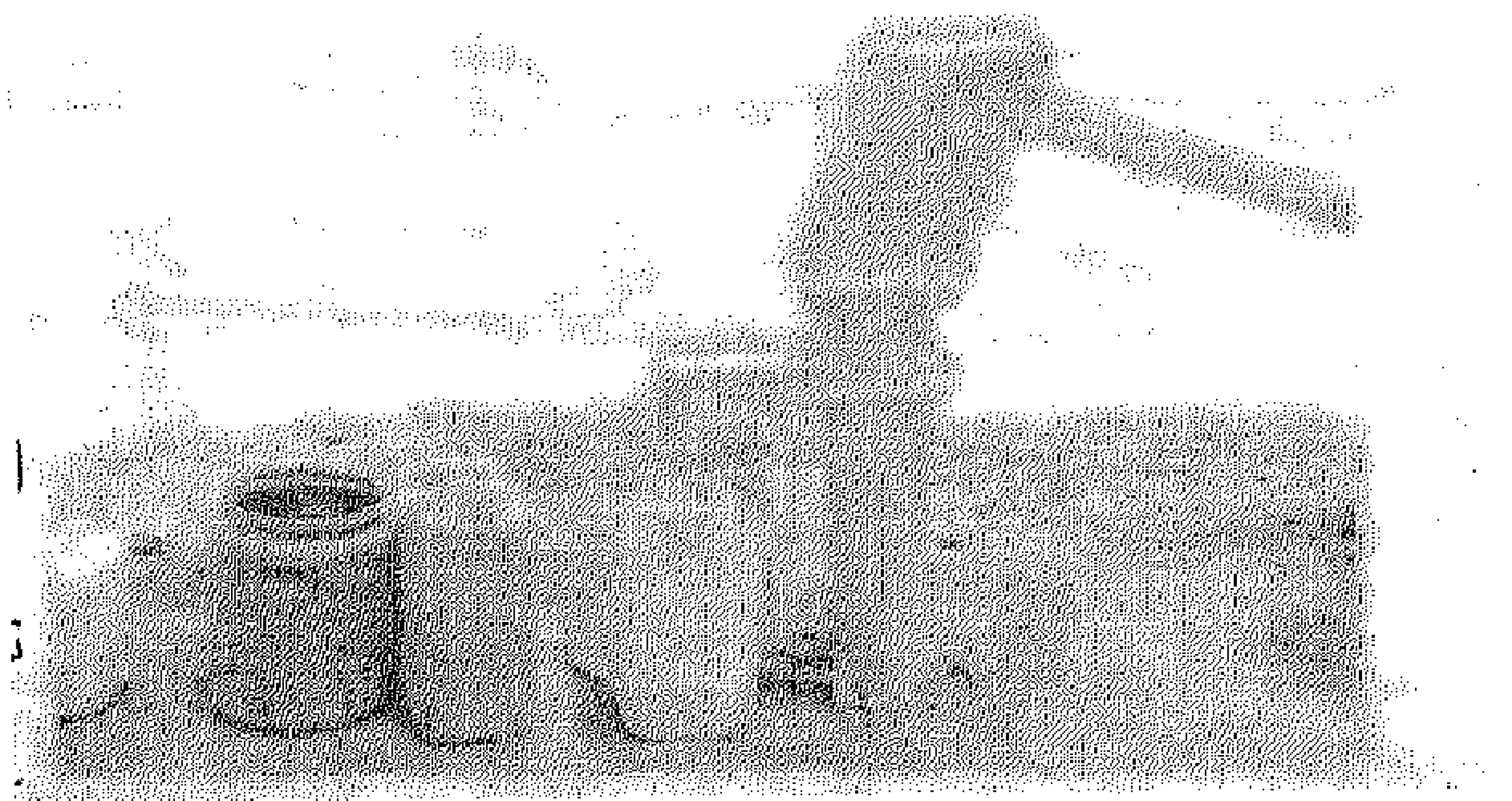
وهي آبار تحفر بواسطة أجهزة الحفر الحديثة، ومن ثم يركب عليها مضخة يدوية؛ لأنها الأنسب في مناطق الجفاف التي لا يتوفر فيها الكهرباء. وقد حفر المنتدى حتى الآن (٢٥٤) بئراً ارتوازياً في مختلف الدول التي تعاني من شح الماء.

* الآبار السطحية:

وهي آبار تحفر في المناطق التي يقترب فيها مستوى الماء إلى سطح الأرض أو التي يصعب استخدام أجهزة الحفر الحديثة فيها. وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن (٣٢٠) بئراً سطحياً.

* مشروع سلسبيل لسقيا الماء:

وهو عبارة عن خزانات كبيرة تُنشأ في الأحياء الفقيرة للمسلمين الذين يعانون من قلة الماء، ويتم تغذية هذه الخزانات بشكل يومي من خلال صهريج كبير تابع للمنتدى، وقد أنشأ المنتدى (٦) خزانات في منطقة كسلا بالسودان.



قال ﷺ: «أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».

المسلمون

والعالم





زفرات قلم.. مع القدس في محنتها

عبد العزيز كامل

(١)

● رغم التغريب والتغييب... ورغم التجهيل والتغفيل والتأجيل.. فرضت قضية بيت المقدس نفسها على الساحة الدولية في الآونة الأخيرة، ولكن .. لا يدري أحد إلى أي منتهى ستقود المنطقة والعالم تلك البقعة الصغيرة المبنى والعظيمة المعنى؟!

كل الاحتمالات واردة إلا احتمال تحقق الوهم أو الإيهام العربي بعودتها عن طريق عملية الدجل الكبرى المسماة : (عملية السلام)!

(٢)

● الأحداث الأخيرة التي اجتاحت فلسطين منطلقة من ساحات المسجد الأقصى، أثبتت أن هناك شعباً كاملاً يريد أن يجاهد، ولديه كامل الاستعداد للبذل والفداء، ولكن هذا الشعب أعزل ... إلا من الحجارة!! فكيف ذلك؟! ومن المسؤول عنه؟ وكيف يظل شعب من المسلمين احتُلت أرضه، واغتُصب حقه مجرداً من السلاح طيلة أكثر من نصف قرن؟ من المسؤول عن حرمان أهل الأرض المقدسة من حمل السلاح للدفاع المشروع عنها كما يدافع الشيشان الآن ومِن قَبلِهم الأفغان؟!.. إنها - حقاً - معضلة تحتاج لمن يحل لغزها ويسعى لفكها!!

(٣)

● زيارة رمز الشر (شارون) لباحة المسجد الأقصى كانت على غرابتها ووقاحتها تصرفاً طبيعياً لمن أراد أن يدشن حرباً دينية صريحة في المنطقة؛ لأن رد الفعل المترتب عليها لم يكن متوقعاً فقط، بل كان منتظراً من جيش أعد نفسه لمثل هذا اليوم منذ حادثة النفق عام ١٩٩٦م. و (شارون) لم يكن ليبادر بمفرده بخطوة كتلك الخطوة البعيدة الأثر على الحكومة الإسرائيلية بأسرها، لولا أن (باراك) قد بارك خطوته هذه؛ ليبني الاثنان (حزب الليكود وحزب العمل) عليها بعد ذلك ما يريان من خطوات في شأن ما يسميه اليهود : (جبل الهيكل) بعيداً عن أهزولة (عملية السلام).

(٤)

● من غرائب وعجائب تلك الجدلية الهزلية، الإسرائيلية العربية، المعروفة بالعملية السلمية؛ أنها استمرت نحواً من عشر سنوات للبحث في كل قضايا الصراع إلا المسائل المهمة، والخطيرة، والمعقدة: (القدس - العَوْدة - الحدود - الدولة - المياه - المستوطنات) فلما جاء موعد مناقشة تلك القضايا الكبيرة من أجل الوصول إلى (الحل النهائي) .. تبرع الراعي (الكاوبوي) الأمريكي، بعشرة أيام في كامب ديڤيد للفراغ منها، ثم تكرم بأربعة أيام أخرى، ليكون نصيب البقعة المباركة التي ظلت تحت كنف المسلمين أربعة عشر قرناً، أربعة عشر يوماً، لكي تنقل ملكيتها إلى من سرقوها واغتصبوها بصكوك دائمة، عنوانها: (الحل النهائي) أو المحطة الأخيرة في عملية السلام.. «العادل والشامل والدائم»!

(٥)

● ظهر عملياً في مفاوضات الحل النهائي في كامب ديڤيد، أن كل ما أسماه اليهود: (أرض إسرائيل) هو جميعه في كفة، والقدس وحدها في كفة، وظهر أيضاً بعد تسريب بعض تفاصيل المفاوضات أن القدس كلها كانت في كفة، وما أسماه اليهود (جبل الهيكل) في كفة. و (جبل الهيكل) الذي أصبح (فجأة) هو الاسم الإعلامي الدولي لمسجدي الأقصى والصخرة؛ ظهر أن يهود العالم يرجحون كفته على كل شيء من أراضي الشرق الأوسط. وأثبت اليهود أن قادتهم من أمثال بن جوريون وبيجن وغيرهما، كانوا يعنون ما يقولون عندما رددوا مراراً: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل).

(٦)

● ترجمة هذا الكلام من الناحية الواقعية أن كامب ديڤيد الثانية - وربما ما يأتي بعدها من ثالثة ورابعة - كانت تمثل في حقيقتها حواراً تفاوضياً صعباً حول موضوع مركزي أساسي، وهو أرض المسجد الأقصى نفسها التي لم يكن للحديث المكثف عن (القدس الشرقية) والسيادة عليها أي معنى غير معنى السيطرة التامة عليها؛ وبهذا اختُصرت أزمة الشرق الأوسط وأعيدت إلى نقطة المركز: المسجد الأقصى والسيادة عليه: هل هي للمسلمين، أم لليهود، أم للنصارى؟

وأصبح الصراع في الشرق الأوسط صراعاً على أرض مسجد كما قال (شلومو بن عامي) وزير الخارجية الإسرائيلي بالوكالة.

(٧)

● الخطاب الإسرائيلي والأمريكي في الآونة الأخيرة اضطر للإفصاح عن حقيقته الدينية الصرفة فيما يتعلق بالسيطرة على أرض المسجد الأقصى، واضطر الخطاب الرسمي السياسي والإعلامي العربي إلى أن يتكلم باللهجة نفسها أو قريباً منها ليتحدث عن السيادة على (أرض الحرم القدسي)(*). ولكن ظهر في هذا الخطاب العربي تصنُّع ظاهر؛ فالخطاب العلماني بدا هزيلاً وهو يتحدث عن (المقدسات) و (الحرمات)؛ إذ كيف يتحدث عن القدسية أقوام انتهك أكثرهم كل شيء مقدس في الدين، بدءاً من الشريعة المقصاة عمداً وقصداً، وانتهاءً بمحاربة التدين والمتدينين سراً وعلناً. وقد كان شيئاً مزرياً أن نسمع عن مغادرة الوفد الإسرائيلي لمكان التفاوض كلما حل يوم السبت احتراماً له، بينما ما زلنا نرى النظم المعمول بها لا تمانع - في أكثر بلاد المسلمين - من ممارسة كل الأعمال الحياتية وقت صلاة الجمعة استهانة بها!

(*) أرض المسجد الأقصى، رغم بركتها وقدسيتها، ليست حرماً، لأن للحرم في الإسلام أحكاماً شرعية معروفة، وهذه الأحكام يُعمل بها في مكة والمدينة - وهما حرمان - ولكن لم يشرع العمل بها في بيت المقدس. انظر فتاوى ابن تيمية، ج ١٤، ص ٢٧.

(٨)

● الروح الإسلامية - على ما يبدو - سوف تُستنفر قريباً وتُستدعى للذود عن المقدسات، بعد الإعلان عن إفلاس الزعامات اللادينية، وتلك الروح تُخاطب الآن على استحياء، بعد أن (اكتشف) العلمانيون العرب أن الصراع يسفر يوماً بعد يوم عن وجهه الديني الحقيقي... ولكن هذا (الاكتشاف) - وللأسف الشديد - ظهر لهم بعد أن كسروا بأنفسهم رماح تلك الروح، وقصوا ريشها في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وبعد أن قام عرفات - ذاته - بخضد الشوكة الإسلامية داخل الأرض المقدسة، وليجد الفلسطينيون العاديون أنفسهم - بعد خراب مالطة - قوة عزلاء شلأء تقف وجهاً لوجه أمام قوىً دينية يهودية ونصرانية متربصة بدين الحق، ومتشبثة بدين الباطل تحت الرايات التوراتية والغايات التلمودية.

(٩)

● يبدو أيضاً أن العلمانية العربية لا يزال في جعبتها المزيد من عيِّنات المزايدين على قضية فلسطين، وأنها تُعِد، أو تُعَد لتتخطى مرحلة الثورية القومية حيث دعاوى القتال والنضال، إلى مرحلة «الجمهوريات الملكية»، حيث الانبطاح بعد الانفتاح على (العدو المصيري) للوصول إلى «تسوية» القضية نهائياً بالأرض. والتوصل إلى «حل» نهائي لتلك العقدة التي أظهرت عوار الدعاوى العلمانية بكافة أطيافها وأصنافها الدعائية الخائبة.

(١٠)

● مفارقة عجيبة، تلك التي يكشفها تسلسل أحداث القضية الفلسطينية؛ فبعد أن كانت قضية إسلامية، تحولت إلى قضية عربية قومية، ثم إلى قضية أوكِلَ أمرها إلى (دول المواجهة) ثم إلى قضية تُهم جبهة (الصمود والتصدي)، ثم إلى قضية تعني الشعبين الفلسطيني والأردني، ثم إلى قضية تخص الشعب الفلسطيني وحده، ثم إلى قضية في يد السلطة الفلسطينية دون سائر الشعب الفلسطيني، ثم إلى قضية تحت تصرف عرفات وحده!! وإذا بعرفات يتحول - بتدبير مقصود - إلى رجل يتكلم وحده باسم أكثر من مليار(*) مسلم بشأن المقدسات، ويجتهد نيابة عنهم، ويتفاوض ويتفق، ويُوقِّع سراً وجهراً، ومختاراً ومكرهاً، بالوكالة والأصالة عن العالم الإسلامي بأسره!

(١١)

● هذا العالم الإسلامي، استُبعد منذ عقود طويلة ليقف موقف المتفرج على ما أطلق عليه العلمانيون: (الصراع العربي الإسرائيلي). وطيلة خمسين عاماً من صراعات الحرب والسلام البائرة ظل العالم الإسلامي متفرجاً بالفعل، بناءاً على طلب (أصحاب القضية) فلما جَدَّ الجِدُّ، وبرزت جسامة المسؤولية، إذا بهؤلاء يستنجدون بالعالم الإسلامي، ويعاتبونه على المواقف الباردة التي يتعامل بها مع التطورات الساخنة لأكثر قضايا المسلمين المعاصرة خطورة، حتى إن عرفات ورفاقه - بعد أن أيسوا من السيادة الفلسطينية على القدس، طلبوا إسناد تلك السيادة إلى العالم الإسلامي، ولكن... أنى للمتفرجين المستبعدين طيلة عقود أن يتحولوا إلى مشاركين أساسيين في (اللعبة) التي لم يُمكَّنوا من فهم قواعدها، أو يشاركوا في صنع تطوراتها؟!... لقد رُفض الطلب، قبل أن يتكلم عن المطلوب!

(١٢)

● في حمأة التورط الفلسطيني الرسمي، والانكشاف العربي العلني، والحرج المتزايد للعالم الإسلامي، بدا العالم النصراني في أوج التنسيق والتنظيم مع اليهودية العالمية، حتى إن حديث باراك وشارون وليفي وبن عامي - لم يعد يختلف في جوهره وغايته كثيراً عن حديث كلينتون وأولبرايت وآل جور وبوش عند الخوض في

(*) المليار: ألف مليون.

مسألة (جبل الهيكل)، وأصبحت القدس ـ كما لم تكن من قبل ـ أحد الموضوعات الأساسية للمزايدة السياسية في الانتخابات الأمريكية بين الحزبين الكبيرين الديمقراطي والجمهوري، حتى أصبح البيت المقدس بوابة للدخول إلى البيت الأبيض.

(١٣)

● بدا أن كلينتون ـ بعد كامب ديفيد الثانية ـ لم يكن يرغب في ختم عهده الملوَّث بحيازة جائزة نوبل للسلام، بقدر ما كان حريصاً على إسدال الستار على الفصل الأخير من عملية الاستسلام التي كانت أمريكا الراعي الأول لها. فتوقيع ياسر عرفات أو من ينوب عنه أو يأتي بعده على وثيقة التنازل عن القدس ليهود الشرق (إسرائيل) أو يهود الغرب (أمريكا) تحت مسمى السيادة الدولية لن يكون له معنى آخر سوى الاعتراف الرسمي للعرب جميعاً؛ بل للمسلمين جميعاً بالهزيمة في المعركة الراهنة مع اليهود، ولكن لعل الانتفاضة الجديدة تتمكن بعون الله من قلب السحر على الساحر.

(١٤)

● قيل الكثير عن «إخفاق» كامب ديفيد الثانية، وقد يأتي يوم يُكشف فيه عن أن تلك القمة لم تتعثر سوى في موعد التوقيع المعلن عن اتفاقات سبق التوصل إليها، ولهذا تردد على لسان أكثر من مسؤول عربي وغربي أن كامب ديفيد الثانية تخطت أكثر من ٨٠٪ من المسائل المعلقة! وقد تعلمنا من الممارسات السياسية العربية في السنوات الأخيرة أن أخطر الاتفاقات والمعاهدات لم يتم التوصل إليها إلا سراً، وعبر مفاوضات متكتم عليها، ثم ترفع المداولة بشأنها لكي تعلن النتائج في وقت أكثر مناسبة. وبالمناسبة؛ فإن المرء يجد نفسه أمام السؤال: لماذا كان هذا الحرص القاتل على إحاطة مفاوضات الكامب الثانية بتلك السرية الفولاذية التي لم تحظ ببعضها مفاوضات الكامب الأولى؟!

(١٥)

● بعد انفضاض كامب ديفيد هدد عرفات بالإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية في موعدها، ورد كلينتون بالتهديد بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس قبل موعدها، ولكن عرفات سحب تهديده وأجَّل إعلان الدولة للمرة الثالثة، وبقي تهديد كلينتون قائماً؛ لأنه ليس مجرد تهديد من رئيس راحل، بل هو قرار ملزم من مجلس نيابي يمثل الشعب الأمريكي؛ فقرار نقل السفارة صدر عن الكونجرس الأمريكي منذ عام ١٩٩٥م وتم التأكيد عليه عام ١٩٩٧م، ولكن الرئيس الأمريكي لا يملك إلا التأجيل فقط وليس من حقه الإلغاء، وعندما يحين وقت تنفيذ القرار سيتوالى الاعتراف الدولي بالقدس عاصمة لدولة (إسرائيل)، وعندها.. سيكون مسموحاً لعرفات بالإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة (العلمانية) ـ كما وعد ـ وعاصمتها القدس.. عفواً: أبو ديس!

(١٦)

● الذاكرة العربية المصابة بداء النسَيان المزمن نسيت أو تناست أن مدينة (أبو ديس) قد حصل ما يشبه الاتفاق على اعتبارها عاصمة للدولة الفلسطينية حال قيامها، وذلك بعد إطلاق اسم (القدس) عليها، وقد كُشف عن ذلك أكثر من مرة عن طريق تسريب بعض التفاصيل عما يسمى بوثيقة (مازن ـ بيلين) نسبة إلى محمود عباس (أبو مازن) أمين سر السلطة الفلسطينية و (يوسي بيلين) وزير العدل الإسرائيلي.

وقد كَشَفتْ سر (أمين السِّر) في السلطة الفلسطينية، وعن (عدل) وزير العدل الإسرائيلي ـ صحيفةُ نيوزويك الأمريكية في منتصف سبتمبر ٢٠٠٠م، ولم تشأ السلطة أن تنفي ـ كما فعلت طيلة سبع سنوات سابقة ـ مصداقية هذه الوثيقة!! ومع ذلك لم يكشف لنا (أمين السر) في المنظمة عن السر في اختيار (أبو ديس) مقراً للبرلمان الفلسطيني الذي تم بناؤه بالفعل فيها! والتُقطت له الصور ونشرت بالصحف.

(١٧)

● أدمن الخطاب العلماني العربي - على امتداد عهود وعقود خلت - تصوير الانكسارات بصورة الانتصارات، والهزائم المنكرة على شكل اختراقات مبتكرة، ولقد كان عجيباً في حس العقلاء أن يصور الموقف المأساوي السلطوي للمنظمة الفلسطينية؛ رغم تكرار التخاذل والتنازل بمواقف البطولة والرجولة! فعرفات ورفاقه ما ذهبوا للتفاوض بشأن الحل النهائي في كامب ديفيد إلا بعد أن فرغوا - بشكل نهائي - من حرق جميع الأوراق التي كان يمكن الضغط بها والمساومة بشأنها، وعلى رأسها المقاومة الداخلية الإسلامية، هذا في الوقت الذي ذهب فيه اليهود للتفاوض (النهائي) بعد أن فرغوا بشكل عملي شبه نهائي من تهويد القدس خلال ما يزيد على ثلاثة عقود، وخاصة في عقد التسعينيات الذي تكفل عرفات فيه بتأمين الإسرائيليين (المسالمين) من خطر (الإرهابيين) الإسلاميين حتى قال (بيريز) عن ذلك العقد: إنه أزهى العصور الأمنية في عمر الدولة الإسرائيلية!

(١٨)

● ألح عرفات كثيراً على التمسك بـ (الشرعية الدولية) ومقرراتها عند إبرام أي اتفاق بشأن القضية الفلسطينية، وقد رددت الزعامات العربية العبارات بهذا المعنى، فهل كان هذا تمهيداً نفسياً ووجدانياً للشعوب العربية والإسلامية لأن تقبل بأي حل ما دام لا يتعارض مع (الشرعية الدولية)؛ وإن كان يتعارض مع الشرعية الإسلامية؟!

إن الحديث عن حل في ظل الشرعية الدولية - شرعية اليهود والنصارى - يعيد القضية إلى نقطة الصفر حيث كانت قبل أكثر من خمسين عاماً، عندما قدمت الدول الكبرى مشروعاً لوضع أرض المسجد الأقصى تحت الوصاية الدولية، بمقتضى القرار (١٨١) الصادر عام ١٩٤٧م، وإذا تم إقرار هذا الحل - وهذا احتمال قائم - فإن العرب يكونون بذلك قد أحبطوا بأنفسهم نصف قرن بجهده وجهاده، حرباً وسلماً، (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت)!

(١٩)

● الشرعية الدولية اليوم تقوم عليها الأمم المتحدة، والأمم المتحدة خاضعة - من الناحية الواقعية - للسيطرة الأمريكية؛ وأمريكا - واقعياً - تحت سيطرة اليهود، فهل سيبخل يهود أمريكا يوماً على يهود (إسرائيل) بقرار يعيد أرض المسجد الأقصى للدولة الإسرائيلية؟! وهل ستحول دولة من الدول المائة والثمانين - من أعضاء المنظمة الدولية - ضد استخدام الفيتو الأمريكي الذي يَنقُض ولا يُنقَض؟! ويلغي ولا يُلغى، حقاً إنه عصر العلو الكبير.

(٢٠)

● وهنا مفارقة أخرى كبرى تكمن بين تقزيم قضية القدس على مستوى العالمين العربي والإسلامي، حتى تصبح قضية سلطة بلدية، في ظل قيادة فردية - وتضخيم تلك القضية على المستوى الآخر، حتى تتحول من قضية عصابات يهودية محلية إلى قضية حكومة لها علاقات دولية، إلى قضية عالمية تتبناها الشرعية الدولية بمنظمتها العالمية، من وجهة نظر يهودية ونصرانية بحيث تمهد لمفهوم أهل الكتاب من جعل القدس عاصمة للعالم، ريثما يحل زمان السيطرة اليهودية على العالم.

ونعود إلى ما بدأناه؛ فالقضية تفرض نفسها على الدنيا، وكل العالم يتحدث بشأنها: الأمريكان، والبريطان، والروس، والطليان، والفرنسيون، والألمان، وكل عبدة الصلبان والأوثان - كلهم يسترضون اليهود، ويتكلمون بلسان اليهود، وقد لمس عرفات ذلك في جولته التي طاف خلالها بعشرين دولة، حتى أحس بأن دولته لن يؤيدها أحد ما لم يأذن بها اليهود، يهود أمريكا ويهود إسرائيل، نقول: أما وقد تكلم أصحاب كل الأديان؛ فقد حُق لنا أن نتساءل: أين أهل الإيمان؟! أين القدس عند أهل الإسلام؟!

أين بيت المقدس في قلوبنا؟! هل قدسناه كما قدسه ربنا؟! هل عظمنا مسجده كما عظمه كتابنا؟ هل شددنا إليه الرحال ولو بقلوبنا - كما ندب إلى ذلك رسولنا...؟

اللهم غَفراً... اللهم ستراً... اللهم رحمة وعفواً.

العالم الإسلامي ماذا فعل من أجل القدس؟

عبد العزيز الحامد

اقترحت السُّلطة الفلسطينية على الإسرائيليين والأمريكيين ـ بعد أن (فوجئت) بتصلب الموقف الأمريكي والإسرائيلي في رفض السيادة العربية والفلسطينية على القدس ـ اقترحت أن تُسند السيادة عليها إلى العالم الإسلامي ممثلاً في منظمة المؤتمر الإسلامي، وبالرغم من أن هذا الاقتراح الفلسطيني كان بمثابة أول تنازل من السُّلطة الفلسطينية عن شعار: (لا تفريط في السيادة الفلسطينية على القدس عاصمة لدولة فلسطين)، بالرغم من ذلك فقد رفض الإسرائيليون هذا الطلب، وقال (شلومو بن عامي) وزير الخارجية الإسرائيلي بالوكالة مؤكداً رفض (إسرائيل) للسيادة الإسلامية على القدس: «بالنسبة إلينا.. إن السيادة الفلسطينية والسيادة الإسلامية العالمية يعنيان عملياً الشيء ذاته، وأؤكد رفض رئيس الوزراء لهذه الفكرة». [الحياة/٢٠/٩/٢٠٠٠م].

وصدر بعد ذلك بيان عن مكتب (إيهود باراك) في اليوم التالي جاء فيه: «إن إسرائيل لا تعارض فقط نقل السيادة على «جبل الهيكل» إلى الفلسطينيين، بل ترفض تماماً نقل السيادة إلى أي هيمنة إسلامية» [الشرق الأوسط ٢١/٩/٢٠٠٠] ومن يسمع هذا الطلب الفلسطيني وذاك الرفض الإسرائيلي يظن أنه كان بالإمكان فعلاً أن تسند السيادة على القدس إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، مع العلم بأن تلك المنظمة في واقع الأمر لا تملك الآلية القادرة على تحمل هذه التبعة العظيمة؛ ولا أدل على ذلك من أن الدور الذي مُكنت هذه المنظمة من القيام به ـ منذ أقيمت ـ لأجل القدس، هو دور متواضع جداً مقارنة بتلك القضية الضخمة العظيمة، هذا مع أن السبب في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي في الأساس إنما جاء رد فعل على حريق المسجد الأقصى الذي حدث في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩م؛ وللتدليل على تواضع هذا الدور ـ مقارنة بما كان يُتوقع من منظمة

المؤتمر الإسلامي ـ فإننا نسُوق استعراضاً للملامح الرئيسة لطريقة تلك المنظمة في التعامل مع قضية المسلمين الأولى.

فكما سبق ـ تشكلت منظمة المؤتمر الإسلامي رداً على إقدام الصهاينة[1] على إحراق المسجد الأقصى، فقد تنادى زعماء العالم الإسلامي لعقد مؤتمر قمة لبحث الموقف الواجب اتخاذه تجاه تلك الجريمة الشنعاء، وبدا وقتها أن قضية القدس والأقصى يمكن أن تكون عامل توحيد للأمة الإسلامية، ولكن هذا ما لم يحدث طيلة العقد التالي، عقد السبعينيات؛ إذ شُغل العالم الإسلامي بهموم كثيرة صرفته عن الاهتمام بقضيته المركزية، وأصبحت منظمة المؤتمر الإسلامي رمزاً مجسِّداً لما يمكن أن يقدمه العالم الإسلامي ـ على مستوى الدول ـ لصالح قضية فلسطين؛ ذلك الدور الذي لم تُتح له سوى أن يكون رمزياً فقط في غالب الأحوال؛ لقد أثمر المؤتمر الأول لزعماء العالم الإسلامي نتيجة مهمة، كان يمكن أن يستفاد منها لأقصى الغايات لو فعِّلت ورتب لها ترتيباً إيجابياً؛ ذلك أنه قد صدر في نص ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي أن من أهم أهدافها: «الحفاظ على سلامة الأراضي المقدسة وتحريرها، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه». ونص الميثاق أيضاً على خصوصية القدس على المستوى التنظيمي، حيث جاء النص على أن: «يكون مقر المنظمة في مدينة جدة مؤقتاً، إلى أن يتم تحرير القدس، لتصبح مقراً دائماً لها»؛ ولكن نشاط منظمة المؤتمر الإسلامي المخصص في الأساس لخدمة قضية بيت المقدس ـ تقلص واختُصر من (مؤتمر إسلامي عالمي) إلى «لجنة» لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر عام ١٩٧٥م، وتحول دور هذه اللجنة، من الناحية الواقعية إلى «صندوق» يستجدي من العالم الإسلامي بفقرائه وأغنيائه من الأموال ما يمكن أن تصرَّف به شؤون محدودة داخل الأرض المقدسة، ليس منها ما يساعد في قليل ولا كثير على تحرير تلك الأرض المقدسة؛ وذلك في الوقت الذي تنهال على تلك الأرض ـ منذ ما يقرب من قرن من الزمان ـ مليارات الدولارات من اليهود والنصارى، بهدف إعادة صهرها ثم تشكيلها في هيئة يهودية صرفة؛ وبمقارنة بسيطة بين الواقع العربي الإسلامي، والواقع اليهودي في مدينة القدس بعد أربعة وثلاثين عاماً من احتلالها ـ وهو واقع معروف ـ ندرك بُعد الشقة بين ما قدمه العالم الإسلامي للقدس وما قدمه ولا يزال يقدمه العالم اليهودي والعالم النصراني أيضاً؛ والسؤال المرير هنا هو: من الذي يقدس القدس.. نحن أم هم؟! وللتذكير ببعض ما تعهدت به المنظمة، نذكر شيئاً من قراراتها ووعودها فيما يتعلق بالمسؤولية التي تحملتها نحو القدس والأقصى، ونحن نذكرها لنقارن فقط بين الأقوال والأفعال.

● في مؤتمرها الأول المنعقد في سبتمبر ١٩٦٩م، أكدت القمة الإسلامية «أن حكومات الدول الإسلامية وشعوبها يرفضون أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها السابق قبل الاحتلال في يونيو ١٩٦٧م» ومعنى هذا أن الدول الإسلامية كلها ترفض أي سيادة على مدينة القدس لغير أهلها من الفلسطينيين المسلمين.

● وفي القمة الإسلامية الثانية التي عقدت في لاهور في شهر فبراير ١٩٧٤م جاء في قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي النص الآتي: «القدس رمز فريد من نوعه لالتقاء الإسلام بالأديان السماوية

(١) الذي قام بذلك العمل لم يكن صهيونياً يهودياً، بل كان صهيونياً نصرانياً، وهو مايكل دنيس.

(المقدسة)، ولقد تولى المسلمون لأكثر من ١٣٠٠ سنة شؤون القدس كأمانة لكل من يعتزون بها، وبهذا كان انسحاب إسرائيل من القدس شرطاً لا يقبل التغيير؛ لتحقيق سلام دائم في الشرق الأوسط».

● وعندما أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارها بضم القدس الشرقية المحتلة انعقد مؤتمر للمنظمة على مستوى وزراء الخارجية في مدينة فاس بالمغرب في ١٩٨٠/٩/٢٠م؛ وقد التزمت الدول الإسلامية في هذا المؤتمر باستخدام (جميع) قدراتها السياسية والمالية والنفطية والعسكرية (!!) لمجابهة القرار الإسرائيلي، والتعهد بفرض مقاطعة[١] سياسية واقتصادية على البلدان التي تساند القرار الإسرائيلي.

● وفي المؤتمر الثالث للمنظمة والمنعقد في يناير ١٩٨١م، أعلنت المنظمة الإسلامية العالمية (الجهاد المقدس) لتحرير القدس (!!) وفقاً لمواد القانون الدولي التي تَكْفُل الدفاع المشروع عن النفس في المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، وجددت القمة الدعوة إلى مقاطعة (إسرائيل) وقررت: أن إبقاء أي دولة إسلامية على أي شكل من أشكال العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية معها - يُعد تشجيعاً لها على مواصلة احتلال الأراضي العربية المحتلة وعلى رأسها القدس الشريف.

● وعندما أقبل العرب - بسعي جماعي - على (نسخ) تلك القرارات والتوصيات، والتعهدات السابقة، بالدخول في التفاوض السلمي مع اليهود في مؤتمر مدريد في أكتوبر عام ١٩٩١م أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامي: «أن القدس هي جوهر قضية فلسطين، ولذلك لا يمكن تغييبها عن مفاوضات السلام»؛ ولكن القدس غُيِّبت بالفعل، واستمرت مفاوضات السلام ما يقرب من عشر سنوات دون أن يكون هناك همس عن القدس، ومع ذلك سكتت المنظمة، وسُلمت القضية إلى (أصحابها) الأصليين وهم: منظمة التحرير!! وكأن القدس كانت أو أصبحت ملكاً لتلك المنظمة لتتحدث عنها وتنفرد بها عن مئات الملايين من المسلمين. وعندما أُعلن عن انعقاد كامب ديفيد الثانية التي تحطمت نتائجها على صخرة القدس بدأ الكلام عن أنواع متعددة من أشكال السيادة على القدس من طرف اليهود والنصارى؛ ولكنها تستثني العالم الإسلامي ممثلاً في المنظمة الإسلامية العالمية، وعندها أصدرت منظمة المؤتمر الإسلامي في دورتها السابعة والعشرين في ٣٠ يونيو ٢٠٠٠م، ما أطلق عليه: «نداء القدس» وجاء فيه: «إن القدس هي العاصمة السياسية والتاريخية للشعب الفلسطيني وللدولة الفلسطينية، وهي ملتقى الأديان والرسالات السماوية، ومركز تعايش الحضارات والثقافات، وهي جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية»[٢] فإن الظاهر من هذا النداء أنه كان يهدف إلى مساندة الموقف الفلسطيني المعلن بعدم التفريط في (ذرة تراب) من القدس الشرقية؛ ولكن هذا الموقف المعلن بدأ ينافسه الموقف غير المعلن وهو القبول بجزء من خارج القدس، وهو (حي أبو ديس) ليكون عاصمة للدولة الفلسطينية - إذا قامت - وعندها أصدر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي إعلاناً في (٢٠٠٠/٩/١٩م) جاء فيه: «نعبر عن تقديرنا للجهود الرامية إلى اتفاق على المسار الإسرائيلي الفلسطيني من عملية السلام».... والسلام!!

---

(١) هذا قبل مقاطعة هذا القرار بالهرولة إلى التطبيع.

(٢) جريدة الأهرام، ١ يوليو ٢٠٠٠م.

كامب ديفيد .. هل أخفقت؟

عماد الغزي

ببساطة حاول عرفات وباراك إقناع العالم بأن محادثاتهما المغلقة والتي استمرت ١٤ يوماً برعاية كلينتون نفسه لم تكن ناجحة، ليس على القضايا الفرعية وحسب، وإنما على القضايا الأساسية؛ فهل حقاً كانت كذلك؟ أم أن الإخفاق الظاهري للمحادثات هو من مقتضيات التوقيع على الاتفاق النهائي، وأن هناك ترتيبات مكملة خارج إطار الأطراف الحاضرة يجري إعدادها الآن؟ هذا ما سنسعى للإجابة عليه.

عرفات بحاجة لهذا الإخفاق:

بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو دخل عرفات غزة دخول الفاتحين، واستُقبل استقبال الأبطال من البعض؛ وما كان له ذلك لولا استغلاله لمجموعة من العوامل استطاع توظيفها لتمنحه شرعية تمثيل الفلسطينيين في هذا الاتفاق ثم قيادتهم.

ومن هذه العوامل:

أ - الرصيد النضالي القديم لحركة فتح والمنظمة التي يتزعمها عرفات، هذا الرصيد قام على أشلاءِ رجالٍ كثيرين قاتلوا وجاهدوا لتحرير فلسطين في الستينيات والسبعينيات ولم يكونوا يقبلون أي سلام مع اليهود.

ب - داعب عرفات مشاعر الفلسطينيين حين صور لهم الاتفاق مع «إسرائيل» بأنه المخرج الوحيد من حياة البؤس والشقاء في مخيمات الذل، حتى صوّر لهم غزة سنغافورة الشرق الموعودة بعد أن تنهال عليهم المساعدات الدولية من كل جانب.

ج - الفلسطينيون في البداية كانوا يجهلون حقيقة اتفاقية أوسلو وبنودها السرية. أحلام الدولة المستقلة... آمال زوال الاحتلال، كانت أكبر من أن تسعى هذه الشعوب للتفكير قليلاً في تبعات الاتفاق. إنها فترة التقت فيها العاطفة والاندفاع الفطري للإنسان نحو الخلاص على مسافة بعيدة من تغليب العقل والتأمل، إنه ملتقى التائهين من الشعوب المغلوبة التي قُيِّد علماؤها في السجون، وغيِّب الناصحون المخلصون عن القرار.

اليوم تغير الأمر:

الرصيد النضالي الذي منح عرفات الشرعية تغير إلى صورة قاتمة لدى الفلسطينيين وتمخض عن استبداد أجهزة السلطة وقطاعاتها الأمنية الثلاثة عشر وعن الفساد المالي والإداري.

● أما سنغافورة الشرق فواقع الفلسطينيين بعد الاتفاق أصبح مدعاة للإحباط عند بعضهم؛ فمن زيادة معدلات البطالة مروراً بالغلاء الفاحش إلى انخفاض مستوى المعيشة المتدني أصلاً حتى أصبح جزء كبير من سكان ما سمي بمناطق الحكم الذاتي يعيش تحت مستوى الفقر.

● أما حقيقة الاتفاق وبنوده وما يترتب عليه فقد أخذت تتضح يوماً بعد يوم، وإذا بالمهمة الأولى للدولة الموعودة هي حماية أمن «إسرائيل» وحدودها، وتنفيذ أوامر الموساد والـ C.I.A.، وكل عملية جهادية يقوم بها فلسطيني ضد «إسرائيل» أصبحت خرقاً للميثاق وتراجعاً عن العهود.

رئيس الدولة الرمز لا يستطيع دخول دولته أو التنقل فيها إلا بإذن من السلطات الإسرائيلية!

مظاهر كثيرة ومعاناة أكثر أدرك الفلسطينيون من خلالها مدى ضعف هذا الكيان وحجم المأساة التي وصلوا إليها بعد صبرهم الطويل.

● ومن ثم فعرفات الآن بحاجة لعملية تلميع جديدة - وقد تكون الأخيرة - وقد يريد هو ويُراد لعملية التلميع هذه أن تمنحه الشرعية مجدداً ومن ثم الجرأة على توقيع الاتفاق التاريخي القادم الذي جَبُنَ أن يوقع عليه في اللحظات الأخيرة في كامب ديفيد الهالكة.

عاد عرفات من كامب ديفيد بصورة حاولت السلطة من خلالها أن تصنع منه البطل صلاح الدين الذي رفض التنازل عن القدس.

الإعلام الفلسطيني والعربي ساهم في الجريمة، حتى الذين اتهموه بالخيانة والتنازل عادوا لمدح صموده في صحفهم ومجلاتهم وكأنهم جميعاً في نسق واحد يقودهم ويوجههم هم وعرفات قائدٌ واحد!!

القدس:

لم تكتفِ «إسرائيل» أو تقبل بما وقَّع عليه قادة المنظمة وعرفات في أوسلو وما أعلنوه من قبولهم بحق «إسرائيل» في الوجود؛ بل اشترطت وسعت لأجل إقرار علني من المجلس الوطني الفلسطيني وأمام كلينتون نفسه بإلغاء البنود التي تدعو لإزالة دولة «إسرائيل» من الوجود. إسرائيل تدرك أن عرفات وقادة المنظمة هم في نهاية الأمر لا يمثلون شعوبهم، وهي بهذه الخطوة حصلت على إقرار تاريخي وشعبي بحقها في فلسطين.

واليوم ونحن على أبواب التسوية المرتقبة حول قضية هي من أخطر قضايا العالم الإسلامي ومدار حروب تاريخية بين المسلمين والنصارى.. ألا وهي القدس، فإن «إسرائيل» لا تريد توقيع عرفات فقط

أو المجلس الوطني الفلسطيني فقط إنما تريد إضافة لذلك كله إقراراً عربياً ضمنياً أو علنياً بما سيوقع عليه ويقبله عرفات حول القدس.

ومن هنا يأتي الحديث بعد كامب ديفيد المحبَطة وقبل القمة القادمة عن لمّ الشمل العربي الذي ظاهره طي صفحة الماضي للخلافات العربية، وحقيقته الاستجابة للضغوط الأمريكية لإضفاء الشرعية العربية على ما سيقوم به عرفات حول القدس.

الاستحقاقات المالية للاتفاق تحتاج إلى ترتيب:

لاتفاقية التسوية النهائية تبعات مالية ضخمة من الناحية النظرية على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي مع اختلاف جذري في التطبيق لكلتا الحالتين.

فعلى الصعيد الفلسطيني تتراوح هذه الاستحقاقات بين عصا يهدد بها الراعي الأمريكي أغنياء العرب بوجوب تمويل الاتفاق وصندوق التعويضات للاجئين الفلسطينيين، وجزرة يُلوِّحون بها للفقراء فيتنازلون عن حق العودة أملاً بالاستقرار ولقمة العيش طالما أن الوطن ميئوس من رجوعه.

أما في الجانب الآخر فتختلف المعادلة؛ حيث تطالب «إسرائيل» بعدة آلاف من ملايين الدولارات لتقوم بتفكيك بيوت جاهزة تتكون منها المستوطنات الصغيرة التي ستسلم أراضيها للفلسطينيين بموجب اتفاقية التسوية النهائية.

الراعي الأمريكي يملك من الرأفة والنزاهة ما يجعله يمول جزءاً كبيراً مما تطلبه «إسرائيل» هذا عدا المساعدات العسكرية لتقوية أمن «إسرائيل» التي سيصبح بعض أراضيها في الضفة مكشوفاً للعدو بسبب التسوية النهائية.

الثوابت الإسرائيلية والثوابت الفلسطينية:

نستطيع أن نقول بكل ثقة ووضوح أن هناك ثابتاً فلسطينياً واحداً طوال العقود الماضية لدى المنظمة وقادتها، وهو أنهم على استعداد دائم للتراجع عن مطالبهم وبشكل مرحلي، وهم أيضاً على استعداد دائم بمرور الزمن للقبول اليوم بما رفضوه بالأمس، أمام هذا الثابت الذي يقود أية أمة أو جماعة للكارثة، أمام هذا تقف الثوابت الإسرائيلية على الجهة المقابلة، بعنادها وصلابتها واتفاق قادة «إسرائيل» قديماً وحديثاً على قواعدها الأساسية مع اختلاف واجتهاد لكل واحد منهم على شكليات التطبيق.

إذا أردنا الآن أن نتصور الاتفاق النهائي وبنوده وما يترتب عليه فقد يكفينا فقط دراسة الثوابت الإسرائيلية وفهمها.

إن الاتفاق القادم سيمنح «إسرائيل» ما تريد، أما القادة الفلسطينيون فيمكن إخراجهم من المأزق بأن تُصاغ بنود الاتفاق بطريقة مبهمة الألفاظ في بعض فقراتها، يستطيع من خلالها هؤلاء القادة تفسير هذه البنود بالطريقة التي ترضي شعوبهم وتخرجهم من الحرج وتهمة الخيانة، إلا أنها في نهاية المطاف تصطدم مع الواقع المشاهد المحسوس الذي يناقض تفسيرهم ويطابق تفسير «إسرائيل» ومطالبها.

وفي هذه العجالة سنتناول ثوابت اليهود وأهدافهم من خلال محاور اللاجئين والسلام والأمن:

اللاجئون:

ترتكز العقيدة الإسرائيلية في قضية اللاجئين على ثلاث ركائز أساسية، وهي حسب الأهمية:

أولاً: إلغاء هوية: «لاجئ فلسطيني»:

إن وجود أي شخص فلسطيني يحمل هوية «لاجئ» في أي مكان من العالم يعني أن له قضية تحتاج لحل، وأن له وطناً قد شرد منه يطالب بعودته، وأن الذي أخرجه من وطنه عدو لا بد من محاربته.

ومن هنا كانت «إسرائيل» ومنذ تأسيسها تطالب بتوطين اللاجئين الفلسطينيين، وتتعرض الدول العربية التي تقطنها جاليات فلسطينية منذ فترة طويلة لضغوط أمريكية قوية لأجل التوطين.

وقد يتم توطين بعض منهم في أماكن إقامتهم الحالية، وتهجير بعضهم مرة أخرى ليستقروا في بلد جديد كالعراق مثلاً مقابل رفع الحصار عنه، وكل ذلك ضمن اتفاقات مصالح دولية ـ بعضها معلن والآخر غير معلن ـ تذهب ضحيتها في النهاية الشعوب.

ثانياً: إبعاد الفلسطينيين عن الحدود مع «إسرائيل»:

لا تريد «إسرائيل» للفلسطيني أن يعيش ولو بعد التوطين على مقربة من حدودها، إنها ترى في قربه إثارة للذكريات والحنين للوطن المسلوب على الجانب الآخر من السياج، وقد يتحمس بعضهم فيقرر القيام بعملية جهادية ضد عدوه الذي لا يبعد كثيراً عنه، وقد ترددت أنباء أثناء الضربات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة للجنوب اللبناني رداً على استفزازات حزب الله ـ عن وجود اتفاق شيعي يهودي لتهجير الفلسطينيين من جنوب لبنان إلى شماله، ويعجب القارئ حين يعلم أن سفارتي أمريكا وكندا في لبنان تقومان بجزء من هذه المهمة حيث تركزان في قبولهما لطلبات الهجرة للشباب الفلسطينيين المقيمين في لبنان على الذين يسكنون المخيمات الجنوبية المحاذية لـ «إسرائيل».

ثالثاً: تفكيك بنية المخيمات الفلسطينية:

(مخيمات الحقد والكراهية) هكذا يصف نتنياهو المخيمات الفلسطينية في لبنان والأردن وسوريا، وهو يعبر عن وجهة النظر اليهودية التي ترى في المخيمات وتجمع الفلسطينيين في مكان بائس واحد ـ أرضاً خصبة للجماعات الأصولية والمد الإسلامي، واجترار ذكريات الماضي وإثارة الكراهية ضد «إسرائيل» ومن ثم فهي تهدف إلى تفكيك هذه المخيمات وتشتيت الفلسطينيين الذين يعيشون فيها داخل الدولة، وقد خرجت في الآونة الأخيرة دعوات داخل الدول العربية التي تحوي هذه المخيمات ظاهرها الرحمة والشفقة مطالبة بإعادة تأهيل المخيمات وتحسين حالة الفسلطينيين، وحقيقتها الاستجابة لمطالب اليهود بتفكيك بنية هذه المخيمات وإزالتها نهائياً؛ وللمنتفعين دور في هذه القضية؛ فهناك من يطمح ببيع أراضيه لصندوق التعويضات لبناء مساكن للفلسطينيين عليها كوليد جنبلاط مثلاً.

السلام:

السلام هدف استراتيجي لـ «إسرائيل» يسعى إليه اليهود بشتى السبل، وهم على استعداد للتنازل عن بعض مكتسباتهم ومطالبهم لأجله، والسلام يحقق لـ «إسرائيل» الكثير من المكاسب منها:

أولاً: الشرعية:

تمثل الشرعية العامل الأهم في وجود أي نظام سياسي واستمراره، ولا يخفى أنه كلما توسعت

عملية السلام ترسخت شرعية «إسرائيل».

أن تتحول «إسرائيل» عند العرب من دولة معتدية إلى صاحبة حق في الوجود، وأن يتحول العداء العربي إلى صداقة وسلام وتعاون - إنجاز لا يعادله إنجاز لدولة «إسرائيل»، وحين تترسخ هذه الشرعية سيتحول المصرُّون على عداء «إسرائيل» إلى خارجين على القانون والإجماع العربي وناقضين للعهود والمواثيق مع اليهود، وبعد أن كان أولئك المناضلون يكتسبون شرعيتهم من عداء «إسرائيل» إذ تتحول المعادلة إلى شرعية قيام «إسرائيل» وحلفائها بمحاربتهم وقتلهم!!

ثانياً: تخفيف الضغط العسكري والأمني:

تتيح عملية السلام لـ «إسرائيل» تخفيف الضغط الأمني الداخلي، وتقليل توقعات الهجوم الخارجي والخوف منه؛ مما سيجعلها تتفرغ أكثر لأمورها الداخلية كاستيعاب المهاجرين وتدريبهم عسكرياً وتأهيلهم، وترسيخ بناء الدولة، وتحويل جزء من تكاليف الاستعداد العسكري الدائم إلى الأبحاث والصناعات العسكرية والتقنية.

ثالثاً: الاستقرار السياسي:

استقرار «إسرائيل» سيجلب لها المزيد من الاستثمارات الأجنبية الأمريكية والأوروبية؛ مما سينعكس إيجاباً على الاقتصاد الإسرائيلي.

رابعاً: سهولة الاختراق الأمني:

الانفتاح على الدول العربية والتبادل الدبلوماسي والتجاري سيتيح لـ «إسرائيل» القرب أكثر من المنطقة وجمع المعلومات الاستخباراتية بشكل أدق، ومن ثم تتبع أي حركات جهادية أو معارضة للسلام مع «إسرائيل» داخل هذه الدول.

خامساً: الانفتاح الاقتصادي:

زيادة التبادل التجاري مع الدول العربية وتصدير التقنية الإسرائيلية والخبرات الأمنية سينعكس إيجاباً على الاقتصاد الإسرائيلي، ويربط الاقتصادات العربية تدريجياً باقتصاد «إسرائيل»، وقد تردد الخبر كثيراً عن تملك اليهود أسهماً في الكثير من الجامعات الأردنية؛ مما سيجعلهم مؤثرين حتى في مناهجها.

الأمن:

اليهود شعب جبان بطبعه يحتل الهاجس الأمني العامل الأكبر في صنع قراره السياسي والعسكري، حتى قادة «إسرائيل» السياسيون هم في الأصل قادة عسكريون، ولا يمكن أن يُنظر إلى التطبيع أو أية اتفاقات سلام إلا بالقدر الذي يحقق لـ «إسرائيل» أهدافها الأمنية، ولـ «إسرائيل» مطالب أمنية على الصعيد الخارجي - التهديدات الخارجية - والصعيد الداخلي، وقد تحقق بعض هذه المطالب علناً أو سراً، وهي تسعى بشكل دائم لتحقيق أقصى درجات مطالبها الأمنية.

المطالب الخارجية:

الحفاظ على تفوق «إسرائيل» العسكري العددي والنوعي والتقني بحصولها على أحدث الأسلحة خاصة الطيران ومضادات الصواريخ، ومنذ تأسيس «إسرائيل» كان السلاح والدعم العسكري الثمن الذي كان على الولايات المتحدة أن تدفعه دائماً استرضاءاً لـ «إسرائيل» كلما برزت الحاجة لقبولها بمقترحات جديدة لعملية السلام وتقديم تنازلات للعرب، وفي الجهة المقابلة إضعاف القوة العسكرية للدول العربية وتحييدها وخاصة المجاورة لها وذلك من خلال:

١ - منع زيادة هذه الجيوش أو تقليل أعدادها.

٢ - الحيلولة دون امتلاك سلاح طيران قوي ومتطور وصواريخ بعيدة المدى.

٣ - إضعاف نفوذ رجال العسكر السياسي.

٤ - تقليل الميزانية العسكرية مما سيؤدي إلى تقليل برامج التدريب وعدم تحديث الأسلحة القديمة.

٥ - منع قيام أي صناعة عسكرية تقنية متطورة وأهمها السلاح النووي، والاعتماد على استيراد السلاح خاصة الأمريكي.

● وقد استجاب العرب عملياً لبعض هذه المطالب؛ فقد استُحدثت أنظمة في بعض الدول العربية المجاورة لـ «إسرائيل» تسمح للمزيد من الشباب بالإعفاء من الخدمة العسكرية الإلزامية، وتم تسريح بعض الاحتياطي، حتى الطائرات بدلاً من تجديدها بِيعَ بعضُها لسداد الديون.

● حُيِّدت الجيوش العربية تدريجياً، بل الجيش المصري الذي كان أحد أقوى الجيوش العربية تُرِكَ ليتآكل على مدى عشرين سنة.

المطالب الأمنية الداخلية:

وما نعنيه هنا داخل حدود «إسرائيل» والأراضي الفلسطينية:

١ - محاصرة مد الإسلاميين ونفوذهم.

٢ - تفكيك بنية الجماعات الإسلامية الجهادية.

٣ - محاربة أعداء السلام سواء كانوا أشخاصاً أو جماعات أو مؤسسات.

٤ - التخلص من عبء ضبط الفلسطينيين أمنياً.

٥ - لجم العمليات الجهادية ضد اليهود.

٦ - الحفاظ على أمن «إسرائيل» ورجالها.

بعد سنوات من نشوء كيان السلطة الفلسطينية ظهر حجم الالتزامات الملقاة على عاتقها بموجب بنود الاتفاقيات العلنية والسرية للحفاظ على أمن «إسرائيل» ومنع قيام أي فلسطيني بعمل جهادي ضد اليهود.

وأخيراً: عرفات.. هل هو المتهم الوحيد؟

لأن عرفات ضعيف، وزعيم شعب مشرد، وشخصية مكروهة لدى العديد من حكومات العرب؛ فقد سُمح بنقده واتهامه بالخيانة في وسائل الإعلام المختلفة، ونحن إذ نتحدث عنه فإننا نؤكد الآتي:

أ - لم يكن عرفات ليجرؤ على السلام مع اليهود لولا تخاذل العلماء في أكثر أقطار العالم الإسلامي، وقبولهم بأن يكونوا خارج الميدان.

ب - صمت الشعوب العربية نتيجة عملية تغريب وتخريب أخلاقي مركزة تعرضت لها منذ حرب الخليج الثانية عبر كم هائل من القنوات الفضائية التي حوّلت هموم الشباب نحو الفن وسعار الجنس.

ج - العصبية والقومية التي زُرعت في الشعوب العربية خلال العقود الأخيرة جعلتهم ينظرون إلى القضية الفلسطينية وكأنها قضية خارجية لا تعنيهم.

د - يؤكد الكثير من زعماء الدول الغربية وكذلك مذكرات الخارجية البريطانية ومراسلاتها بأنهم لم يشعروا أبداً من خلال تعاملهم الرسمي مع الدول العربية بالاهتمام بالقضية الفلسطينية، ويؤكدون كذلك أنه لم يحدث أبداً أن أحداً من الزعماء العرب طلب خلال مقابلاتهم السرية تحرير فلسطين أو إزالة دولة «إسرائيل»، وأن جل اهتمامهم أن تسير الأمور بطريقة لا تثير حفيظة شعوبهم أو توقعهم في الحرج.

الإجراءات (الإسرائيلية) لتهويد المدينة المقدسة والمشاريع المطروحة حول المدينة

مركز العودة الفلسطيني ـ بريطانيا

نعتقد أنه ما من مسلم إلا ويعلم تمام العلم منزلة المسجد الأقصى في عقيدته، من حيث هو أولى القبلتين ومسرى الرسول محمد ﷺ، وأنه ثاني مسجد يبنى بعد البيت الحرام بأربعين سنة ـ كما ورد ذلك في الحديث الشريف. ولسنا هنا بصدد الحديث عن مزايا المسجد الأقصى ومنزلته في عقيدة المسلم ودينه، ولكننا سنسلط الضوء على الإجراءات (الإسرائيلية) لتهويد القدس، وما يتهدد المسجد الأقصى من خطر، وكذلك المشاريع المطروحة لإنهاء هذه القضية.

جهودهم لتهويد المدينة المقدسة:

ما فتئ الصهاينة منذ اليوم الأول لاحتلال القدس يعلنون أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لدولتهم، وقد عمدوا إلى كل الوسائل والأساليب لتهويد المدينة المقدسة وتهجير أهلها الفلسطينيين منها. وتمثلت هذه الأساليب بأشكال عدة نورد منها ما يلي:

١ – سن التشريعات والقوانين التعجيزية الخاصة بأهالي القدس: فمنذ اليوم الأول لاحتلال المدينة أعلن عن توسيع حدود بلدية القدس لتمتد حتى رام الله شمالاً وبيت لحم جنوباً؛ وذلك لضم أكبر مساحة ممكنة من الأرض بأقل عدد من السكان العرب، وكذلك لتشمل المستوطنات والمناطق اليهودية المأهولة. فأصبح الفلسطينيون للمرة الأولى في تاريخ المدينة أقلية تبلغ نسبتهم ٣٠٪ من مجموع السكان!

– ثم توالت الإجراءات التعسفية بحل مجلس أمانة القدس العربية، ونقل جميع أملاكها، ووضع جميع موظفيها تحت تصرف بلدية القدس اليهودية.

– وفي شهر يوليو ١٩٦٧م صدر قرار بضم القدس العربية إلى القدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وبعد هذا القرار سارعت السلطات الصهيونية إلى تطبيق قانون «أملاك الغائبين»، والغائب: هو

كل مقدسي لم يشمله الإحصاء الرسمي (الإسرائيلي) الذي جرى في يوليو ١٩٦٧م، وبهذا القانون وضعت الحكومة (الإسرائيلية) يدها على عقارات المقدسيين «الغائبين» وطبقت الحجز على أموالهم المنقولة وأسهم الشركات التي تخصهم.

– ثم عمدوا بعد ذلك إلى إلغاء القوانين الأردنية السارية واستبدالها بتشريعات (إسرائيلية) مما أدى إلى إغلاق البنوك والدوائر الحكومية الأردنية، وأسفر ذلك عن تشريد الموظفين وعائلاتهم ومن ثَمَّ التأثير على التركيبة السكانية.

– تم إخضاع التعليم العربي (للمناهج الإسرائيلية) ولإشراف وزارة التعليم الإسرائيلية. ثم بعد المعارك الشرسة التي خاضها المقدسيون ضد سلطات الاحتلال اضطرت إلى التراجع عن تدريس المناهج الإسرائيلية في المدارس العربية.

– إزالة أجزاء كبيرة من الأحياء العربية القائمة تدريجياً، وإجلاء المزيد من أهلها كما حدث في حي المغاربة، وحارة الشرف، وحي المصرارة، ومنطقة باب الخليل.

– تطبيق قوانين الدفاع البريطانية لعام ١٩٤٥م ضد سكان القدس العرب؛ وتشمل: العقوبات الجماعية، وهدم المنازل، ومنع التجول، والاعتقال بدون محاكمة.

٢ – مصادرة الأراضي والعقارات واستملاكها: فقد صادرت سلطات الاحتلال الصهيوني أكثر من ٣٠ ألف دونم(١) من أراضي القدس العربية من عام ١٩٦٧م إلى يومنا هذا. وكانت أول عملية هدم واستملاك لأراضي فلسطينية في القدس قد جرت بعد ثلاثة أيام من احتلال المدينة عام ١٩٦٧م عندما أرسلت سلطات الاحتلال جرافاتها إلى حارة المغاربة في البلدة القديمة الملاصقة لحائط البراق؛ حيث أعطت السكان إنذاراً مدته نصف ساعة قبل أن تهدم ١٣٥ منزلاً وبعض المساجد والمدارس والمتاجر؛ مما أدى إلى تشريد ٤٣٥ عائلة مقدسية. ثم توالت عمليات الهدم والمصادرة تمهيداً لبناء المستوطنات داخل المدينة وخارجها حتى وصل عددها إلى ٢٩ مستوطنة سرطانية في القدس وما حولها. كما تم الاستيلاء على الكثير من البيوت العربية داخل البلدة القديمة وإسكان اليهود المتطرفين فيها واعتبارها بؤراً استيطانية؛ وذلك بحجج شتى منها تطبيق قانون الغائب أو عن طريق التزوير والادعاء بملكية الأرض والبيت المقام عليها، وما إلى ذلك.

٣ – سياسة مصادرة هويات الإقامة: خلال حكم نتنياهو فقط تم سحب ٢٠٨٣ بطاقة إقامة من فلسطينيين مقيمين في القدس وهو ما يعني طرد أكثر من ٨ آلاف مقدسي آخذين بعين الاعتبار أفراد عائلاتهم الملحقين بهم. وهناك أكثر من ٧٠ – ١٠٠ ألف مقدسي مهددون بفقدان هويتهم وحق الإقامة في مدينتهم لأوهن الأسباب.

ثم عمدت هذه السلطات الصهيونية إلى تطبيق قانون رقم ١١ لسنة ١٩٧٤م والذي ينص على إلغاء الإقامة في حالات عدة منها:

– إذا قيَّد وزير الداخلية الإسرائيلي حق الإقامة بأي شرط، وكان هذا الشرط لا ينطبق على طالب الإقامة المقدسي.

– إذا وقع تغيير على وثيقة السفر التي منح بموجبها حق الإقامة في القدس.

– في حالة التخلي عن الإقامة في (إسرائيل) والعيش في دولة أخرى سواء حصل على جنسية من هذا البلد أم لا، بل يكفي تقديم طلب جنسية من بلد آخر حتى يسقط حقه في الإقامة في القدس. وينطبق هذا الشرط على جميع أهل القدس الذين يقيمون لسبب أو لآخر خارج حدود القدس البلدية بما فيها ضواحي القدس!

وقد وضعت سلطات الاحتلال شروطاً إضافية حتى لا يتمكن المقدسيون من الاحتفاظ بهوياتهم تشمل: تقديم إثباتات معينة مثل فواتير الأرنونا (ضرائب الممتلكات) والماء والكهرباء، وشهادات تطعيم الأولاد، وأخرى تثبت

(١) الدونم: تبلغ مساحته ١٢٠٠ متر مربع تقريباً.

دراستهم في القدس. ومن لم يستطع تقديم أي من هذه الشهادات تسحب هويته، وليس من حقه أن يسكن في المدينة، وإذا سكن فيها بعد ذلك ولو يوماً فإنه يعتقل فوراً!

أما بالنسبة لتصاريح البناء فإنها تشبه المستحيل لكثرة التعقيدات والإجراءات التي يتطلبها ذلك، إضافة إلى الرسوم العالية جداً التي تدفع مقابل الحصول على حق إضافة غرفة لبيته؛ حيث تبلغ قيمة هذه الرسوم ٢٥ ألف دولار أمريكي! مما أدى إلى وضع المقدسيين في وضع حرج للغاية؛ فكل من أراد الزواج إما أن يسكن مع أهله في بيتهم الصغير أو يغامر وينتقل للسكن في إحدى الضواحي، مما يعرضه لخطر سحب هويته وإقامته المقدسية.

٤ - فرض الضرائب الباهظة: فرضت السلطات الصهيونية سلسلة من القوانين والأنظمة الضرائبية على سكان مدينة القدس بغرض ضرب البنية التحتية للقطاع التجاري في المدينة؛ حيث ثبت بدراسات ميدانية أن أكبر نسبة ضرائب في العالم هي المفروضة على سكان مدينة القدس؛ رغم أن هذه الضرائب غير قانونية دولياً بموجب معاهدة جنيف ولاهاي التي تُحرِّم فرض ضرائب على المحتل.

ومن هذه الضرائب: ضريبة الدخل، وتجبى بنسبة ٣٥٪ من أرباح الأفراد وما نسبته ٥٥٪ على الشركات، وضريبة القيمة المضافة، وتجبى بنسبة ١٧٪ من قيمة المبيعات. وهناك ضريبة الأملاك، وهي ضريبة على الأراضي بنسبة ٣,٥٪ من قيمة الأرض حسب تخمين موظفي الضريبة (اليهود). وضريبة البلدية (الأرنونا) وتجبى على أساس مساحة الشقق والمحلات التجارية، بقيمة تتراوح بين ٦٠ - ٧٠ دولاراً على المتر الواحد من المحلات التجارية سنوياً، ومن ٢٠ - ٤٠ دولاراً على المنازل. وهناك رسوم التأمين الوطني، وتجبى من السكان العرب ومن أصحاب العمل بنسبة ١٠٪ من الدخل. ورسوم إعلام، وهي رسوم تجبى على كل جهاز تلفزيون موجود في المنزل. وضريبة أمن الجليل وهي ضريبة فرضت على السكان العرب إثر تعرض منطقة الجليل الأعلى للهجمات الفدائية؛ وبناءاً على ذلك فإن سكان القدس العربية مجبرون على دفع ضريبة عن هذه الهجمات لتعويض اليهود عن خسائرهم.

علماً بأن جميع هذه الضرائب مرتبطة بجدول غلاء المعيشة، ويتم تحصيلها في حالة الامتناع عن الدفع بحجز الأملاك والمصادرة والسجن، ولزيادة الإمعان في خنق الاقتصاد العربي وشل الحركة التجارية في المدينة فرضت سلطات الاحتلال الإسرائيلي طوقاً وحصاراً أمنياً على مداخل القدس العربية منذ ١/٤/١٩٩٣م مما أثر سلباً على المدينة وشل الحركة التجارية والاقتصادية فيها - بعد أن فصلت القدس عن الضفة الغربية والقطاع - ومنعت البضائع الوطنية من دخولها، مما أدى إلى خسائر كبيرة في القطاع التجاري. هذا إلى جانب البطالة؛ حيث أثر الطوق الأمني على زيادة نسبة البطالة، مما أدى إلى ارتفاعها إلى ما نسبته ٥٥٪ في مدينة القدس.

٥ - والخطر الأعظم الذي يشكله اليهود: هو الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى بالسعي لهدمه وإقامة الهيكل المزعوم الذي يعدونه قبلتهم المفقودة منذ ألفي عام. وهذا ما عبر عنه أول رئيس وزراء في إسرائيل وهو بن غوريون عندما قال: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل» ويقول: «إن شعبي الذي يقف اليوم على أعتاب الهيكل الثالث لا يستطيع أن يتحلى بالصبر على النحو الذي كان يتحلى أجداده به». كما عبر عن ذلك الممثل الحكومي لوزارة نتنياهو، موشى بيلد في كلمة أمام مؤتمر في ١٧/٩/١٩٩٨م وحضره نحو سبعة آلاف من المتشددين اليهود؛ حيث قال: «إننا جيل الهيكل الذي هو قلب الشعب اليهودي وروحه». والهيكل ليس له مكان آخر في اعتقاد اليهود غير الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، ولا يتم بناء الهيكل إلا بهدم هذين المسجدين.

وهناك الآن نحو ١٢٠ جماعة دينية متعصبة من ضمنها ما لا يقل عن ٢٥ جماعة وتنظيماً يتخصص

أعضاؤها في أمر واحد: هو التخطيط والترتيب لهدم المقدسات الإسلامية مع التخطيط والترتيب لبناء المعبد اليهودي مكانها. وقد شكلت في الآونة الأخيرة تحالفات فيما بينها للعمل المنظم بهذا الصدد، ومن ابرز هذه التحالفات ما يسمى بـ «رابطة القدس» وهي تضم أكبر عشر منظمات.

وقد قامت هذه المنظمات بأكثر من خمسة وأربعين عملاً عدائياً ضد مسجدي الأقصى والصخرة؛ بدءاً بمحاولة إحراق الأقصى وإشعال النار فيه إلى إطلاق النار على المصلين إلى محاولة تفجيره وفتح الأنفاق والطرق السفلية لتهديد أساساته وتفريغ التربة من تحته ليكون عرضة للانهيار عند أي عارض ـ طبيعي أو صناعي ـ من الاهتزازات العنيفة، وذلك ما قاله خبير الآثار الإسرائيلي جوزيف سيرج في ١٨/٨/١٩٩٠م: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة»! وقبل بضعة أيام شكلت الحاخامية الكبرى في إسرائيل لجنة من الحاخامات لاتخاذ قرار ببناء الهيكل، وجابت مسيرة ضخمة البلدة القديمة وحاولوا دخول الأقصى مطالبين باتخاذ القرار ببناء الهيكل وهدم المسجد الأقصى.

مشاريع الحلول المطروحة حول المدينة:

المشاريع التي طرحت لحل قضة القدس خلال سني الاحتلال كثيرة جداً، إلا أن أياً منها لا يحقق العدالة واسترجاع الأقصى إلى حوزة المسلمين؛ فكلها تراوحت بين الحكم الذاتي لبعض الأحياء العربية، أو سيادة محدودة عليها مع السماح برفع العلم الفلسطيني فوق المسجد الأقصى؛ كما عرض ذلك إيهود باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي على رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات خلال قمة كامب ديفيد الأخيرة؛ فقد عرضت إسرائيل على الفلسطينيين تطبيق مبدأ السيادة الوظيفية على بعض الأحياء العربية؛ بحيث تكون بعض هذه الأحياء تحت السيادة الفلسطينية ذات الطابع الخدماتي، مثل المسؤولية عن خدمات الكهرباء والمواصلات والتعليم والصحة والضرائب وجمع القمامة وما إلى ذلك. أما بالنسبة إلى المسجد الأقصى فقد سمح للفلسطينيين برفع العلم الفلسطيني فوق الأقصى دون أن تكون لهم سيادة فعلية عليه، مع تأمين ممر آمن للفلسطينيين يصلهم بالمسجد الأقصى بحيث لا يرى الزائر العربي أي جندي إسرائيلي في هذا الممر، (كما قال باراك لعرفات).

وهناك بعض الاقتراحات لتكوين مجلس بلدي واحد لإدارة القدس الشرقية يتم انتخابه لإدارة الشؤون المدنية لها. كما أن هناك اقتراحاً بسيادة مطلقة لبعض الأحياء والقرى العربية المحيطة بالقدس بعد ضمها إلى «القدس الكبرى» وبذلك يحقق الفلسطينيون عاصمتهم بإقامتها في هذه القرى التي تعد جزءاً من القدس الشرقية، ويرفع الحرج عن القيادة الفلسطينية؛ حيث إنها أعلنت دولة عاصمتها القدس الشرقية!

وأخيراً نقول: إن الوضع جد خطير؛ فالمفاوضات ما زالت جارية، والمؤشرات تشير إلى احتمال عقد قمة كامب ديفيد ثالثة تكون للتوقيع فقط وليس للتفاوض. ومع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الرهيب في ميزان القوى بين «الفلسطينيين» و«إسرائيل» المدعومة أمريكياً بكل أسباب القوة، وكذلك التراخي العربي والإسلامي في نصرة قضية القدس؛ فإن مستقبل القدس الشريف في خطر شديد، وقد يتم التنازل عنها بحجج الواقعية، والضعف المستشري في أوصال الأمة، ونقص الدعم العربي والإسلامي أو بأي حجة أخرى.

نقــــول: إن واجب المسلمين عظيم هذه الأيام في الحفاظ على أغلى مقدساتهم ومسرى نبيهم محمد ﷺ، وهي أمانة عظيمة سوف يُسأل عنها المسلمون أمام الله، ولا ندري ماذا ينتظر المسلمون حتى يتحركوا لنصرة أقصاهم المبارك؟ هل ينتظرون أن يُحوَّل إلى معبد يهودي؟ أم يُحوَّل إلى إسطبلات للخيل كما حصل في زمن الصليبيين؟!

الانتخابات الأمريكية

الحدث والتفاعلات

خالد حسن

تشكل الانتخابات الأمريكية حدثاً هاماً في حياة الشعب الأمريكي يتكرر على مستوى الرئاسة كل أربع سنوات، بينما تنظم انتخابات الكونجرس كل سنتين تقريباً، حيث ينتخب جميع أعضاء مجلس النواب وثلث أعضاء مجلس الشيوخ. وتسبق عملية الاقتراع العام تعبئة عامة وحملة انتخابية يمكن وصفها بالشرسة لا سيما في مرحلة الانتخابات الأولية التي تتضمن تصفية مرشحي الأحزاب وإفراز مجموعة تحظى بالتأييد الشعبي والحزبي، والتي لا تلبث أن تتناقص حتى تصل إلى مرشح واحد للحزب. من ناحية أخرى تأخذ العملية الانتخابية نوعاً من الهدوء الذي يتغير مع اقتراب موعد انعقاد مؤتمرات الأحزاب القومية في شهر أغسطس، على أن حدتها تستمر بالتصاعد التدريجي حتى تصل ذروتها عشية يوم الاقتراع العام في الثامن من نوفمبر المقبل.

الأحزاب السياسية الأمريكية ومعمعة الانتخابات:

النظام السياسي الأمريكي مبني على أساس تعددي مؤداه تنافس الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني لإفراز قيادات تحظى بالدعم الشعبي؛ وذلك بهدف إدارة شؤون الحكم وفق ما تمليه مصالح جماعات الضغط ومؤسسات صناعة القرار؛ فالأحزاب السياسية تشكل الركيزة الأساسية لما يسمى بـ «الديمقراطية الأمريكية»، على أن الحزبين الديمقراطي والجمهوري يهيمنان على إدارة شؤون الحكم لفترة تزيد على القرنين من الزمن، وطوال هذه الفترة طرأ تعديل مشهود في وجهات نظر الأحزاب إزاء قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقضايا تركيبة المجتمع الأمريكي وتعميم الحريات.

وإلى جانب الحزبين الكبيرين هناك العديد من الأحزاب الصغيرة والناشئة التي تسعى لإيجاد حزب سياسي ثالث قادر على تجاوز مشكلات الحزبيْن المهيمنين ورؤاهما في معالجة الملفات الأكثر حساسية وإثارة للجدل، ومن أبرز تلك الأحزاب: حزب الإصلاح الأمريكي THE REFORM PARTY الذي أنشأه رجل الأعمال روس بيرو المليونير من ولاية تكساس، وهناك حزب الخُضْر، وحزب دافعي الضرائب، والحزب الاشتراكي الأمريكي.

وتتجلى أهمية الأحزاب في حياة المجتمع الأمريكي في كونها هيئات سياسية تتنافس على تعبئة الجماهير، وتوجيه مقدراتها المالية والقيمية نحو الهيمنة على إدارة تملك برنامجاً للحكم يتم طرحه على عامة الشعب الذي يصوت بدوره على من يمثله بالقبول أو بالرفض؛ لذلك فإن التأثير الفعال في العملية الانتخابية ينبع من خلال الانتماء لأحد الأحزاب القومية وتقديم برامج تحظى بموافقة قطاعات الحزب، ومن ثم تطرح على المستوى القومي ليتم مداولتها والتصويت عليها.

وإن أهم الأحداث السياسية التي تجري على أرض الواقع على الصعيد التنظيمي تتجسد في مؤتمر الحزب الذي ينعقد في شهر أغسطس، وذلك بحضور ممثلي الولايات، وأثناء ذلك يعلن عن الترشيح الرسمي لمرشح الحزب الذي تمكّن من تحقيق القبول على مستوى الانتخابات الأولية. وقد انعقد مؤتمر الحزب الجمهوري في مدينة فيلادلفيا، بينما انعقد مؤتمر الحزب الديمقراطي في مدينة لوس أنجلوس في أغسطس ٢٠٠٠م.

ويلاحظ على المؤتمر الجمهوري لهذا العام - والذي حظي فيه بوش - تشيني بتأييد ودعم من قِبَل مبعوثي الحزب من كافة الولايات وأعضاء الإدارات الجمهورية السابقة وزعماء الكونجرس الأمريكي - يلاحَظ عليه نوع من التغيير في رؤية الحزب للأقليات ودورها في حياة المجتمع الأمريكي؛ فقد سعى المؤتمر لإشراك أكبر عدد ممكن من أقليات السود واللاتين وجماعات المزاد وغيرهم، وإعطائهم دوراً بارزاً في الحياة السياسية، لكن لا يعدو الأمر هالة دعائية وطابعاً استهلاكياً وتمويهياً أملاه واقع التهافت على أصوات الناخبين وتلميع صورة الحزب وواجهاته عبر الادعاء بأنه يمثل كافة طوائف المجتمع الأمريكي من النواحي الدينية والعرقية، ويولي اهتماماً خاصاً لشؤون الأقلية مقابل تأييدها لبوش الابن في الانتخابات القادمة. وقد برز شخص «كولن باول» في المؤتمر الأخير بوصفه مدافعاً عن الأقلية السوداء والذي أكد على أولوية الاهتمام الفعال بمشكلات السود، وطالب كوادر الحزب بالعدول عن معارضتها للبرامج الإنمائية والتعليمية الهادفة إلى تحسين أوضاعهم ومعاناتهم في المجتمع الأمريكي.

في حين لقي الثنائي غور - ليبرمان دعماً وقبولاً من المشاركين في مؤتمر الحزب الديمقراطي الذي ارتكز علي الرخاء الاقتصادي الذي تحقق في العهد الرئاسي الديمقراطي السابق للترويج والدعاية للمحافظة على الإرث السابق ومكتسبات مرحلة «الانتعاش».

محاور استقطاب في الانتخابات الأمريكية:

المعركة الانتخابية الحالية تدور بشكل رئيس بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري؛ إذ يتطلع من خلالها كلا الحزبين للسيطرة على مؤسسات الحكم لا سيما الجهازين التنفيذي والتشريعي ومن ثم القضائي؛ فالحزب الديمقراطي يلهث لإحكام قبضته على الرئاسة إلى جانب تحقيق أغلبية في مجلسي النواب والشيوخ، أما الحزب الجمهوري فيسعى

للإطاحة بالديمقراطيين واصفاً إدارة الرئيس كلينتون بأنها تفتقر للضوابط الأخلاقية اللازمة لإدارة شؤون المجتمع، كما أنها تفتقر إلى الحكمة والكفاءة الإدارية في تسيير شؤون الحكم في السياسة الخارجية والداخلية.

ومن ناحية أخرى يعتبر الجمهوريون آل جور امتداداً لهذا النهج غير المنضبط الذي أدى إلى زعزعة ثقة الشعب الأمريكي بمؤسسة الرئاسة، ومن ثم لا بد من وضع حد لمثل هذا التسيب، وذلك بانتخاب إدارة جديدة تحظى بمؤهلات أخلاقية رفيعة - أو هكذا يزعمون - وقد فرض التوجه نحو السطو على إدارة البيت الأبيض توسع الجمهوريين على حساب الحزب الديمقراطي باتجاه الأقليات والتي لم تكن تحظى باهتمام يذكر في مراحل خلت من الحزب الجمهوري.

انتدابات نواب الرئيس وأثرها على العملية الانتخابية:

مما لا شك فيه أن مسألة انتداب نائب الرئيس واختياره لخوض العملية الانتخابية من الخطوات المحورية في السباق نحو مؤسسة الرئاسة، وقد سعى كل من بوش وجور لاختيار شخص ليس فقط ليخلفه رئيساً للولايات المتحدة في حالة عجز الرئيس أو انعدام مقدرته على الوفاء بأداء واجباته الرئاسية، بل نائباً يساهم بفعالية في العملية الانتخابية من خلال ما يجلبه للقائمة الانتخابية من رصيد شعبي وتأييد حزبي ومالي وعرقي، إلى جانب قدراته وخبراته في السياستين الداخلية والخارجية، وحسب رأي عدد من المراقبين فإن بوش كان موفقاً إلى حد ما باختياره وزير الدفاع السابق تشيني نائباً له؛ وذلك لتدارك القصور الذي يعاني منه في مجالات السياسة الخارجية والدفاعية، فقد كان تشيني أداة تدبير وعقل مخطط في إدارة الرئيس بوش الأب، ويحظى بتأييد الكونجرس الأمريكي وزعمائه، ويضاف إلى هذا ما يتمتع به من شبكة قوية في العلاقات الدولية والصداقات الحميمة التي تربطه مع الدول الأوروبية، وحلف الناتو، ودول الخليج، والعديد من الدول العربية والآسيوية، مما يعزز من دور السياسة الأمريكية على المستوى الدولي ويعيد إلى الأذهان أطروحات النظام الدولي الجديد والرامي إلى جعل القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً كما كان القرن العشرون - أو هكذا يتصورون -.

أما اختيار آل جور للسناتور ليبرمان فإنه استهدف الظفر بتأييد الجالية اليهودية بثقلها المالي والتنظيمي والإعلامي، واعتبر بعض المحللين الأمريكان مثل هذا الاختيار مؤشراً على «قدرة» المرشح الديمقراطي على اتخاذ قرارات غير مسبوقة وأنه مرشح «شمولي» يهدف إلى أن تشمل إدارته المجتمع الأمريكي بتنوعه الديني والعرقي.

الدين والسياسة في الانتخابات الأمريكية:

يثار جدل واسع حول دور الدين في الانتخابات الأمريكية؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

- مفهوم العلمانية الأمريكية مختلف تماماً عما هو سائد في العالم العربي والإسلامي؛ فالعلمانية الأمريكية تعني فصل الدين والمؤسسات الدينية عن سلطة الحكومة وتدخلها وتعسفها، وعليه فإن الجماعات والمؤسسات الدينية تترك وشأنها لتنمو وتتوسع بمنأى عن تدخل الحكومة؛ ولذلك فإن الطوائف والجماعات الدينية النصرانية واليهودية - وإلى حد ما الإسلامية - تحظى بحرية تامة لإدارة شؤونها، وكما لا يخفى على القارئ فإن العلمانية

بصورتها هذه تختلف عما هو عليه الحال في أوطاننا؛ حيث يحاصر الدين ليس فقط في دور العبادة بل وحتى أهل التدين يتعرضون لمضايقات وتحرشات لتجفيف منابع التدين.

ولا يفهم من سياقنا هذا إقرار التجربة العلمانية الأمريكية، وإنما للتبيين والوقوف على مظاهر الغلو والتطرف في عملية محاكاة التجارب ونقل النماذج التي برع في نسجها ونبغ في هضمها واجترارها بعض المهووسين بالأمركة أو المولعين بالاستنساخ، ولو أنهم أمعنوا النظر وراجعوا حساباتهم لوجدوا أنهم أوصلوا الأمة إلى مرحلة من الغلو والتطرف في تطبيق العروض المستوردة، وليتهم التزموا بحرفية التلقي والتنفيذ، وأوغلوا في المحاكاة برفق!

- عامل آخر ساهم في تفاقم دور الدين في حركية الانتخابات الحالية وهو الفضائح الأخيرة التي عصفت ولا تزال تعصف بالبيت الأبيض والكونجرس الأمريكي؛ فقد أدت فضيحة مونيكا لوينسكي إلى مساءلة الرئيس، كما أدت فضائح جنسية مماثلة للإطاحة بزعيم مجلس النواب السابق جنجرش، واعتبر هذا الوحل الأخلاقي بمثابة الناقوس الذي «نبَّه» المجتمع الأمريكي بشكل عام إلى ضرورة التزام السياسة بضوابط الأخلاق، ودور الدين بوصفه محورياً في تنمية الوازع الديني في إدارة شؤون المجتمع.

- أمر آخر يتجلى في الدعم المشهود الذي يتلقاه جورج بوش الابن من «التجمع المسيحي» وهو مؤسسة كنسية ضخمة يتزعمها بات روبرستون، والذي خاض الانتخابات الأولية لعام ١٩٨٨م، هذا التجمع يحظى برصيد شعبي وإعلامي ومالي معتبر يؤهله إلى التأثير الفعال على عملية الانتخابات.

- «التجمع المسيحي» يدير أيضاً إمبراطورية إعلامية محلية ودولية - وهي في توسع مستمر - تمكنت من توصيل الرسالة النصرانية إلى العديد من الدول والمجتمعات المختلفة بلغاتها المحلية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن دورها داخل المجتمع الأمريكي.

- ويضاف إلى هذه العوامل انتداب اليهودي الأرثوذكسي - نائب آل جور عن الحزب الديمقراطي - السيناتور ليبرمان، وهو معروف بالتزامه الديني وتمسكه بشعائر التلمود، وبذلك سعى الديمقراطيون إلى تقديم لائحة انتخابية تتجاوز القصور الأخلاقي الذي تعاني منه الإدارة الحالية.

أبعاد السياسة الخارجية لإدارة بوش وآل جور:

إن فوز بوش وتشيني سيعيد إلى أرض الواقع الأطروحات السياسية المتعلقة بمفهوم «النظام الدولي الجديد» والذي نظَّر له بوش الأب وأعضاء إدارته لا سيما تشيني، ومؤدى هذا النظام أن تكرس الولايات المتحدة زعامتها للشؤون الدولية سياسياً وأمنياً واقتصادياً وثقافياً، وعليه فإن هذا الطرح ينادي بقرن أمريكي جديد ثان هو القرن الحادي والعشرون، خاصة في ظل الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية، وإخفاق روسيا الفيدرالية في إعادة ترتيب أوضاعها وتبوُّؤ مكانة دولية، وتراجع دور الاتحاد الأوروبي في السياسة الدولية بالرغم من «استماتة» فرنسا لإدارة الحلف سياسياً؛ فقد أحبطت جهود الاتحاد في حل مشكلات القارة بمنأى عن القيادة الأمريكية؛ وما البلقان عن المراقبين ببعيدة؛ حيث راح ضحيتها الآلاف من المسلمين على يد الصرب المجرمين.

ومن شأن الإدارة الجديدة في حالة انتخاب بوش - تشيني أن ترفع من ميزانية الدفاع وتعزز الوجود

الأمريكي على مستوى القواعد العسكرية، وكذا تطوير شبكة الدفاع الجوي الأمريكي القادرة على اعتراض أية صواريخ عابرة للقارة تستهدف الإخلال بالأمن الأمريكي، هذا بالإضافة إلى ما ورّثه بوش الأب لابنه من علاقات «حميمة» مع دول الخليج العربي والدول العربية والإسلامية.

من ناحية أخرى فإن انتخاب آل جور رئيساً للولايات المتحدة، وليبرمان نائباً له سيعزز من نهج الإدارة الحالي المتمثل في هيمنة اليهود على السياسة الأمريكية ومن ثم هيمنة المصالح «الإسرائيلية» على حساب قضايا العرب والمسلمين، وليس هذا فحسب بل هيمنة مصالح «إسرائيل» على حساب المصالح «الأمريكية» نفسها؛ ففوز آل جور يعني أن مناصب نائب الرئيس ووزير الخارجية والمالية والدفاع والاحتياط الفيدرالي والعديد من السفارات، إلى جانب الهيمنة التقليدية لليهود داخل الكونجرس الأمريكي وحتى سلك القضاء ستكون جميعها - غالباً - تحت قبضة اليهود حيث تستخدم لصالح الكيان الصهيوني وأهدافه التوسعية.

الديمقراطية الأمريكية رؤية من الداخل:

لا يمكن بحال من الأحوال تجاهل القوى الصهيونية الأمريكية في التأثير على العملية الانتخابية وعلى مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة خاصة ما يخدم قضايا «إسرائيل» ومصالحها، وتحتمي هذه القوى - في سعيها لإحكام قبضتها على هذا الحدث السياسي - بالانطباع القائم حالياً والمتوارث منذ فترة أن هناك توافقاً في المصالح الأمريكية - الإسرائيلية في الشرق الأوسط، وكذا شرعية تشكيل لوبي أو جماعة ضغط في أمريكا؛ لأن اللوبيات إحدى القضايا المحورية في المؤسسة السياسية الأمريكية، وحتى في المجتمع الأمريكي؛ إذ إن الفرد الأمريكي - كما ينص عليه القانون - له الحق في إسماع صوته للمشرعين الأمريكيين، والتأثير عليهم، إما لدفع ظلم، أو لرفع قضايا معينة، ومن هنا تبرز أهمية اللوبي في استراتيجية الأقلية اليهودية.

وبالمفهوم التقليدي كان اللوبي يشير إلى تجمعات طلاب الحاجات في الأروقة بالقرب من المجالس والمؤسسات السياسية للوصول إلى صاحب القرار أو المشرع، لكن مع التغييرات التي طرأت في المجتمع الأمريكي، وفي وسائل الاتصال والتواصل، ظهرت طرق أخرى للوصول إلى أعضاء الكونجرس من بينها ربط صلات وعلاقات مع الشخصيات السياسية ذات النفوذ القوي، وإسماعها مختلف الآراء، وإذا أخذنا مؤسسة الكونجرس عينةً لذلك، فإنها غير مركزية، وأعضاؤها يخضعون لضغوط متضاربة من أطراف ذات مصالح خارجية عبر المناطق والولايات التي ينتمون إليها، ومن ثم يتم التأثير في اتجاهين:

- الناخبين الأمريكيين، ومصادر صنع القرار.
- وعملية الضغط التي تبدأ من القاعدة، وعبر التبرع بالأموال خلال الحملات الانتخابية.

ومع نمو المؤسسة السياسية الأمريكية واتساعها تفاقمت ظاهرة الاستعانة بخبراء من خارج المؤسسة، وهذا ما أدى إلى تزايد عدد أعضاء اللوبي اليهودي ونشاطاته، ومن هنا تكمن «قوة» اللوبي الموالي لـ «إسرائيل» فهو منظم ونشط وفعال، ويمتلك قدرات مشهودة في جمع وإيصال المعلومات ووجهات النظر التي يراد فرضها.

وقد نما هذا اللوبي منذ إنشاء مؤسسة صغيرة سنة ١٩٥٤م تعرف بمنظمة «الإيباك» AIPAC وقد

بدأت بعدد محدود جداً، وبإمكانيات مالية لا تكاد تذكر، إلى أن وصلت الآن إلى ملايين الدولارات (حيث تقدر ميزانيتها السنوية حالياً أكثر من ١٥ مليون دولار)، وتمثل «إيباك» في الوقت الحاضر البنية التنظيمية التي تعمل على مضاعفة النفوذ السياسي لليهود الأمريكيين، وهي تشكل مركز التنظيم المعقد للهيئات اليهودية في أمريكا.

وتُعِدُّ هذه المؤسسة مؤتمرها السنوي في واشنطن للأعضاء العاملين وقادة الطائفة اليهودية وممثلين عن المجموعات المستهدفة أو المشاركين المخلصين وعشرات السياسيين والوجهاء الصهاينة، ويعتبر المؤتمر السنوي المنبر الذي تعرض من فوقه «إيباك» مواقفها السياسية وأولوياتها الضاغطة، كما تستخدم المؤتمر للتأثير على الساسة الأمريكيين للتعهد العلني بدعم الكيان الصهيوني، ويكفي للدلالة على تأثير ونفوذ هذه المؤسسة الإشارة إلى عدد الوفود التي شاركت في هذا المؤتمر ونوعيتها؛ ليس فقط على مستوى الإدارة الأمريكية ولكن ـ وهو الأهم ـ على مستوى الهيئات التشريعية بالكونجرس؛ فقد شارك في حضور هذا المؤتمر ـ على الأقل ـ ٤٧ عضواً من مجلس الشيوخ، و٦٧ عضواً من مجلس النواب وحوالي ٤٠ سفيراً من دول مختلفة.

ويذكر الكتاب اليهودي السنوي لعام ١٩٩٧م أن «إيباك» منظمة مسجلة للقيام بالعمل السياسي (اللوبي) لإيجاد التشريعات المتعلقة بالمصالح الإسرائيلية ـ الأمريكية، وبدعم السياسيين الذين يؤمنون بأن دعم أمن «إسرائيل» من مصالح الولايات المتحدة الحيوية، وتظهر فعاليةً من خلال لجان العمل السياسي المختلفة والتي تقوم بالتبرع لمن تختاره «إيباك» من المرشحين بمبالغ تفوق المبالغ التي تتبرع بها أي لجنة عمل سياسي أخرى خلال الحملات الانتخابية، إلا أن هذه المبالغ تنفق في السر وبعيداً عن مرأى أجهزة الإعلام الأمريكية، وقد أصبح بمقدور هذه المؤسسة انتخاب المرشح الذي تريده وتؤيده، كما أنها تعمل على إسقاط الأعضاء الذين لا يتعاونون معها كما حدث لعدد من أعضاء مجلس النواب والشيوخ.

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود في أمريكا هم الأكثر تبرعاً ليس فقط لـ «إسرائيل» أو للقضايا المرتبطة بها، بل أيضاً للمشاريع الاجتماعية والثقافية، ومعدل تبرعاتهم يفوق المعدل الأمريكي، وهم معروفون لدى الرأي العام بهذا الأمر، كما أنهم حين يسخطون على مرشح ويدعمون مرشحاً آخر، لا يعلنون ـ وهذا في الغالب ـ أن سخطهم متعلق بموقف ما من الكيان الصهيوني، ويتظاهرون أن دعمهم موجه لخدمة قضايا المجتمع الأمريكي، ومن المعروف أن المهم بالنسبة للناخب الأمريكي أن يتخذ المرشح مواقف إيجابية في قضايا اجتماعية واقتصادية محلية، ولا يأبه هذا الناخب بطبيعة المواقف التي يتخذها المرشح تجاه قضايا العرب والمسلمين.

ولنأخذ حملة الرئيس كلينتون في عام ١٩٩٢م مثالاً على هذا الثقل والنفوذ؛ فقد كان كلينتون مدركاً لأهمية الثقل اليهودي في الانتخابات وحجم التبرعات التي يخصصونها للحملات الانتخابية؛ ولذا عين موظفين ومستشارين من المحيط اليهودي في حملته، ونشط اليهود خلال حملته فنظموا له حملات تبرع، وعملوا على تحويل ما بين ١٠٪ إلى ٢٠٪ من الأصوات لصالح المرشح كلينتون عبر المدن الرئيسة. وأشارت التقارير إلى أن اليهود قد ساهموا بنحو ٦٠٪ من مجموع التبرع الذي حصده لحملته الانتخابية، وأن نحو ٨٠٪ من أصوات

اليهود ذهبت إلى كلينتون.

فأي «ديمقراطية» هذه التي يتحكم فيها الأقلية؟

وأي «ديمقراطية» هذه التي تشترى فيها المواقف والأصوات؟

وأي «ديمقراطية» هذه التي يعرض فيها المرشح نفسه في المزاد العلني؟

فهل وعى المستلَبون والمهووسون بتمثال الحرية الأمريكي حقيقة «الديمقراطية» الأمريكية وراجعوا حساباتهم وأمعنوا النظر في التجربة الانتخابية الأمريكية؟

معظم الناخبين المسلمين الأمريكيين مترددون حسب استطلاع المجلس المسلم الأمريكي:

في ردهم على استطلاع قومي أُجري بين ٨٤٤ مسلم أمريكي تبين أن ثلثي هؤلاء ليسوا منتسبين إلى أي حزب سياسي على الرغم من أن أربعة من كل خمسة منهم أفادوا بأنهم مسجَّلون للانتخاب، وقد كانت هذه النتائج حصيلة استبيانات للناخبين تسلمها المجلس المسلم الأمريكي ما بين شهري أغسطس ونوفمبر.

وقد كان المسلمون المنتسبون إلى حزب سياسي - وتبلغ نسبتهم ٣٢٪ من مجموع المنتسبين - موزعين مناصفة ما بين الديمقراطيين والجمهوريين؛ حيث اعتبر ٥٣٪ أنفسهم ديمقراطيين في مقابل ٤٧٪ اعتبروا أنفسهم جمهوريين.

وأفاد ٢٢٪ من المسلمين الأمريكيين أنه لو أجريت الانتخابات الآن لانتخبوا مرشحاً ديمقراطياً، في حين أفاد ٢٥٪ منهم أنهم ينتخبون مرشحاً جمهورياً، وبقيت نسبة ٣٧٪ مترددة في اختيارها.

ولقد استكملت ثلاثة أرباع هذه الاستبيانات في مؤتمرات ومواقع تسجيل الناخبين والمساجد، في حين استكمل الربع الباقي على موقع المجلس المسلم عبر الشبكة البينية (الإنترنت) أو بالبريد الحاسوبي.

وقد صرح المدير التنفيذي للمجلس المسلم الأمريكي قائلاً: «إن كون معظم المسلمين الأمريكيين في هذا الاستطلاع غير منتسبين حزبياً يؤكد حَدْسَنا بأن المسلمين الأمريكيين ينتخبون لصالح القضايا والمرشحين وليس لصالح الأحزاب» كما أشار إلى أن ازدياد نسبة الناخبين المسجلين من المجتمع المسلم الأمريكي يجب أن يدفع المرشحين إلى التواصل مع هذه الشريحة النامية التي تقدر حالياً بنحو ستة ملايين إلى ثمانية ملايين مسلم.

وقد قام المجلس المسلم الأمريكي في شهر سبتمبر بجهد رائد تمثل في إقامة مواقع تسجيل الناخبين في المساجد والمراكز الاجتماعية في أرجاء الولايات المتحدة، وتم تسجيل ناخبين جدد في مدن تراوحت بين شارلوت، وبيترزبرج، وتولسا، وبشكل خاص في فترة ما بعد الصلاة أيام الجمعة.

ويعزم المجلس الإسلامي الأمريكي على المضي في جهود تسجيل الناخبين خلال العام ٢٠٠٠م إضافة إلى الالتقاء مع حملات الانتخابات الرئاسية وإصدار دليل الناخب الذي يبين موقف المرشحين من القضايا الرئيسة التي تهم المسلمين لا سيما الأمريكيين.

نتائج استطلاع المجلس المسلم الأمريكي:

١- المسلمون الأمريكيون المسجلون للانتخاب.

الجواب	العدد	النسبة
نعم	٦٩٣	٨٢,١١٪
لا	١٢٠	١٤,٢٢٪
غير مؤهل/ لا جواب	٣١	٣,٦٧٪
المجموع[1]	٨٤٤	١٠٠٪

(١) أي: مجموع المشتركين في الاستطلاع.

٢- الانتساب الحزبي.

الجواب	العدد	النسبة
غير منتسب	٥٧٤	٦٨٪
ديمقراطي	١٤١	١٧,٧١٪
جمهوري	١٢٥	١٤,٨١٪
لا جواب	٤	٠,٤٨٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

٣ - إذا قام المسلمون الأمريكيون بالانتخاب اليوم (فمن ينتخبون؟)

المنتخب	العدد	النسبة
غير محدد	٣١٤	٣٧,٢٠٪
بوش	١٤٢	١٦,٨٢٪
لا جواب / لا ينتخب	١٣٠	١٥,٤٠٪
جور	١١٦	١٣,٧٤٪
جمهوريون آخرون	٧٢	٨,٥٣٪
برادلي	٧٠	٨,٢٩٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

٤- السلوك الانتخابي والانتساب الحزبي.

الجواب	العدد	النسبة
غير محدد	٣١٤	٣٧,٢٠٪
المسلمون الذين ينتخبون مرشحاً جمهورياً	٢١٤	٢٥,٣٦٪
المسلمون الذين ينتخبون مرشحاً ديمقراطياً	١٨٦	٢٢,٠٤٪
لا جواب / لا ينتخب	١٣٠	١٥,٤٠٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

هذه النتائج مبنية على ٨٤٤ إجابة لاستبيانات المجلس المسلم الأمريكي التي تم استرجاعها في الفترة ما بين أغسطس ونوفمبر ١٩٩٩م بوصفها سَبْراً أولياً للمجتمع المسلم الأمريكي.

أهم عشر قضايا يحددها المسلمون الأمريكيون:

بيان الأولويات عبر استبيان جديد لألف مسلم أمريكي.

اعتبر المسلمون الأمريكيون موضوع كفالات المدارس، والقدس، والعقوبات على العراق، إضافة إلى الحقوق المدنية للمسلمين في الولايات المتحدة أهم القضايا التي تشغلهم حالياً. وذلك في دراسة جديدة للأولويات السياسية عند المسلمين الأمريكيين. وقد جاءت هذه النتائج عبر استبيان لألف أمريكي أجرته هيئة الاستثمارات والتسويق الاجتماعي العالمي «ICMI» في يناير ٢٠٠٠م للمجلس الإسلامي الأمريكي.

وأظهرت النتائج شريحة مسلمة أمريكية مهتمة بقضايا تواجه كل العائلات الأمريكية بما في ذلك اتجاهات التغيير في المدارس (كالكفالات والمدارس المدعومة رسمياً) والحقوق المدنية، والرعاية الصحية، وفي نفس الوقت كان الاهتمام بأمور السياسة الخارجية كالقدس وتأثير العقوبات على العراق على رأس الأولويات، وتم التعرف على هذه الأولويات من خلال استبيان هاتفي في شهر يناير ٢٠٠٠م شمل خمسمائة من أعضاء المجلس الإسلامي الأمريكي ومجموع خمسمائة مسلم آخرين، وقد طلب من هؤلاء أن يقوِّموا عشرين قضية، فكانت القضايا العشر الأهم كما يلي:

- كفالات المدارس (المدارس المدعومة رسمياً).
- وضع القدس. ● العقوبات على العراق.
- الحقوق المدنية للمسلمين. ● الإجهاض.
- إدراج المسلمين الأمريكيين في المؤسسات الإسلامية.
- الرعاية الصحية. ● منع الجريمة.
- ضبط الأسلحة.
- سياسات الهجرة وقانون الأدلة السرية.

هذا ويوجد نحو سبعة ملايين مسلم في الولايات المتحدة، وسوف تمثل هذه الأولويات العشر بحول الله - تعالى - محوراً للدليل الانتخابي الذي يصدره المجلس الإسلامي الأمريكي.



شباب العالم في الفاتيكان

إبراهيم بن محمد الحقيل

«عزيزي الشاب: ليكن عندك طموح لتصبح قديساً كما أن عيسى قديس. يا شباب العالم في كل قارة: لا تخشَوْا أن تصبحوا قديسي هذه الألفية؛ لعل المسيح يصبح لكم رصيداً ثميناً، ولعل مريم العذراء القديسة تعطيكم القوة والحكمة لتستطيعوا التحدث مع الإله وللإله».

كان هذا نداء بابا الفاتيكان «يوحنا بولس الثاني» وقد وضع هذا النداء في إطار ومُيِّز بخط واضح ضمن نشرة تعريفية بالتجمع العالمي للشباب الذي دعا إليه البابا، وقد طبعت هذه النشرة التعريفية بست لغات في كتيب صغير وهي: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية، ووزعت منه ملايين النسخ في روما والفاتيكان - خاصة - على كل الزوار والسيَّاح.

واللافت للنظر صورة في آخر كل صفحة من اللغات الست المذكورة وفيها رجل ذو لحية وعليه لباس عربي - جبة وعمامة - وقد فتح يديه مستقبلاً شخصاً قادماً من بعيد يتوكأ على عصا كأن زيه زي راهب والشمس قد أشرقت من جهته. ولعل هذه الصورة تومي إلى حاجة الشرق الإسلامي إلى التنصير أو ترحيبه بالرسالة التي يحملها الرهبان، ولم يذكر عليها أيُّ تعليق، وأغلب الظن أنها رسالة إلى هؤلاء الشباب للانخراط في أعمال الكنائس وممارسة التنصير لا سيما أن نداء البابا - آنف الذكر - واضح في دعوة هؤلاء الشباب المغرر بهم لأن يكونوا منصرين.

والتنصير هدف رئيس يسعى إليه الفاتيكان وباباه بكل قوة، ويسخِّرون في سبيل نجاحه كل وسيلة، وما فتئ البابا يهتبل كل فرصة للدعوة إليه والتأكيد عليه، منطلقاً في ذلك من نص ورد في إنجيل متى (٢٨/١٩) يقول: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

اسم التجمع ووقته ومدته:

سمي هذا التجمع الشبابي بـ «اليوم العالمي للشباب» وصادف الـ (Givbileo) أي: العيد الخمسيني أو (اليوبيل) وهو يعني الفرحة الكبرى بالغفران أو الصفح أو العفو البابوي الذي يمنحه البابا كل نصف قرن؛ مما جعلهم يطلقون عليه أيضاً «يوبيل الألفية الثالثة للميلاد».

وأما مدته الرسمية فخمسة أيام (١٥ - ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م)، واهتمت الكنيسة به، وسخرت كل إمكاناتها لنجاحه والدعاية له؛ لأنه صادف بداية الألفية الثالثة؛ التي جعل النصارى الاحتفال بها ممتداً من أول السنة إلى آخرها، وقسَّمَ البابا أعيادها وأيام الاحتفال بها على مختلف الفئات النصرانية؛ فمنها أيام للعمال، وأيام للمعاقين، وأيام للسجناء، وأيام للأطفال، وأيام للشباب... وهكذا، ومنها يوبيل الشباب هذا.

وتم هذا التجمع الضخم في موعده المحدد؛ إذ حضرته جموع غفيرة من شباب النصارى الذكور والإناث زادوا على مليوني شاب وشابة قدموا من ستين ومائة بلدٍ من مختلف القارات السبع حسبما أذيع رسمياً في أجهزة الإعلام الإيطالية والصحف؛ حتى ازدحمت روما في هذه الأيام الخمسة بالشباب والشابات، وخلت من أهلها الذين كانوا يقضون إجازة نصف الصيف في أطراف إيطاليا وخارجها.

واستعدت له الفاتيكان والأجهزة الحكومية وبلدية روما بما يناسب حجمه، ووفرت ما يحتاجه الزوار؛ فبيوت قضاءِ الحاجة المتنقلة قد صُفت على الأرصفة، ومراكز الإسعاف المؤقتة أقيمت في جنبات ساحة الفاتيكان وكافة الكنائس، وسيارات الإسعاف تقوم بدورياتها لنقل المصابين من الزحام أو حرارة الشمس التي بلغت ٣٧ درجة مئوية.

وقد أعد الفاتيكان وبلدية روما المدارس والكنائس ليسكن فيها الشباب بالمجان، ورحبت بعض الأسر بإقامة بعض الشباب عندهم، ووفر الفاتيكان للحضور وجبات الطعام والمياه دون مقابل، وتطوع سبعون ألفاً من الشباب والشابات بالقيام على التنظيم وحركة السير وتوزيع المنشورات وتقديم الإرشادات للزوار إضافة إلى ما تقوم به أجهزة الأمن في روما.

الصبغة العالمية لهذا التجمع:

أراد بابا الفاتيكان لهذا اليوبيل الشبابي النصراني أن يكون عالمياً؛ ولذلك نص في ندائه على: «شباب العالم في كل القارات» وحثهم على التنصير - كما مرّ ذكره - وكأنه لا يوجد في العالم إلا شباب النصارى.

وزاد ذلك وضوحاً أن أعلام جميع الدول قد رُفعت في ساحة الفاتيكان أثناء هذا اليوبيل مع أن دولاً عدة ليس من مواطنيها نصارى البتة، وهذا التعميم له دلالات لعل منها:

١ - إضفاء الصبغة العالمية على الفاتيكان ونشاطاته، واعتبارها مهمة لكل الدول ولكل سكان الأرض، وسيأتي مزيد إيضاح ذلك في ذكر أهداف مثل هذه التجمعات.

٢ - الإيماء إلى أن كل بلد في العالم لا بد أن يكون فيه مواطنون نصارى، وإذا لم يكن فيه نصارى في حقيقة الأمر فلا بد أن يوجدوا، وهذا ما تدل عليه إحصائياتهم التابعة للمنظمات الدولية أو المؤسسات الغربية التي تتعمد إنقاص نسبة المسلمين عن النسبة الحقيقية في الدول التي فيها مسلمون وغير مسلمين، كما تتعمد رفض وجود

دولة ليس فيها إلا مسلمون وغير مسلمين، كما تتعمد رفض وجود دولة ليس فيها إلا مسلمون أي نسبة المسلمين فيها ١٠٠٪؛ فهم في إحصاءاتهم لا بد أن يقللوا هذه النسبة ٢٪ أو أكثر كأقلية غير مسلمة مخترعة في واقع الأمر وذلك لأمور أهمها:

أ - تنشيط التنصير في البلاد التي ليس فيها نصارى البتة على أمل أن يتنصر بعض أبنائها ومن ثم المطالبة بحقوقهم.

ب - إيجاد ذريعة لبناء المدارس والكنائس لهذه الأقلية التي يتم اختراعها عن طريق التنصير، أو زرعها بالتجنيس.

ج - استخدام الأقلية غير المسلمة بعد زرعها ورقة ضغط على تلك الدولة الإسلامية بتأليبهم على السلطات، ثم التدخل لحمايتهم تحت ذريعة حرية التعبد وحقوق الأقليات ونحو ذلك؛ خاصة إذا فكر المسؤولون في ذلك البلد بالاستقلال السياسي أو الاقتصادي، أو رفض وصاية الدول العظمى على بلادهم.

واستخدام ورقة الأقباط في الضغط على مصر بين حين وآخر واضح للعيان سواء فيما يتعلق بالخنوع لإرادة اليهود الظالمة فيما يسمى بعملية السلام، أو غير ذلك.

د - التهيئة لتجزئة الدولة الواحدة وذلك بزرع تلك الأقلية، ومن ثم دعمها في ثورتها الانفصالية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً حتى يتم فصلها عن دولتها الأم والاعتراف بها، ومن ثم جعلها بؤرة للتنصير وإثارة القلاقل والفتن في الدولة الأم تحت حماية الدول الكبرى والمنظمات الدولية، وحال إندونيسيا شاهد على ذلك خاصة بعد انفصال تيمور الشرقية، وفي الطريق مناطق أخرى يريدون فصلها عنها.

٣ - قوة النصارى في هذا العصر وضعف المسلمين؛ فهم رفعوا أعلام الدول الإسلامية في هذا التجمع دون مشورة منهم وتلك مصيبة؛ فإن كانوا شاوروهم فالمصيبة أعظم، لا سيما أنهم رفعوا أعلام دول ليس بين مواطنيها نصارى البتة.

أهداف هذه التجمعات العالمية:

ما كان الفاتيكان لينفق هذه النفقات الباهظة - إعاشة وإعالة مليوني شاب وشابة مدة خمسة أيام - إلا لتحقيق أهداف توازي حجم الخسائر التي تحملها؛ ولعل من أبرز أهدافه هدفين مهمين يحتاجان إلى شيء من البسط والبيان:

الهدف الأول: إعادة قوة الكاثوليك، وإثبات شعبية البابا يوحنا بولس الثاني وكنيسته على سائر الكنائس الأخرى ورهبانها وبطاركتها، وإظهار أنه الممثل الوحيد للنصارى كلهم بل ولسائر الأديان؛ إذ هو يرى أنه أعلى زعيم ديني في العالم.

وهذا الهدف ظاهر في نشاط البابا وقد بلغ من الكبر عتياً، ورحلاته المكوكية إلى كثير من دول العالم كانت لتفقُّد الأقليات النصرانية ولو كانت من غير الكاثوليك، فضلاً عن خطاباته الدينية الممزوجة بالسياسة التي تدعو إلى السلام وتحض عليه؛ على اعتبار أن الدعوة إلى السلام هي البضاعة الرائجة هذه الأيام في سوق السياسة الذي سيطر فيه إخوان القردة على رعاة البقر وألزموهم بتبنيه وفرضه على العالم تيمناً بخروج ملك السلام الذي ينتظره اليهود - المسيح الدجال -.

وتذكر الموسوعات أن البابا الحالي أكثر البابوات نشاطاً في تاريخ الكنيسة؛ فقد سافر كثيراً ورآه الناس أكثر من أي بابا سابق، وقد ساعدت الرغبة

في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المهمة في تاريخ الغرب النصراني في زيادة مقام البابوية (الڤاتيكان)(١).

ولنشاط البابا السياسي والاجتماعي وتدخله في شؤون الآخرين استحق أن يحمل ألقاباً عدة تومئ إلى أنه أعلى سلطة دينية على وجه الأرض منها: «أُسقُف روما - خليفة القديس بطرس - نائب يسوع المسيح - أمير الرسل - الحَبْر الأعظم للكنيسة العالمية - بَطْرِيَرْك الغرب - كبير أساقفة إيطاليا - رئيس أساقفة المقاطعة الرومية - عاهل دولة الڤاتيكان» وذلك وفقاً لما ورد في كتب الكاثوليك وموسوعاتهم(٢).

فالبابا يحاول بكل وسيلة أن يكون الممثل الوحيد لكافة النصارى في الأرض على اختلاف مذاهبهم، بل يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو توحيد الناس على دين واحد يكون هو الزعيم الأعلى له؛ كما حدث في الصلاة الجماعية التي أقامها ودعا إليها في مدينة (ESIS) الإيطالية وحضرها ممثلون عن شتى الملل حتى عن المسلمين مع الأسف، ووصفته أجهزة الإعلام عقبها بأنه: بابا الأديان كلها!!(٣).

وهذا ما جعل بني دينه وجلدته يتهمونه بالسلطوية والتوسع كما قال أحدهم: «إن التوسع الكاثوليكي يعد بمثابة سياسة إمبريالية دينية عالمية قامت البابوية بقيادتها بصورة متزايدة، كما أنه يمثل موقف الكنيسة من الدول إلى جانب طموحاتها ومصالحها والقوى التي تمتلكها البابوية في كافة البلدان، أي أن هذا التوسع يعبر عن وجودها العالمي، ويسهم في أن يجعل منها قوة يتعين على أية سياسة أن تأخذ ذلك في اعتبارها»(٤).

وفي الوقت الذي تقمع فيه الأجهزة العلمانية ومن ورائها الدولية أي توجهات سياسية إسلامية ولو كانت بطرقهم الانتخابية الديمقراطية - كما يزعمون - فإن بابا الڤاتيكان لم يفتر عن تسييس الكنيسة، وجعل الڤاتيكان ذات الأساس الديني دولة سياسية بمنظمات عالمية: في عالم الصحافة والإعلام، وفي التنظيمات الشبابية - شباب بلا حدود - والتنظيمات النقابية العمالية - الحركة العمالية للعمال المسيحيين - ثم دخوله في الاتفاقات السياسية والحركات التحررية.

ولم نسمع الغربان العلمانية الناعقة بمكافحة الإرهاب والمنادية بفصل الدين عن الدولة تتهمه بتسييس الدين وأدلجته، واتخاذه ستاراً لأنشطة سياسية؛ فتلك التهم خاصة بمن يدين بالإسلام فقط!!

الهدف الثاني: محاولة إرجاع الناس - خاصة الشباب - إلى الكنائس بعد عزوفهم عنها بسبب العلمانية.

أرادت الكنيسة بهذا التجمع وأمثاله أن تثبت وجودها، وتشد الانتباه إليها.

أرادت أن تقول لبني دينها العلمانيين: إنني موجودة، والحل عندي.

وذلك بعد الضياع الذي وصلت إليه الأمم الغربية اللادينية، وكان للكنيسة دور في ذلك بما

---

(١) انظر مثلاً: الموسوعة العربية العالمية، ٤/١٠.

(٢) (Boydas: Philoso Phies Reliaiohsn: 951.2-A) عن تنصير العالم، د. زينب عبد العزيز.

(٣) سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١/١٨٥.

(٤) «البابوية المعاصرة» لمارك بونيه. عن المصدر السابق، ٨٨.

مارسته من ضغوط جعلت الشعوب الغربية تثور عليها وترفض مرجعيتها وتلغي تعاليمها، وتتخذ بديلاً عنها الإلحاد والحرية البهيمية المطلقة.

ولهذا كان البابا وهو يخاطب الشباب يدعوهم إلى الكنيسة ويعتذر بصراحة عن أخطائها السابقة، ويطلب السماح والعفو.

إن الغرب المتقدم في كافة المجالات المادية والترفيهية يبحث عن شيء فقده كلياً، ولا يدري ما هو هذا الشيء المفقود، ولا كيفية الوصول إليه والحصول عليه!

ذلكم هو الأساس العقائدي، والميزان الأخلاقي.

إنهم نصارى وفي الوقت ذاته لا يدينون بالنصرانية، تسأل أكثرهم: هل تؤمن؟! فيجيبك: نعم أؤمن بالله؛ ولكني لا أؤمن بالكنيسة.

يقول: أؤمن بالقوة العظمى التي كانت وراء خلق هذا الكون وتدبيره ولكني لا أؤمن بالأديان. لقد فقد الثقة بالكنيسة ورهبانها بما مارسوه عبر تاريخها الطويل من عنف وإرهاب، وبما يمارسونه في هذه الأزمان من دجل وأكاذيب لا يمكن لعقل سوي أو نصف سوي أن يقبلها.

إنه صراع يجده الغربي المسكين بين نداء الفطرة التي يولد عليها كل إنسان، وبين ما يتوارثه ويتربى عليه ويواجهه من إلحاد صارخ ومادية بغيضة وحرية مطلقة.

ترى الفرد الغربي يتطور في نظرته للكون والإنسان - إثبات وجود الخالق سبحانه - ولما يجب أن يكون عليه العالم من الإيمان بالله - تعالى - ومحبته؛ ولكن هذه النظرة مبتورة عن أصل الإنسان وسرِّ سعادته الكامن في تشرفه بالعبودية لله - تعالى - خالق الكون ومدبره وسلوك الطريق التي توصل إليه باتباع رسله - عليهم الصلاة والسلام - وتلك حقيقة ظاهرة في أولئك الشباب الذين قدموا من كل مكان علَّهم يجدون ما يملأ هذا الفراغ الذي تعاني منه قلوبهم، ولم تغن عنه الحياة المادية والرفاهية التي يعيشونها، والكنيسة تراهن على ملء هذا الفراغ القلبي لدى الشباب متى ما ترددوا عليها وأخذوا تعاليم الرهبان ووصاياهم.

لقد كان البابا في خطابه للشباب يحاول إقناعهم بالعودة إلى الله - تعالى - وأنه قريب منهم، ومهتم بأمرهم وهذا ظاهر في قوله لهم: «أيها الشباب: إلهنا هو الله الذي يدعونا ويتحدث إلينا، وأنت حقيقة موجود عندما تكتشف أنه يتحدث إليك، ولديك القدرة أن تتجاوب معه... ماذا تقول عندئذ عن حياة شاب مسيحي لا يتحدث إليه الإله إطلاقاً، إنها حياة لا يعني فيها الإله شيئاً... الإله يكشف نفسه بالتحدث إليك ويقول لك: «إن الإنسان مهم له. وهو يجعل حياتنا معه قائلاً: أنا سوف أكون معكم حتى نهاية الزمان».

وكثيراً ما أكد في حديثه إليهم ذلك، وذكَّرهم بيسوع ورحمته بهم وشفقته عليهم، وحبه لهم.

إن الكنيسة مستميتة في محاولة إقناع الشعوب النصرانية بالعودة إليها خاصة فئات الشباب التي يُنذر ضياعها العقيدي، وفسادها الأخلاقي بعواقب وخيمة على الغرب وحضارته المادية. ولا أدل على تلك الاستماتة والحرص من الشعار المختار لهذا اليوبيل الشبابي العالمي الذي كان شعاره: «الإيمان صعب ولكنه ممكن».

وواضح في الشعار تلمسه للجرح النازف وتحسسه للأزمة التي يعاني منها كل مادي ملحد، وقد روعي فيه نفسية الشباب المتسمة بالتحدي

ومحبة المغامرات والإقدام بقصد دفعها إلى الإيمان والعودة إلى الكنيسة وترك الملذات التي أسرت الشباب الغربي واستعبدته وحولته من إنسان عاقل إلى حيوان شهواني.

إن الشباب ما حضروا إلى ذلك التجمع إلا للبحث عما يقنعهم بدينهم، ويسعد قلوبهم التي تعيش شقاءاً سببه البعد عن الله - تعالى - وعن دينه الذي ارتضاه لعباده - الإسلام - والمقابلات التي أجريت مع بعضهم دالة على ذلك، فقد سئل أحد الشباب: لماذا تحضرون، وماذا تريدون؟ فقال: نريد الجنة. فهو يفكر فيما بعد الموت رغم أنه يعيش عيشة مادية في بيئة مادية لا تعترف إلا بالدنيا؛ لكنه يعود إلى فطرته أحياناً فيظل يبحث عن سبل نجاته وأسباب سعادته الأبدية؛ فربما وجدها فأسلم، وربما أضلته الكنيسة فمات على كفره.

وعرض التلفزيون الإيطالي لقاءاً مع شاب فسأله المذيع: لماذا حضرت إلى هذا اليوبيل؟ فقال الشاب: لأن البابا دعانا.

قال المذيع: ومن هو البابا، أو ماذا تعرف عنه؟

قال الشاب: هو خليفة عيسى وأرى فيه عيسى.

والبابا يصرح دائماً أنه خليفة الإله.

وواضح من هذا الحوار أن قصد حضور الشاب كان دينياً، ويريد اتباع الأنبياء وأخذ تعاليمهم، ويظن أن البابا يدله على هذا الطريق.

ويؤكد تلك الحقيقة أن الشباب كانوا متحمسين للقاء البابا وسعداء بحديثه إليهم؛ فهم يصغون إلى كلماته ومواعظه، ومنهم من كان يدونها بقلمه، وكأنه يحس بحاجته إلى ذلك لعله يجد في مواعظه ما يملأ فراغ قلبه، ويروي ظمأه.

لقد كان الشباب يصفقون للبابا بحرارة شديدة، ويهتفون بحياته، فهم يرونه الوحيد القادر على الأخذ بأيديهم إلى بر الأمان وموطن السعادة في غابة الغرب المادية الموحشة، ويظنون أنه الدليل الذي سيربطهم بخالقهم ورازقهم.

والسؤال الذي ينبغي طرحه: هل سينجح البابا في توفير ما يطلبون، وتعويضهم عما يفقدون؟

كلا؛ لأن ما يدعوهم إليه محرف، ويزداد تحريفاً يوماً بعد يوم. وما لم يحرف منه فمنسوخ بشريعة محمد ﷺ.

والخطأ - كالمادية مثلاً - لا يصحح بالخطأ المتمثل بالدين المحرف، والجرح لا يعالج بفتقه دون رتقه، وكم من كافر تنقل بين ملل شتى منها المحرف ومنها المخترع فما وجد ضالته إلا في الإسلام الذي من ذاق حلاوته فلن يبتغي عنه بديلاً.

فيا ليت شعري! من يدل هؤلاء الشباب - الضالين - على الطريق الصحيحة، ومن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذ بأيديهم من الشقاء إلى السعادة؟ ثم إن الكنيسة لم تعد تبيّن الحرام من الحلال - ولو في دينهم المحرف - وإنما اكتفى رهبانها بالدعاية إلى كنائسهم عن الدعوة إلى دينهم(١)، وبالمواعظ البسيطة التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق ولا تلزم بذلك ولو من جهة بيان الثواب والعقاب. وكان من ثمرة ذلك أن شبابهم بل كبارهم ليس عندهم معايير للحرام والحلال ولو على وفق دينهم المحرف، ولا أدل على ذلك من مقابلة أجراها التلفزيون الإيطالي مع مجموعة منهم قدمت

---

(١) هذا بالطبع في المجتمعات الغربية فقط، وإلا فهم يسعون بجد ونشاط إلى تنصير غيرهم، والمطلع على أحوالهم يتبين له أن تنصيرهم خارج أرضهم وبين الغرباء عنهم أكثر وأقوى من عملهم في أراضيهم وبين بني قومهم لأسباب وأهداف ليس هذا مقام عرضها.

لهذا اليوبيل فطرح المذيع عليهم هذا السؤال:

ما هو الحرام حسب رأيكم؟

فلم يعط أي واحد منهم جواباً ينطلق من أساس ديني سواء أكان صحيحاً - الإسلام - أم محرفاً - كالنصرانية مثلاً - ولا ذكر واحد منهم أن المحرم ما حرمه الله - تعالى -، أو ما أخبر عيسى - عليه السلام - أنه حرام أو ما قال البابا أو الراهب: إنه حرام. بل كانت إجاباتهم لا تعدو عن كونها وجهات نظر حسب الأهواء والأمزجة، وتلك هي عبادة الهوى الذي سماه الله إلهاً في قوله - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولذا فإن أحد الصحفيين المشاهير لما سئل على شاشة التلفزيون عن رأيه في يوبيل الشباب هذا قال: إن الشباب يريد أن يعود إلى الكنيسة؛ ولكنه في سلوكياته لا يتبع تعاليمها، فهو يمارس الجنس بشكل طبيعي وعادي، والمعيار عنده هو الحاجة اليومية التي تتطلبها منه الحياة المدنية الحديثة وليس ما يصدر من الكنيسة.

ودين ليس فيه حرام ولا له حدود ليس بدين، ولا يمكن أن يحقق السعادة التي يطلبها من دانوا به؛ لأن الإنسان مفطور على العبودية ولا بد له من آمر وناهٍ؛ فخيرٌ له أن يكون عبداً لمن يستحق العبودية ويتلقى منه الأوامر والنواهي وهو الله - تعالى - وإلا كان عبداً لمن لا يستحق العبودية كالشيطان والهوى والبابا وغيره من البشر.

تنازلات الكنيسة:

رغم الجهود الجبارة التي يقوم بها البابا وكنيسته الكاثوليكية وسائر الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية؛ فإن الكنيسة عجزت عن إقناع النصارى بالرجوع إليها، وضبط شهواتهم على وفق تعليماتها؛ فما كان منها إلا أن تنزلت إلى متطلبات الناس، ووافقتهم فيما يريدون لإرضائهم وكسب اعترافهم بها ولجوئهم إليها.

وهكذا كل دين محرف لا يمكن أن يصمد أمام المتغيرات؛ فلا بد من تحديثه وتجديده وتحريفه كلما استجد زمن، أو تغير مكان، أو طرأت طوارئ، وهكذا كان حال الرهبان مع دين النصرانية المحرف يزيدونه تحريفاً كلما دارت عجلة الزمن، وليس المقام مقام تتبع وتأريخ واستقراء. وفي التاريخ القريب وذلك عام ١٩٦٢م افتُتح مجمع الفاتيكان الثاني ليبحث في تجديد العقيدة والحياة الدينية الكاثوليكية وتحديثها؛ لجذب الناس إلى الكنيسة(١).

ولم يكن متعصبة الكاثوليك راضين عن التمييع والتنازلات التي يقدمها باباوات الفاتيكان وخاصة الأخير منهم «يوحنا بولس الثاني» الذي أثارت تنازلاته مع العلمانيين أسقف الكنائس السويسرية (لوفبر) فخطب في سبعة آلاف من أتباع كنيسته متهماً بابا الفاتيكان بالعداوة للمسيح - عليه السلام - وعنّفه حتى قال: «إن رئيس الكنيسة الكاثوليكية - ولم يسمه البابا - يقف الآن في صف أعداء المسيح وهذا عار شنيع... ولهذا نرى لزاماً علينا تحمل المسؤولية لإيقاف هذا الانهيار باسم الحداثة أو تحديث الكنيسة الكاثوليكية التي وصلت إلى حد الإفراغ والتآكل تحت شعار الإصلاح الدستوري»(٢).

ومن مظاهر التمييع والتنازلات الكنيسية في هذا

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٤/٩.

(٢) سلسلة تقارير المعلومات، ١/١٨٤.

اليوبيل الشبابي ما يلي:

١ - لم يذكر البابا في خطاباته للشباب حرمة الممارسات الجنسية المحرمة في دين النصارى التي غرق في مستنقعاتها الآسنة أكثر شباب الغرب وشاباته كالزنا واللواط والسحاق وسائر أنواع الشذوذ، مع مسيس الحاجة إلى ذلك؛ لكونها ظاهرة آثمة بين الشباب سببت الأمراض والطواعين والأوجاع والتفكك الأسري، والمفترض أنه داعية إصلاح، والمقام مقام توجيه وإرشاد؛ لكنه لم يرد إثارة حفيظتهم والحدّ من حرياتهم الآثمة ومخالفة أهوائهم لكيلا يعزفوا عنه وعن تجمعاته وكنيسته.

٢ - الكنائس أماكن عبادة النصارى، والمفترض في أماكن العبادة أن تكون محترمة معظمة عند أهلها مصونة من التبذل؛ ولذا كان الرهبان إلى وقت قريب يمنعون المرأة المتهتكة في لباسها من دخول الكنيسة، وبعض الكنائس توفر جلابيب تعلق بقرب الكنيسة تلبسها من أرادت الدخول ولباسها غير لائق، وكانت اللافتات التي تنبه على منع المتهتكة من دخول الكنيسة تعلق على أبوابها، ثم مع مرور الزمن بدأت تختفي الجلابيب وتزال اللافتات ليسمح للمرأة بدخول الكنيسة للتعبد أو للفرجة على أي شكل.

وفي يوبيل الشباب هذا كانت الفتيات يملأن ساحة الفاتيكان وكنيسة القديس بطرس[1] وهن نصف عاريات. ولم يعد للكنيسة قدسيتها عند النصارى؛ إذ إن مقدمات الزنا من التقبيل والضم تمارس أمام الرهبان داخل كنيسة بطرس في قلب الفاتيكان، وتحت التصاوير والتماثيل المقدسة التي وضعوها لمريم وعيسى - عليهما السلام - ولمشاهير القديسين.

٣ - سمح البابا والرهبان بنصب منصات قرب الكنائس الكبرى ليرقص عليها الشباب من الجنسين في هذا اليوبيل على أنغام الموسيقى الغربية الصاخبة، وبعضها يتم بحضور أرباب الكنائس وإشرافهم؛ وذلك كل ليلة.

٤ - كان من المناظر المخجلة والمزرية بالرهبان في هذا اليوبيل الشبابي أن ترى الراهب وقد لبس الرداء الكهنوتي، وأثقل رقبته بالصلبان - المقدسة عنده - جالساً بجانب فتاة نصف عارية في حديقة الكنيسة لتعترف له بذنوبها، ولا يدري من يراهما: هل الحاجة لها أن تنفس عن نفسها بالاعتراف بخطاياها، أم أن الحاجة للراهب يشبع غريزة فطرية حرّمتها عليه الكنيسة وقد أباحها الله له بالزواج؟

وكان من آخر تقليعات الكنيسة الكاثوليكية تكليف الرهبان بالخروج إلى المراقص يرقصون مع المخمورين والعاريات بقصد جذبهم إلى الكنيسة، ولإثبات أن الكنيسة تتفهم متطلبات رعاياها، ولا تعارض حاجاتهم ولو كانت هدماً لدينهم؛ فأي دين هذا يا ترى؟!

بين الإسلام والنصرانية:

بان بما سبق عرضه أن الكنيسة تنازلت مضطرة عن مبادئها المحرفة حتى وصلت إلى هذا الحد

---

(١) يعتقد الكاثوليك أن بطرس كان صياداً ودعاه المسيح - عليه السلام - إلى التبشير بدينه، وسماه بطرس، وهو الذي رأس الكنيسة في مهدها، وقتل في روما، فبنيت كنيسته على قبره، وهي أكبر كنيسة في روما، وهي وما يحيط بها من بنايات مقر عمل بابا الفاتيكان وإقامته، وهو أعلى مرجعية دينية لدى الكاثوليك، وفي ساحتها يحيي البابا قُدّاسات النصارى في المناسبات والأعياد؛ فهي من أقدس الكنائس عندهم وأقدمها، ومع هذا لا قدسية لها عندهم في واقع الحال.

المخجل الذي قد يستحي منه بعض العلمانيين، واتضح بذلك أن الدين المحرف لا يمكن أن يصمد أمام المتغيرات، ولا بد من تحريفه وتجديده كلما اقتضت الأحوال ذلك.

أما الإسلام فمختلف تماماً عن ذلك من حيث شموليته وصلاحيته لكل الأزمان والأماكن والأحوال؛ بل لا يوجد ما يصلح للناس ويُصلحهم وتستقيم الحياة به إلا في دين الإسلام، وما عداه فباطل وإثم وسبب لشقاء الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.

وبهذا ندرك الخطأ الفاحش الذي وقع فيه من تشبهوا بقساوسة النصارى ورهبانهم في تمييع الإسلام وتحريف نصوصه، وتبديل شريعته، وتغيير أحكامه ليوافق أهواء الناس وشهواتهم، وحتى يتناسب مع هذا العصر كما يفعله كثير من متفقهة المسلمين ومتعلمتهم - أو متعالميهم - الذين يتصدر بعضهم للفتيا في القنوات الفضائية.

وهذا منهج خطير يرمي إلى علمنة المسلمين كما عُلمنت النصرانية المحرفة، وإضفاء الشرعية على هذه العلمنة باعتبارها صادرة من شيوخ معممين؛ وربما كانوا ذوي تخصصات شرعية ويحملون أعلى الشهادات الشرعية من جامعات إسلامية عريقة!

والإسلام لن يتضرر بذلك؛ لأنه دين محفوظ بحفظ الله - تعالى - له؛ لكنَّ مَنْ يتضرر من جرائه المفتي الذي تجرأ على الله - تعالى - وأضل الناس عن الحق، والمستفتي الذي وقع في الإثم بسبب اتباعه لمن يفتيه بهواه، والعامة الذين يستمعون إلى تلك الفتاوى.

ومن مظاهر الإضلال في الفتيا: مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة أو الإجماع، وإحياء الأقوال الضعيفة والشاذة التي أخطأ فيها أصحابها. بل إنهم في بعض الأحيان يأتون بفتاوى ليس لهم فيها سلف، وربما دعا بعضهم إلى المحرم باسم الدعوة والمصلحة المرسلة وتحت شعارات صحيحة؛ لكن يراد بها باطل كتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، ويتوسعون في ذلك توسعاً عظيماً بلا ضوابط ولا ورع ولا تقوى.

بين العلمانيين والرهبان:

دأب العلمانيون العرب - عند إرادتهم القدحَ في الإسلام أو تعاليمه أو ردَّ فتوى شرعية - على استرجاع التاريخ واستدعاء ما حصل من أرباب الكنائس فيما يسمى في التاريخ الأوروبي بالقرون الوسطى التي كانت الهيمنة فيها للكنيسة ورهبانها، ويساوون بين الإسلام والنصرانية، وبين علماء المسلمين ورهبان النصارى إمعاناً في الإضلال وطمساً للحقائق وتلبيساً على المتلقي عنهم.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة تغيّر هذا الاتجاه عند كثير من العلمانيين الذين أخذوا يطالبون علماء المسلمين بالتسامح وتفهم متطلبات العصر وتغير الزمن، ويؤكدون على ضرورة احتذاء علماء المسلمين بالرهبان والقسيسين الذين خضعوا لشهوات الناس، وفصّلوا لهم النصرانية على وفق ما يتناسب مع العصر المادي العلماني، ثم لما اقتنع بعض المنتسبين للعلم بهذه الفكرة وخضعوا لرغباتهم وضعهم العلمانيون في صف الرهبان بجامع العقلانية والبعد عن التشدد والتطرف والإرهاب الديني ومخاطبة الناس بأسلوب حضاري كما يقولون. وكفاهم شرفاً أن يُشبهوا بأصحاب الكنائس لا بأقلام الأثريين الرجعيين عندهم وإنما بأقلام المتنورين العلمانيين!!

وفي الوقت ذاته يتمالأ من ميعوا الإسلام مع العلمانيين على حرب المتمسكين بالإسلام - كما أنزل - الذين يرفضون التلاعب بشريعته لموافقة أهواء الناس ويصمونهم بكل نقيصة، ويلصقون بهم كل تهمة؛ فتأمل إلى ما أدى إليه التنازل عن بعض الشريعة باسم المصلحة الفضفاضة، وانظر إلى الهوة السحيقة التي تردى فيها أصحاب هذه الاتجاهات الخاطئة!

هُبَل لا يزال يُعْبَد!!

يسمى هذا العصر عصر العلم والتقدم، وحين تذكر البلاد الغربية يتبادر إلى ذهن كثير من الناس أن تلك البلاد التي أفرزت الحضارة الحديثة لا يمكن أن تغزوها الخرافة أو يصدق أفرادها بها، أو يلغوا عقولهم ويتعلقوا بأوثان لا تنفع ولا تضر - كما كان أهل الجاهلية يعبدون هُبَلاً واللات والعزى؛ لأن بلاد الغرب عمرت حضارتهم وقامت على احترام العقل وتقديسه؛ ولكن الحقيقة مجانبة لذلك؛ فمظاهر الخرافة منتشرة، وسوق السحرة والكهان والعرافين رائجة في بلادهم.

وفي يوبيل الشباب هذا كان الرهبان ركعاً وسجداً وجاثين على الركب يتلون الأناجيل، ويرددون الترانيم، ويؤدون الصلوات تحت التماثيل والتصاوير التي امتلأت بها كنيسة القديس بطرس، ومنهم من تعلق بأقدام الوثن يقبلها باكياً؛ والشباب يمرون بهم ليتعلموا الوثنية من أئمتهم ورهبانهم في عصر الذرة والنفاثة والاستنساخ والدخول في الألفية الثالثة كما يقولون. وشرك العبادة ليس أمراً جديداً عند النصارى فقد قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. والنصوص في إثبات ذلك كثيرة.

وشركهم ليس شرك أفراد من عامتهم؛ بل هو شرك أحبارهم ورهبانهم أقروه في مجامعهم الكنسية الكبرى التي ألَّهوا فيها عيسى - عليه السلام - وجعلوه مساوياً لله - تعالى - وجعلوا لأمه مريم صفة الأمومة الإلهية وأنها والدة من تم تأليهه، واعتبار الاعتراض على ذلك هرطقة[1] توجب التكفير والقتل. تعالى الله عن شركهم علواً كبيراً.

ولن تجد وصفاً - وأنت تراهم يترددون على تلك الأوثان في كنائسهم - أبلغ وأدق من وصف الله - تعالى - لهم بالضُّلاَّل كما قال - تعالى -: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. قال ابن أبي حاتم: لا أعلم خلافاً بين المفسرين في تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى[2].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلاَّل»[3].

لماذا الصدُّ عن الإسلام؟

اتضح بما سبق عرضه أن دين النصارى المحرف ليس مقنعاً لأناس يوصفون باحترام العقل وإعماله، ومهما عمل البابا والفاتيكان والنصارى

---

(١) الهرطقة: مصطلح كنسي يعني الخارجين على تعاليم الكنيسة.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١/٢٣، وفتح الباري، ٨/١٥٩، والدر المنثور، ١/١٦.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الفاتحة وقال: حسن غريب (٢٩٥٤) وأحمد، ٤/٣٧٨، والطبراني في تفسيره، ١/٧٩، وصححه ابن حبان كما في الموارد (٢٢٤)، وأحمد شاكر في تخريج الطبري (١٩٤).

أجمعون من وسائل لإقناع أنفسهم بصحة دينهم فلن يقتنعوا به فضلاً عن إقناع غيرهم به.

وفرح الشباب بهذا التجمع العظيم؛ إلا أن استئناسهم به لن يدوم طويلاً، كما لم تدم سعادة الشعوب الغربية بالتطور والرفاهية العظيمة؛ وهكذا كل سعادة بغير الله - تعالى - والعبودية له واتباع رسله مهما كانت كبيرة وأسبابها عظيمة - فلن تلبث إلا يسيراً حتى تنقلب شقاءً على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة. وقد قرر هذه الحقيقة العالم الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بقوله: «فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذّات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك؛ بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ به غير منعم ولا ملتذ به؛ بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك»(١).

وما دام الأمر كذلك فإن سدنة الباطل والقائمين عليه لم يألوا جهداً ولن يألوا في إخفاء الحق ومحاولة طمسه وتشويهه وحجبه عن الناس وصدهم عنه بكل وسيلة يملكونها. وهكذا كان حال الإسلام مع خصومه قديماً وحديثاً. ففي القديم كان المشركون في عهد الرسالة يمنعون الناس من سماع القرآن خشية اتباعهم لمن أُنزل عليه، وتواصوا بالتشويش عليه كما أخبر الله عنهم بقوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وقد ذكر المفسرون أن المشركين كانوا يطردون الناس عن النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم -، ويقابلون القرآن بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد الأشعار والأراجيز(٢).

قال ابن عاشور: «وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكمموا أفواه الناطقين بالحق والحجة بما يستطيعون من تخويف وتسويل وترهيب وترغيب، ولا يدعون الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض؛ فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعم نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد عدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلام الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء»(٣).

وثبت في الصحيح أن المشركين شرطوا على ابن الدغنة لما أجار أبا بكر - رضي الله عنه - أن لا يُظهر عبادته خشية أن يتبعه أقوامهم وقالوا: مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فلْيُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/٢٤ - ٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٤٧، وروح المعاني للآلوسي، ١٢/٣٧١.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٤/٢٧٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٥).

وكذلك يفعلون في العصر الحاضر؛ إذ إن أعداء الإسلام من يهود ونصارى ووثنيين ومنافقين قد حملوا على عواتقهم حرب الإسلام، وصدَّ الناس عنه بكل وسيلة تارة بالترغيب - تحسين الشهوات وبثها ونشرها - وتارة بالترهيب - إيذاء المسلمين ومحاصرتهم وتجويعهم وإعلان الحرب عليهم - وتارة بالتنفير - وصف المسلمين بالتطرف والإرهاب وتشويه الإسلام عند غير المسلمين - ومع ذلك فإن أعداد من يدخلون في الإسلام - بحمد الله تعالى - في ازدياد لا يشهد له مثيلاً أي دين آخر، وجُلُّ من يدخل في الإسلام يدخله عن قناعة بعد بحث وتقصٍّ، وفيهم من علية القوم - من المثقفين والمنظِّرين والمنصرين - كثر؛ لأنه لا يحق إلا الحق، ولا يبقى إلا الصحيح، ومهما اجتهد أهل الباطل في طمس الحق وإخفائه فإنهم لا يستطيعون.

بعد هذا العرض المختصر لهذا اليوبيل الشبابي النصراني العالمي أود التنبيه على أمور أربعة:

١ - وجوب شكر الله - تعالى - على نعمة الإسلام التي هدانا لها، ولو شاء لجعلنا من أولئك الضالين الحيارى الذين تعلقوا بالمخلوقين ونسوا الخالق - سبحانه وتعالى - فنحمد الله - تعالى - أن هدانا، ونسأله الثبات على الإسلام إلى الممات إنه سميع مجيب.

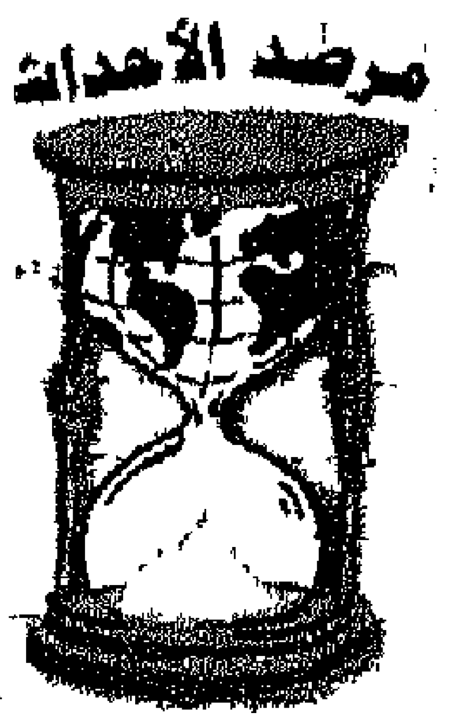
٢ - فريضة الدعوة إلى هذا الحق الذي عرفناه - وهو الإسلام - ودلالة الضالين عنه عليه، والمسؤولية عظيمة، والأمانة ثقيلة؛ أبت حملها السموات والأرض والجبال وأشفقن منها وحملناها ففرض علينا أداؤها، وإلا تعلق أولئك الضلال برقابنا يوم القيامة يشكون إلى الله - تعالى - تقصيرنا وتفريطنا في دعوتهم. نسأل الله - تعالى - العافية.

٣ - إن ضلال أولئك الشباب المجتمعين يزيد يقيننا بديننا، ويقوي إيماننا، ويحثنا على التمسك به والعض عليه بالنواجذ؛ لأنه حق هدانا الله إليه؛ فمن الغبن والحمق التفريط فيه أو تضييعه، ومن مظاهر التفريط فيه عدم التزام أحكامه.

٤ - إن تأجيل بيان بعض شرائع الإسلام لمن أسلم حديثاً منهج صحيح كما كانت شرائع الإسلام تتنزل على رسول الله ﷺ شيئاً فشيئاً، ولكن التنازل عن شيء منها بحجة الدعوة أو المصلحة المرسلة أو دواعي العصر أو نحو ذلك فباطل وإثم وافتيات على الإسلام واستدراك على الشارع سبحانه وتعالى. وفرق كبير بين التنازل الذي يسلكه المزورون لشريعة الإسلام وبين التأجيل لمصلحة راجحة، ومن سلك مسلك التنازل والتحريف لأحكام الإسلام من متعلمة المسلمين فقد تشبه بالرهبان الذين حرفوا وما زالوا يحرفون النصرانية إلى اليوم، «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1] كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود، ح/ ٣٥١٢.



يرصدها: حسن قطامش
qatamish100@hotmail.com

المكافحة مستمرة!!

دعا رؤساء جمهوريات آسيا الوسطى إلى مشاركة روسيا في معاهدة خماسية لـ «مكافحة الإرهاب والتطرف السياسي والديني والإجرام المنظم».

وحضر رؤساء كازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وقرغيزستان اجتماعاً في العاصمة القرغيزية «بيشكيك» أعلن على أثره رئيس الدولة المضيفة عسكر أكايف أن روسيا: «دولة عظمى ويمكن أن تغدو القوة الرئيسية» في منظومة لتحقيق الأمن والاستقرار في آسيا الوسطى التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفييتي.

وعقد الاجتماع بعد اتساع نطاق العمليات التي تخوضها أوزبكستان وقرغيزستان ضد تنظيمات إسلامية تحمل السلاح في المثلث الواقع بين هاتين الدولتين وطاجكستان. وأكد الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف أن «المراكز الإسلامية المتطرفة» التي قال إنها تعمل من أفغانستان؛ تهدف إلى: «حرف دول آسيا الوسطى عن الطريق العلماني الديموقراطي».

وأضاف: «لا يمكننا ضمان الأمن في آسيا الوسطى ما دامت الحرب قائمة في أفغانستان، لأن المجموعات المتمردة التي تعتبر أساس المشكلة موجودة في أفغانستان. ودعا رؤساء الجمهوريات الأربع المنظمات الدولية «كمنظمة الأمم المتحدة» إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع حد للحرب الأهلية في أفغانستان «واستئصال هذا الخطر». [جريدة الحياة، العدد: (١٣٦٧٧)]

العولمة المفترسة

إن ظاهرة اندماج المؤسسات الاقتصادية والشركات متعددة الجنسيات برؤوس أموال تصل إلى مئات المليارات من الدولارات - أفضت إلى تمركز الثروة في يد قلة قليلة من الدول أولاً ثم قلة قليلة من أفراد تلك الدول ثانياً إلى الدرجة التي أصبحت معها ثروة ثلاثة أغنياء أمريكيين تعادل أو تزيد على ثروات ٤٨ دولة من دول العالم الفقيرة. وثروة ٤٨ أمريكياً تزيد على ثروة ١,٣ مليار صيني يبلغ الناتج القومي لهم حوالي ٧٠٠ مليار دولار سنوياً، وأن ٢٢٥ ثرياً من أثرياء الدول المتقدمة يملكون ألف مليار دولار أي ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي لـ ٤٧٪ من سكان العالم، في حين أن ٤٠ مليار دولار أي ما يوازي ٤٪ فقط من ثروات الـ ٢٢٥ شخص كافية لكي تؤمن لكل سكان المعمورة الخدمات الاجتماعية الأساسية التي يحتاجون إليها أي الغذاء والصحة والمياه والتعليم. وأوضحت الدراسة أنه في ظل العولمة المتوحشة أصبح نصف سكان العالم أي ثلاثة مليارات نسمة من الفقراء يعيش منهم ١,٣ مليار نسمة تحت خط الفقر، ويقبع أغلبهم في الدول النامية في حين أن ١٠٪ فقط من القابعين على قمة العالم في الاتحاد الأوروبي وأمريكا يستحوذون على ٥٠٪ من تجارة العالم. وأن ١٣٪ فقط من سكان العالم ينفقون ٦٨٪ من الإنتاج العالمي الأمر الذي يعكس عدم مساواة صارخة واستغلال تتعرض له شعوب العالم الثالث. كما أشارت الدراسة إلى أن خمس دول فقط هي: الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا واليابان وبريطانيا تتوزع بها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ شركة الأكبر والأشرس عالمياً والمسيطرة على الاقتصاد العالمي. وتعرضت الدراسة للزيادة المستمرة في عدد الشركات متعددة الجنسيات موضحة أن عددها ارتفع أخيراً من ١١٠٠٠ شركة تتحكم في ٨٢٠٠٠ شركة فرعية تزيد مساحتها على ٢٥٪ من حجم التجارة العالمية عام ١٩٧٥م إلى ٣٧٥٠٠ شركة تتحكم في ٢٠٧٠٠٠ شركة فرعية تتعامل بأكثر من حجم التجارة العالمية عام ١٩٩٠م.

[مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٨٠)]

انتكاسة ليبرالية

معضلة الاتجاه الليبرالي تكمن في قدرته على تكوين هالة إعلامية ودعائية لا تتلاءم مع حجمه الطبيعي، لقد انشغل المؤسسون باستثارة الرأي العام، دون اهتمام بالقاعدة الشعبية وتنميتها.

من يستمع للطروحات الليبرالية، وزخم الأقلام الصحفية المساندة و«المطبلة» للنهج الليبرالي يظن أن المجتمع الكويتي يسير نحو العلمانية وهو منها قاب قوسين أو أدنى، ولكن من ينظر إلى حقيقة المجتمع الكويتي من الداخل يجد أنه أقرب للمجتمع الإسلامي المحافظ المتشبع بالقيم والمبادئ الإسلامية. لقد نجح الليبراليون مع بداية الستينيات بفضل موجة المد القومي، ومناهضة الإمبريالية في كسب ود الكويتي وعطفه، فصفقت لهم الجماهير، ثم ما لبثت الفئة الواعية من هذه الجماهير أن تخلت عنهم عندما أدركت زيف الخطب والشعارات والهتافات البراقة والبعيدة عن الواقع.

[الكاتب الكويتي: عادل القصار، جريدة القبس، العدد: (٩٧٨١)]

استهزاء بالدين ودعوة للمنكر

إن البنت اليمنية لا تترهل البتة. إنها تتزوج وتنجب دزينة من الأطفال وتظل برشاقة عود القات محتفظة برشاقتها إلى أن تشيخ، وحتى عندما يجف عودها وتموت فإنها لا تتعفن في قبرها كغيرها من نساء العالم ولا تقربها الديدان!! كل هذا ببركات هذا العشب السحري الذي قيل: إن أبانا آدم تناوله وطرد من الجنة بعد أن أغرته أمنا حواء!! ولِمَ لا! وها هي بعض دول العالم تُحرِّم القات وتطرد من جنانها المصطنعة كل يمني يتناوله وتنزل به أشد العقوبات، لكن القات سيغدو عشباً عالمياً في عصر العولمة، وسيكتشف العالم المتخم عما قريب ميزة هذا العشب الموضوع في القائمة السوداء.

ومع احترامي وتقديري لجمعية مكافحة القات التي تصدر نشرة دورية بعنوان - يمن بلا قات - إلا إنني على يقين بأن المستقبل في اليمن للقات. بل إنني أخشى على هؤلاء الذين يحلمون بيمن بلا قات أن يتحقق حلمهم بالمعكوس؛ فكل الدلائل والمؤشرات تؤكد أنه في المستقبل سيكون هناك قات فقط. قات بلا يمن.

[الكاتب اليمني: عبد الكريم الرازحي، مجلة المجلة، العدد: (١٠٧٥)]

بئس ما صنعوا!!

يعرض موقع على شبكة الإنترنت في الأرجنتين خدمة غير تقليدية؛ وهي مساعدة من يمارسون الخيانة الزوجية على اجتناب افتضاح أمرهم.

فنظير سداد مبلغ ١٢٠ دولار أمريكي يحصل المشترك في الموقع على خطة متكاملة لتمويه تحركاته وتسويغ غيابه عن العمل والمنزل. وتتضمن الخطط التي يضعها العاملون في الموقع إرسال بطاقات دعوة لحضور مؤتمرات وهمية وتذاكر طيران مزيفة، وشهادات تثبت حضور تلك المؤتمرات.

ويقول المسؤولون عن الموقع: إن الخدمة التي يقدمونها لعملائهم متقنة لدرجة تمكنهم من خداع زملائهم ورؤسائهم في العمل وليس فقط الزوجات والأزواج. وقد لاقى الموقع إقبالاً شديداً فور بدء عمله لدرجة أن مسؤوليه قرروا عدم قبول أكثر من ألف عميل في وقت واحد، واللافت للنظر أن عملاء الموقع ليسوا جميعاً من الرجال، فنصفهم تقريباً من النساء. وذكر القائمون على الموقع أن النجاح الضخم الذي حققه مشروعهم في الأرجنتين جعلهم يفكرون في إقامة خدمات مماثلة في دول أخرى بأمريكا اللاتينية. ولم ينس القائمون على الموقع تجهيز مؤثرات صوتية تحاكي صوت قاعة اجتماعات، وتسمع تلك المؤثرات عبر الهاتف أثناء حديث السكرتيرة المزيفة.

ويقول مسؤولو الموقع: إن احتمال انكشاف المؤامرة شبه معدوم؛ لأنهم يدرسون حالة كل عميل على حدة، ويضعون له الخطة المناسبة له.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbcarabic.com]

تحسبهم جميعاً

دلت نتائج استطلاع رأي جديد في «إسرائيل» أن الشباب من طلاب المدارس الثانوية يكرهون المستوطنين اليهود في الضفة الغربية بالدرجة الأولى ثم يكرهون العرب بمقدار مشابه تقريباً. وجاءت هذه النتيجة مفاجئة للغاية.

وأجرت الاستطلاع صحيفة «يديعوت أحرونوت» بواسطة معهدين جامعيين، إسرائيلي (الجامعة العبرية في القدس) وفلسطيني (جامعة بيرزيت) بمشاركة ٦٢٠٠ تلميذ من ثانويات يهودية وعربية في «إسرائيل» (العرب هم فلسطينيو ١٩٤٨م) ونشرت نتائجه في الصحيفة، وفيما يلي أبرز ما جاء فيها:

– في المجموعة الكاملة للتلاميذ، بغض النظر عن الانتماء تبين أن ٥١٪ منهم يكرهون المستوطنين في الضفة الغربية أكثر من أية فئة سياسية أخرى، وأن ٥٠٪ يكرهون العرب بالدرجة الأولى، و٤٧٪ يكرهون اليهود المتدينين المتزمتين (حريديم) بالدرجة الأولى.

– في هذه المجموعة أيضاً، قال ٤٧٪: إنهم يكرهون رئيس الحكومة اليميني السابق بنيامين نتنياهو، و٢٧٪ قالوا: إنهم يكرهون إيهود باراك، و٢٤٪ قالوا: إنهم يكرهون شمعون بيريز.

– بلغت نسبة الذين يكرهون حركة «سلام الآن» ٣٤٪، لكن نسبة الكراهية لليكود أكثر ٣٥٪ والكراهية لحزب العمل ٢٤٪.

– عند الدخول في التفاصيل يتضح أن الفوارق في الكراهية للمستوطنين والعرب تعود إلى الانتماءات الطائفية. إذ أنه في صفوف التلاميذ اليهود الأشكناز، يكرهون اليهود المستوطنين ٥٦٪، واليهود المتدينين المتزمتين ٥٠٪ أكثر من كراهيتهم للعرب ٣٨٪. أما اليهود الشرقيون فإنهم يكرهون العرب أولاً ٦٣٪ ثم حركة «سلام الآن». وأما التلاميذ العرب فإنهم يكرهون أولاً اليهود المتدينين المتزمتين ٨٥٪ ثم المستوطنين ٧٣٪.

ورأت الدكتورة داليا مور، المشرفة على هذا البحث، أن الوضع بين الشباب مثله بين الكبار في «إسرائيل»: يشكل هوة اجتماعية كبيرة بدأت تأخذ طابع الكراهية، وهناك خطر في تدهوره إلى العنف. وقالت: إنها تجد في موقف اليهود من المستوطنين كراهية للعنف ولمحاربة مسيرة السلام، وكذلك إحساساً لديهم بأن المستوطنين يبتزون الدولة، ومواقفهم ليست مبنية على أية مبادئ.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩٥٩)]

مع القرامطة والماركسية

ماذا لفت نظرك في تجربة «ثورة ظفار»، لكي تكتبها من جديد؟

لفت نظري في هذه التجربة جرأتها في محاولة وضع الشعارات الثورية موضع التنفيذ والتطبيق، في مجتمع تقليدي كان شديد التخلف، خصوصاً أنها تمت في إطار من المرجعيات المختلفة المتأثرة بشعارات القوميين العرب، وصعود عبد الناصر ومواجهته للرجعية وللنفوذ الاستعماري في المنطقة. إضافة إلى استفادتها من الماركسية. وهذه التأثيرات كانت مهمة عصر كامل، وهي تجربة حاولت الرد على أسئلة كانت مطروحة ولا تزال، في اتجاه البحث عن طريق للتنمية والتحديث والاستقلال الوطني. وبمعنى آخر فإن ثورة «ظفار» ليست إلا محاولة للتغيير، اصطدمت بأوضاع معقدة. ولأن قوانين التغيير جزء أساسي من قوانين الحياة، فلا بد من تأملها للاستفادة منها في المستقبل، وهي تجربة أجهضت تحت ضغط عوامل وتناقضات عدة، بين التقليدية والتحديث، وبين الأنانية الفردية والجماعية، وبين صورة الاستقلال الوطني عندما تتناقض مصالحه مع النفوذ الأجنبي ومؤامراته ومصالحه. لدي تجربة قديمة في هذا الموضوع، حدثت عام ١٩٧٩م حيث عملت على سيناريو عن ثورة القرامطة بالتعاون مع السينمائيين السوريين عمر أميرلاي ومحمد ملص، وللأسف لم يخرج هذا العمل إلى النور في شكل فيلم، وأفكر جدياً في الاشتغال عليه من جديد في شكل روائي، لكن ما عطلني هو أنني وجدت أن «ثورة ظفار» وأحداثها أكثر قرباً من لحظتنا الراهنة.

[الكاتب المصري: إبراهيم أصلان، مجلة الوسط، العدد: (٤٥١)]

أخلاق أمريكية في مهمة إنسانية

أظهر تقرير عن تحقيق عسكري نشره البنتاجون رسمياً أن جنوداً أمريكيين من قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في كوسوفا أساؤوا معاملة مدنيين (من خلال انتهاك المبادئ الأساسية لكرامة البشر).

وأفاد التحقيق الذي قام به الكولونيل جون مورجان أن عناصر من الوحدة الأمريكية خالفوا التعليمات العسكرية وعمدوا إلى (مضايقة واستجواب وإهانة وضرب ألبان). واعترف التقرير بوجود عدد من الحوادث التي تعرضت لها نساء من كوسوفا؛ حيث قام بعض الجنود بملامسة عوراتهن إضافة إلى شكاوى من إجراء عمليات تفتيش غير ملائمة. كما قام أحد أعضاء القوة الأمريكية باغتصاب وقتل فتاة ألبانية عمرها ١١ عاماً!!

[جريدة البيان، العدد : (٧٢٩٩)]

بذور الشر

الصورة التي يطالعها المرء في موقع «بذور السلام» على الإنترنت تبدو بريئة وجذابة إلى حد كبير، يقولون: الحكومات تصوغ المعاهدات، لكن الناس هم الذين يصنعون السلام. وحركة بذور السلام تفعل ما لا تستطيع أي حكومة أن تقوم به، إنها تغرس بذور ذلك الحلم الجميل في أعماق الأطفال الذين شبوا وسط أهوال الحرب، فتعلمهم كيف يتعايشون مع بعضهم بعضاً، وكيف يتبادلون الثقة فيما بينهم على نحو يمتص أسباب الصدام والصراع، ويُمكِّن الذين أعمتهم الكراهية من أن يبصروا الوجه الآخر، الإنساني لأعدائهم. في موضع آخر يقولون: نحن منظمة أهلية غير رسمية، ومحايدة، ولا شأن لنا بالسياسة، وكل مرادنا أن نساعد صبيان وصبايا مناطق الصراع على أن يتعلموا «مهارات صنع السلام»، وقد جعلنا المعسكر الذي أقمناه في غابات ولاية «مين» (في الشمال الشرقي للولايات المتحدة) مختبراً لمساعدة تلك الفئات على التفاهم والتفاعل المتبادل بعدما وفرنا جواً مواتياً لهذا الغرض؛ إذ من خلال تعليم الجميع فضائل الاتصالات واحترام الرأي الآخر، وعبر استمرار التواصل ومع استخدام تقنيات وفنون حل الصراعات؛ فإننا نتيح لأولئك الفتيان أن يتفهم ويتقمص كل منهما الآخر، إننا نسلح الجيل القادم بالأفكار والقدرات القيادية اللازمة لإنهاء دورة العنف وإقامة السلام على الأرض.

وهدفها هو الجمع بين الأجيال الجديدة من العرب والإسرائيليين، وتنقية وجدانهم من بذور «الخوف والتوجس والكراهية» في بداية عملها نجحت في جمع ٥٠ فتى وفتاة من ثلاثة أقطار شرق أوسطية، بينها «إسرائيل»، وبمضي الوقت نجحت في جذب أبناء ثماني دول بالمنطقة هي: إسرائيل، الأردن، فلسطين، مصر، المغرب، تونس، قطر، اليمن، ووصل عدد المشاركين في المعسكر الصيفي الذي أقيم في العام الماضي إلى ٤٠٠ شخص قدموا من تلك الدول، وهؤلاء تم انتقاؤهم من بين ألفي فتى وفتاة تقدموا للالتحاق بالمعسكر.

[مجلة المجلة، العدد : (١٠٧٣)]

احتمال وارد

وجدت حكومة جنوب إفريقيا نفسها مرة أخرى في صلب جدل حول مرض الإيدز بعدما وزعت نسخة عن فصل في كتاب أكد أن مؤامرات دولية ساهمت في نقل هذا الفيروس إلى القارة الإفريقية. وأكدت باتريسيا لامبرت الناطقة باسم وزيرة الصحة أن الأخيرة نقلت نسخة لهذا الفصل الوارد في كتاب يتضمن فرضيات مشكوكاً فيها إلى وزراء الصحة في مختلف أقاليم البلاد.

وفي كتابه: «هاك حصان شاحب» أكد وليام كوبر أن طائفة «إيلومييناتي» الداعية إلى تشكيل حكومة عالمية نقلت الفيروس إلى إفريقيا في ١٩٧٨م بواسطة لقاح ضد مرض الجدري للقضاء على سكان القارة.

[جريدة الحياة، العدد : (١٣٦٩٢)]

في عهد الشيخ وحيد

قام وفد إندونيسي اقتصادي رسمي يضم رؤساء شركات الصناعة والاستثمار بزيارة (إسرائيل) لأول مرة من أجل عقد لقاءات اقتصادية وتجارية، وقام الوفد بزيارة الأردن ومناطق السلطة الفلسطينية حسب تعليمات حكومة إندونيسيا؛ وذلك بهدف تفادي أي نقد من جانب العناصر الإسلامية بسبب إرسال الوفد إلى (إسرائيل)، وذلك في أعقاب زيارة وفد إسرائيلي لإندونيسيا لدراسة العلاقات الاقتصادية بين الدولتين، وقد استضافت الغرفة التجارية في (إسرائيل) الوفد الإندونيسي، وكذلك وزارتي التجارة والصناعة والخارجية واتحاد الصناعيين ومعهد الصادرات. [صحيفة معاريف اليهودية - (مترجم)]

لا يتحملون الأخلاق!!

لم يستطع حزب العمال البريطاني تحمل أعباء انتهاج المبدأ الأخلاقي في سياسته الخارجية لمدة طويلة؛ فقد صرحت مصادر بالحزب بأن زعامات الحزب قررت إسقاط هذا المبدأ في حملتها الانتخابية المقبلة. وقالت المصادر: إن شعار ربط السياسة الخارجية بالأخلاق أصبح عبئاً ثقيلاً على كاهل وزير الخارجية البريطاني روبن كوك، الذي كان قد أعلنه بعد أيام من وصول حزب العمال إلى الحكم في مايو ١٩٩٧م. وأضافت المصادر أن هذا الشعار امتلأ بالثقوب بعد رفض وزراء حزب العمال منع مبيعات الأسلحة لأنظمة حُكْم سجلُّها سيئ في مجال حقوق الإنسان. [جريدة الأهرام، العدد: (٤١٥٤٦)]

فليبكوا على حائط آخر!!

كشف عالم الآثار اليهودي (إبراهام برانيس) الذي قضى معظم حياته في إجراء حفريات حول القدس وعلاقتها باليهود إلى استنتاجات غاية في الخطورة تقول: إنه لا يوجد أي دليل على وجود ما يسمى بـ «حائط المبكى». وقال عالم الآثار في تصريحات أدلى بها مؤخراً: « إنه في المكان الذي يدَّعي اليهود الآن أنه حائط المبكى والملاصق لسور المسجد الأقصى لا يوجد شيء اسمه حائط المبكى». [جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٥١)]

تعليق على الأحداث

لا تتركوها وحيدة!!

لم تكن المجزرة التي قام بها الصهاينة في حق المسلمين في المسجد الأقصى المبارك - بعد زيارة «أريل شارون» - لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة في صراعنا مع يهود، مواقف اليهود لا تستغرب؛ لكن الذي نستغربه الآن هي تلك الحال التي وصل إليها المسلمون في تفاعلهم مع مذابح الأقصى، مع تهويد القدس، مع ضياع فلسطين. كانت الأحداث تجري في الأرض المقدسة، تجري معها أعين المسلمين تتابعها، كان الدم يقطر من جريح واحد، تفور له دماء المسلمين، غضبة وحزناً، كان الخطيب يخطب والكاتب يكتب والمتظاهر يُظهر غيرته على بلاد الإسلام وحرماتها المنتهكة، يندد العلماء، تشجب الحكومات، تعترض النقابات، كان الكل يتفاعل مع الحدث هناك، ومع هذه المذبحة لم تكن هذه الصورة كما هي! بالرغم من أن فلسطين كما هي، واليهود كما هم، والقتلى والجرحى كما هم كذلك. ما الذي حدث للمسلمين؟! كنا نظن أن تفاعلهم مع الأحداث مرتبط بمدى التأثير الإعلامي وحجم الصور المنقولة، كما حدث مع البوسنة والصومال والشيشان، ولكن الأمر قد ازداد سوءاً، فالصور المعروضة عليهم أيضاً كما هي من عشرات السنين. إن دلالات كثيرة تحملها إلينا الأحداث، ونخشى أن يكون أشدها: موت الإحساس بداخلنا تجاه إخواننا ومقدساتنا. ونخشى نسيان القضية بآلامها المريرة بعد هدوء العاصفة، ولا نفيق ولا نمد لها يد العون إلا مع مجزرة أخرى وقتلى آخرين، فنتكرم عليهم ببعض دموعنا وبعض من حسراتنا المؤقتة وبعض من أحاديثنا، ونحسب أننا قدمنا شيئاً بهذه المشاركات الكبيرة!! وإن كان الشعار السياسي المخزي الذي ترفعه كثير من الدول العربية «التسوية» لم تغيره تلك الأحداث بجسامتها!! إلا أن هذه المواقف لا تعبر عن أحاسيس الأمة، لكن الذي نخشاه ونحزن له أن يتحول واقع كثير من المسلمين اليوم شعاراً جديداً بعنوان: «لفلسطين رئيس يحميها»!!

العولمة الدينية.. دعوة خطيرة

في سابقة خطيرة وقبل القمة الألفية التي جمعت زعماء العالم، عُقد في الأمم المتحدة ما سمي بمؤتمر الأديان، ولم ينل هذا المؤتمر حظه من التغطية الإعلامية، فيبدو أنه كان مقصوداً أن تكون هناك «تغطية» كاملة على أعمال المؤتمر فلا يظهر منه شيء. انطوى المؤتمر على دعوة كفرية انتهت بتوقيع زعماء العالم الدينيين على أن كل الأديان سواء!

ولم يحدد المنظمون معنى الدين بشكل من الأشكال، وكان الاتفاق الضمني أن الدين هو ما تعتقد أنه دين، وحدد المنظمون شرطين فقط لمنع ازدحام المؤتمر - بعد هذا التعريف المائع - فاشترطوا للمشاركة في هذا المؤتمر ألا يقل عمر هذا الدين عن ١٠٠ سنة، وألا يكون مؤسس هذا الدين على قيد الحياة!!

ولا يخفى على مسلم أن دين الإسلام خاتم الأديان وأفضلها، وأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره، وأن مساواته مع غيره من الأديان حتى السماوية منها التي سبقته كفر؛ إذ هو ناسخ لها، فكيف بأديان أتت بعده.

وإن كان هذا عجيباً، فالأعجب من هذه الدعوة: مشاركة بعض المنتسبين إلى العلم في بعض بلاد الإسلام في هذا المؤتمر الكفري العالمي، وتوقيعهم على ما اتفق عليه من هذه المساواة الشائنة.

والأكثر من ذلك: شعور أحد المفتين في بلاد الإسلام بخيبة الأمل الكبيرة لعدم مشاركة «الدلاي لاما» البوذي في هذا المؤتمر لأسباب سياسية - وحزنه لذلك كثيراً!! فإذا كان الدين - على حد قوله - لا يتدخل في السياسة؛ فلا ينبغي للسياسة أن تتدخل في الدين.

إن تبني الأمم المتحدة لهذا المؤتمر خطوة خطيرة لعولمة الأديان تسعى لتذويب ما تبقى للمسلمين من دينهم في ديانة عالمية جديدة، فانتبهوا معاشر المسلمين! فلم يبق لنا إلا ديننا، فإنه وإن تمت عولمة المسلمين وهم مجبرون في كافة شؤونهم؛ فإن للدين شأناً آخر.

أمّ الكاثوليكية.. كم أنت بغيضة!!

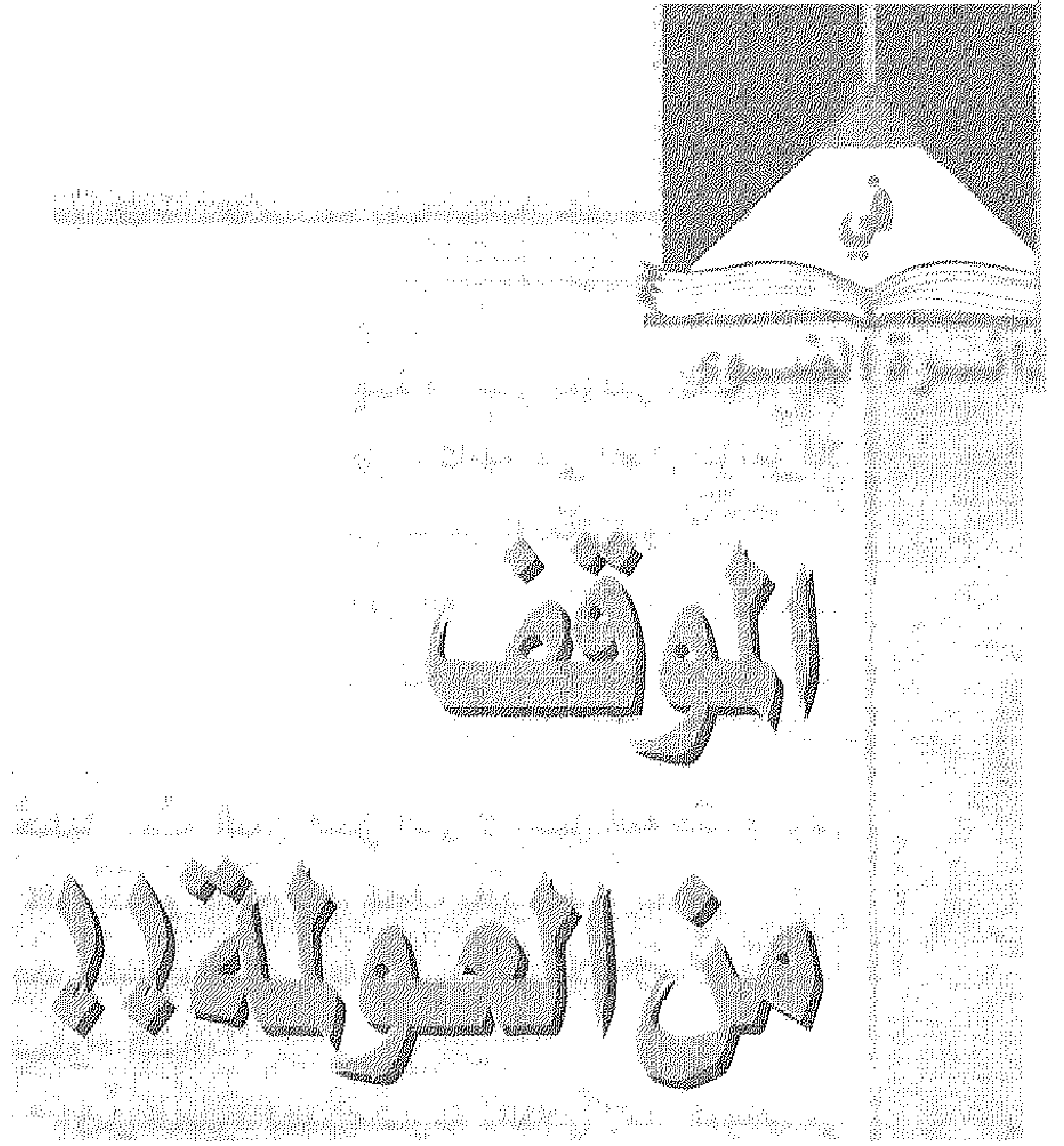
ما زالت فرنسا على عهدها مع ديننا وعدائها الشديد للإسلام والمسلمين، وفي الفترة الأخيرة وخلال أسبوع واحد فقط كان لفرنسا مع المسلمين في بلادهم وفي بلادها ثلاثة مواقف لافتة للنظر:

- الموقف الأول: عند دخول طالبة مصرية مدرستها الفرنسية المتوسطة في مدينة الإسكندرية وهي مرتدية الحجاب - إيشارب -!!، اعترض مدير المدرسة؛ لأن هذا الحجاب محظور في المدارس الفرنسية حتى لو كانت خارج فرنسا، فهي خاضعة لنظام التعليم الفرنسي في المدارس الفرنسية، فهو لا يريد تمييزاً بين الطالبات بحجابها المرفوض؛ وقد تم فصل الطالبة من المدرسة وأشقائها - الذكور - الثلاثة!!.

- الموقف الثاني: في مدرسة بنات ثانوية فرنسية - أيضاً - في أبو ظبي، تم توزيع كتاب مقرر على الطالبات تحت عنوان «زهرات الشر» غلاف الكتاب يحمل صورة لفتاتين مخمورتين وعاريتين تماماً وتمارسان الشذوذ، هذا الغلاف!!! أما المضمون: فهو دعوة تفصيلية لممارسة هذا السلوك الذي تترفع عنه الحيوانات، وسوّغ المستشار الثقافي للسفارة الفرنسية في أبو ظبي ذلك بأنه منهج جديد لهذا العام، ولم يكن لديه علم به!!

- الموقف الثالث: في قلب فرنسا بلد الحرية والثقافة، وبالتحديد في مدينة نيس «جنوب فرنسا» رفض جاك بيرا، رئيس البلدية السماح للمسلمين هناك ببناء مسجد، وقال: إن المساجد التي هي أماكن للعبادة يصعب تصورها في جمهورية علمانية، لدينا حصة كافية من قبائل المسلمين في فرنسا، ولا أرغب في المزيد.

سبق تلك المواقف أكبر منها وأكثر وستتلوها مثلها وأكثر منها كذلك، هذا يقين؛ فتاريخ أمِّ الكاثوليكية مع إسلامنا مرير، بيد أننا نهيب بالمسلمين الذين يضعون بناتهم في أحضان هذه الأم أن يفيقوا لأنفسهم.



الموقف من العولمة!!

د. زيد بن محمد الرماني

استحوذت العولمة على أوسع اهتمام في أدبيات العالم العربي الاقتصادية والثقافية والسياسية والتربوية والإعلامية والتقنية، وسيتضاعف هذا الاهتمام في القرن الحادي والعشرين الذي ستصبح العولمة من أبرز مظاهره، والأكثر تأثيراً على صياغة ملامحه وقسماته وتضاريسه.

إن العولمة التي أصبحت لغة دارجة في الأدبيات المعاصرة ما زالت تعاني من بعض الغموض؛ فهناك غموض فيما يتعلق بمعنى العولمة وبحقيقتها: فهل هي ظاهرة حياتية جديدة، أم مجرد موضة فكرية طارئة مصيرها للزوال؟ وهل هي حركة تاريخية ستستمر في النمو، أم هي فقاعة من الفقاعات التي ولدت لتموت؟!

وهناك غموض فيما يتعلق بنتائج العولمة ومترتباتها بالنسبة للواقع العربي؛ فهل العولمة حالة صحية، أم مرضية؟ وهل هي حركة استعمارية، أم تحريرية؟ هل ستصب في سياق الاستقلال والذاتية، أم التبعية والاستتباع؟!

ثم هل المطلوب منا الانغماس فيها، أم الانكماش عنها؟ هل ستحتوينا، أم سنحتويها؟ هل ستزيدنا تقدماً أم ستضاعف تأخرنا؟!!

إن مؤلفات: مثل كتاب: «نهاية التاريخ» لفوكاياما، وكتاب: «صراع الحضارات» لهنتنجتون وكتاب: «صعود وهبوط الإمبراطوريات» لبول كيندي، وكتاب: «الموجة التالية» لتوفلر، وكتب أخرى من تلك التي برزت خلال السنوات الأخيرة، تأتي ضمن سياق المشروع الفكري في الدول المتقدمة لفهم العولمة والكوكبية الاقتصادية، باستكشاف آفاقها وفرصها وتحدياتها ومساراتها المستقبلية.

يقول د. محيي محمد مسعد في كتابه: «ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق»[1]: إن الكتابات السابقة تشكل درجات عالية من الوعي بالعولمة (اللحظة الحضارية القائمة).

(١) ص ٤٣.

لقد كان ملفتاً للمتأمل ما تعرضت له العولمة من نقد صارم وعنيف برهن على تخوفات حقيقية ؛ فالأمم والحضارات ليست على استعداد للاستتباع الحضاري لتيار العولمة الجارف، وما أطلقته من أحلام وردية ووعود سحرية تخفي وراءها أضراراً خطيرة، كالتي حاول أن يصورها كتاب « العولمة والجنوب »[1] لكرولين طوماس وبيتر ولكين، الذي اعتبر العولمة آلية لتكريس الفوارق بين الشمال المتخم بالغنى والجنوب الذي يعاني من الفقر المدقع.

أو التي صورها كتاب « العولمة : النظرية والممارسة »[2] لمؤلفيه : إلينور كوفمن وجيليان ينغز؛ حيث اعتبر أن ظاهرة العولمة قد دشّنت عهداً فظاً من العدوان على البيئة، كان من مظاهرها انتشار التلوث وتآكل طبقة الأوزون، وانكماش التنوع الأحيائي، والهدر في مصادر الطاقة.

أو الذي تحدثت عنه فيفيان فورستر في كتابها : « الرعب الاقتصادي »[3] حيث عرضت السؤال الآتي : ما الذي يحصل عندما نعلم أنه ليس ثمة أزمات، بل مجرد تبدل وتحول يقودان مجتمعاً بأكمله، بل وحتى حضارة بأجمعها إلى المجهول؟!

وقد انتقد هذه الأصوات الغاضبة آلان ميك في كتابه : « العولمة السعيدة »[4] الذي حاول أن يقدم العولمة على أنها ليست شراً أو خيراً في ذاتها، ولا داعي للإفراط في وصفها بالوحشية أو الفتك والرعب ونشر الأجواء المفزعة حولها.

ومن ثم فإن البشرية بحاجة إلى تكوين وعي عالمي له خاصية الاتصال والتواصل على الأصعدة والمستويات المختلفة، لمواجهة المخاطر والتحديات التي يتأثر فيها العالم كله، مثل : ظاهرة العولمة ومشكلات البيئة والتلوث، والاحتباس الحراري، وقضايا الصحة والسكان والفقر والمجاعة ونقص الغذاء والمياه.

يقول زكي الميلاد في كتابه : « المسألة الحضارية : كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟ »[5] : إن المشكلة الحقيقية ليست في العولمة، وإنما جذر المشكلة في تباين مستويات التطور الحضاري في العالم، الذي يجعل من

---

(١) كرولين طوماس وآخر « العولمة والجنوب » ص ٣٠.

(٢) إلينور كوفمن وآخر « العولمة النظرية والممارسة » ص ٢٢.

(٣) فيفيان فوستر « الرعب الاقتصادي » ص ٧.

(٤) آلان منك « العولمة السعيدة » ص ٦٢.

(٥) زكي الميلاد « المسألة الحضارية » ص ٣٨.

الغرب الطرف المستفيد من هذه العولمة، باعتباره أنجز مشروعه في التقدم.

والمشكلة مع الغرب أنه حوَّل مشروعه في التقدم إلى تكريس التبعية وضبط آليات السيطرة على العالم.

فالمواجهة الحقيقية للعولمة هي عن طريق الإنماء والبناء وإنجاز مشروعات التقدم والعمران.

يذهب صادق جلال العظم في مقالة له بعنوان: «ما هي العولمة؟»[١] إلى أن العولمة هي عقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ.

ويشير محمد عابد الجابري في مقالة له بعنوان: «العولمة والهوية الثقافية»[٢] إلى أن العولمة هي ما بعد الاستعمار، وأنها مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي يعكس إرادة الهيمنة على العالم.

وفي مقالته: «أصل العولمة وفصلها»[٣] يقول جورج طرابيشي: إن مفهوم العولمة لم يعرف الاستقرار بعد، وتبقى العولمة هي الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين أو لبداية القرن الحادي والعشرين.

هذه العولمة، إذن، إنما تخدم مصالح وأفكار الطرف القوي في العالم، وتطمس الأطراف الأخرى، وهي ليست العولمة التي يحتاجها العالم في هذه المرحلة، أو التي يتطلع إليها مع القرن الحادي والعشرين.

فهذه العولمة - التي عبر عنها الغرب - ترتكز على الانتفاع المادي والجشع الاقتصادي واحتكار الثروات ورفع القيود عن الأسواق والبضائع وامتصاص الأموال، وهذه الأمور هي من أكثر العوامل سبباً وتحريضاً على النزاع والصدام والصراع.

إن عولمة الغرب اقتصادية في الأساس تتوخى الربح والنفع المادي؛ والأبعاد والحقول الأخرى التي ارتبطت بها كالثقافة والاجتماع والتربية والإعلام وغيرها إنما وظفت لذات الغاية الاقتصادية النفعية.

إن الخوف الحقيقي على هويات العالم وثقافاته من اكتساح العولمة الغربية وفرض الاتجاه الواحد جاء نتيجة وجود الضعف والضمور في بنية بعض تلك الهويات والثقافات وتكويناتها، مما يستدعي ضرورة التجديد

---

(١) د. صادق العظم «ما هي العولمة؟»، ص ٣٤.

(٢) د. محمد عابد الجابري «العولمة والهوية الثقافية»، ص ٢.

(٣) جورج طرابيشي «أصل العولمة»، ص ١٦.

الداخلي لمزيد من الحماية والمناعة والتحصين[1].

ومن ثم، فإن العولمة التي يحتاج إليها العالم هي العولمة التي يشترك الجميع في صنعها وصياغتها لا أن ينفرد طرف واحد بها ويسخِّرها لصالح امتيازاته، ووفق فلسفته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

وإذا كانت العولمة قد قوبلت في العالم باعتراضات شديدة وانتقادات قاسية، فلأنها تخدم طرفاً واحداً، وتعبِّر عن رؤية هذا الطرف وهو الغرب.

إن العولمة تضع أمام المفكرين المسلمين سؤال المستقبل عن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر الذي تجد فيه الأمم والحضارات خياراً واتجاهاً مقنعاً وفعالاً ومختلفاً عن الخيار والاتجاه الذي يفرضه الغرب على العالم.

والمستقبل ليس مفتوحاً على الغرب فحسب، بل هو مفتوح على كل الثقافات والأمم والحضارات وبحاجة إلى اكتشاف جديد في زمن زحف العولمة.

إن الأدبيات الإسلامية والعربية في هذا الوقت مطالبة وبإلحاح لتكثيف الحوار والمناقشة والتباحث حول المشروع الحضاري الإسلامي،

"إن العولمة تضع أمام المفكرين المسلمين سؤال المستقبل عن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر"

والآلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإعلامية والفكرية التي تتناسب مع إمكانات وقدرات كل دولة.

وأخيراً، فإن العولمة تستدعي من الأمم والحضارات أن تجدد نظرتها إلى العالم وتعيد تقويمها حضارياً فهل ستكون العولمة آخر مطافات الغرب؟ أم أنها ستكون قاعدة انبعاث الحضارات الأخرى؟

هذا يعني أن للعولمة أسئلتها الصامتة والمتجددة، وأنها ستفتح أكثر من احتمال على العالم والمستقبل.

ورغم ما سبق، فإنه سوف يستمر الجدل الذي يختلط فيه المعقول باللامعقول، والحقائق بالأوهام، والوقائع بالافتراضات، والموافق والمخالف، في قضية العولمة!!

---

(١) ميكل تومبسون وآخرون «نظرية الثقافة» ص ١٠، ١١.

ظاهرة القلق.. الأعراض والعلاج

لطف الله خوجه

نسمع أن في الغرب أعداداً هائلة من المصابين بالقلق والاكتئاب يضطرون لزيارة عيادات الصحة النفسية بصفة دورية، وليس غريباً أن يكونوا كذلك، لكن الغريب أن نسمع عن مثل ذلك بين المسلمين؛ فأعداد المترددين على العيادات النفسية في ازدياد، وقد سمعنا منذ فترة أن شاباً مات منتحراً، فَلِم يحدث مثل هذا عند المسلمين، وهذا القرآن والنور النبوي بين أيديهم، والعلماء الصادقون لا يبخلون عليهم بنصيحة؟ أظن أن السبب هو الإغراق في الماديات.

فالغربيون مبدؤهم وحياتهم وأهدافهم كلها مادية، وليس لهم عناية بالجانب الروحي، وهذا هو السبب في شقائهم، والمسلم الذي يبالغ في العناية بجسده مع إهمال روحه يعتريه ما يعتري الكافر من ضيق واكتئاب وحاجة ملحة إلى زيارة العيادات النفسية بصفة دائمة. إن الإنسان مخلوق من مادة جامدة أرضية محصورة في نطاق معين، ومادة لطيفة روحية تسيح في العالم بلا حدود، وكل من هاتين المادتين تحتاج إلى عناية خاصة؛ فالعناية بإحداهما دون الأخرى تنقص إنسانيته، وذلك ينعكس سلباً على راحته.

وأكثر الناس اليوم يغلِّبون جانب المادة الجامدة (الجسد) فيسري هذا الجمود إلى المادة اللطيفة (الروح) فتصبح كذلك جامدة محصورة في حدود الجسد، فيفقدون إنسانيتهم ويصبحون قوالب حجرية لا تقبل التمدد؛ وترفض التوسع والانشراح.

وأساس الراحة والطمأنينة الانشراح والسعة، وتلك القوالب الحجرية الجامدة تمنع من ذلك فيحدث الضيق والقلق والاضطراب، فهذه نتيجة العناية بالمادة الجامدة مع إهمال المادة اللطيفة.

لكن العناية بالروح والجسد - كل بقدره - يفسح المجال أمام هذه المادة اللطيفة أن تعانق العالم العلوي، وأن تسري في مجال الكون الرحب الواسع، تنظر فيه وتتأمل حقائقه، وترجع بالعبر المفيدة، والفوائد العجيبة، دون مانع أو قيد يكون من الجسد، بل ربما سرت لطيفة الروح إلى الجسد فيزول عنه الجمود، وذلك مما يشرح الصدر وينفس الكربات، ويزيل عن البدن أمراضه وعلله، وهذا حال من أعطى كل شيء حقه، فلم يهمل حاجات الروح مقابل حاجات الجسد، قال الله - تعالى -: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

إن الإنسان نصفه روح ونصفه جسد، فمن صار غايته في جسده لم يعد إنساناً، أرأيتم في يوم ما نصف إنسان، ليس له إلا عين واحدة وأذن واحدة، وشق فم، وشق أنف، وشق وجه وشعر، ويد ورجل واحدة؟ هل رأيتم صورة بشعة كهذه؟ فهذا مثل من جمد ولم يلطف. من نظر إلى جسده

ولم يلتفت إلى روحه هو نصف إنسان في كل شيء، لم يعرف من إنسانيته إلا الجمود والتحجر والقسوة والغلظة، فأنّى لمثل هذا أن ينعم أو يطمئن؟ إنه يخالف إنسانيته وطبيعته وخلقته التي خلقه الله عليها، ومن رام مخالفة الإنسانية أو كسر الطبيعة أو تغيير الخلقة الربانية انكسر وتشتت وضاع، وأحاط به القلق والاكتئاب، فيبحث عن المخرج فلا يجده إلا في الانتحار، بعد يأسه من عيادات الطب النفسي أن يجد فيها الطمأنينة والانشراح.

إن الله ـ جل شأنه ـ عندما خلقنا في هذه الدنيا لم يخلقنا هملاً، بل خلقنا لغاية، وهذه الغاية باختصار أن نعبد الله وأن ندعو الناس إلى عبادته، ومن لازم ذلك عمارة الأرض بالقدر الذي يحقق تلك الغاية، وهذه العبادة منسجمة غاية الانسجام مع إنسانيتنا؛ فالعبادة تلبي حاجة الروح. قال ـ تعالى ـ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]، والعبادة لا تحصل إلا بعمارة الأرض بالسعي في الرزق وإعداد القوة لإرهاب العدو، وتلك تلبي حاجة الجسد. قال ـ تعالى ـ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وبذلك تكون الإنسانية متكاملة متوازنة فتستقر الحياة، وتحلو اللحظات، ويزول عنها أسباب القلق، فأنّى للقلق أن يغزو الإنسان إذا صار مدركاً لأهمية التوازن في الحياة بين حاجات الروح والجسد؟ ولا يحقق هذا التوازن إلا المؤمن، ولذا فإنه يعيش حياة طيبة مطمئنة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] بعكس الذي يقدم حاجات الجسد فإنه يختل ميزانه، وتختفي حدود إنسانيته فيدركه الشقاء، كالبقال الذي لا يملك ميزاناً يبيع به، وصاحب الأرض الذي لا يعرف حدود أرضه، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

تقولون: قد عرفنا وسمعنا مراراً ما تقول؛ فاذكر لنا المخرج من هذا المأزق الذي نقع فيه دائماً، مع معرفتنا أهمية العناية بالروح وأنه سبب السعادة إلا أننا ننساق وراء الجسد فنشعر بخيبة الأمل والضيق يحاصرنا في كل مكان؛ فلا نحن الذين علمنا فسعدنا، ولا نحن الذين جهلنا فاعتذرنا بجهلنا!

فالجواب أن نقول: لا تُنال الثمرة بالأماني والأحلام، إنما تُنال بالعمل والجد والصدق؛ فنحن نعلم ونسمع دائماً مثل هذا الكلام، لكن من الذي يعمل له؟ إننا نريد أن يدخل الاطمئنان في قلوبنا والعيش الهنيء بمجرد أن نسمع ونعلم دون أن نعمل، وهذا خطأ، فلم يكن الإنسان ليبلغ الرزق بلا سعي، ولم يكن له أن يرزق الولد بلا زوجة، ولم يكن له ليُشفى من المرض بلا دواء، وكذا لم يكن له ليطمئن وينشرح صدره بلا عمل صالح وذكر دائم؛ فحاجات الروح كحاجات الجسد، وهل يستغني المرء عن الطعام يوماً؟ هل يستغني عن اللباس وقتاً؟ هل يستغني عن المسكن لحظة؟ كذلك لا يستغني عن الذكر والعمل الصالح؛ فهو محتاج إليه أعظم من حاجته إلى الطعام والماء واللباس والمسكن بل والهواء؛ فإن حاجات الجسد إذا امتنع منها فإن غاية ما في الأمر هلاك نفسه وبدنه، لكنه إذا امتنع من حاجات روحه خسر الدنيا والآخرة، وكان في جهنم معذباً لا يموت فيها ولا يحيا.

هذا العالم المادي بدأ يجمع ما تناثر منه في الحقبة الماضية ويعود إلى رشده بعد إلحاده ويقر بأن عبادة الله هي المنجاة من كل الأمراض الجسدية والروحية، وعلماء العالم الماديون يعقدون كل سنة اجتماعات مكثفة لدراسة تأثيرات العبادة والذكر على

البدن، ويخرجون بتوصيات تتفق مع ما جاء به الإسلام من أهمية العناية بالعبادة وخطورة الإغراق في الماديات؛ فهؤلاء أصحاب المادة والعلم المجرد والإلحاد يقولون هذا، رجعوا عن إلحادهم بعد أن ذاقوا ويلات مخالفة الطبيعة الكونية ومحاولة كسر الخلقة الربانية، وعرفوا أن الطريق الصحيح هو انسجام الجسد مع الروح لا طغيانه عليه؛ فهل نحن بحاجة إلى اعترافاتهم ليؤمن بعضنا بما جاء عن ربنا؟ نعم! فإن بعض المسلمين ـ وهذا ما يؤسف له ـ لا يؤمن ولا يطمئن إلى الحقائق الكونية والشرعية إلا إذا جاءت عن العالم الغربي المادي، وهذا نوع من الانهزامية والتبعية المقيتة التي تشكك في إيمان المسلم وتجعله عرضة للتقلبات، لكن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فنحن نؤمن بما جاء عن الله ـ تعالى ـ على لسان رسول الله ﷺ ولو لم يأتنا دليل غيره، فما جاءنا عن الشرع كافٍ في حملنا على الاتباع؛ فثقتنا بربنا ـ سبحانه ـ وبرسول ربنا ﷺ أعظم من كل شيء.

ثم إننا ننبه إلى أمر هو غاية في الأهمية؛ فعندما نقول: إن العبادة تبعث على السعادة والطمأنينة لا نزعم أن الدنيا تصبح جنة كجنة الآخرة، ينتفي منها كل مظاهر الألم والحزن، لا، بل الذي ينتفي هو دوامه ولزومه.

أما الألم فهو موجود في الدنيا ولا بد؛ لأن الله ـ تعالى ـ خلق دارين: دار الدنيا وهي مزيج من الخير والشر، ودار الآخرة وهي إما خير محض وذلك في الجنة، وإما شر محض وذلك في النار، فما دمنا في الدنيا فلا بد إذن من الألم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، لكن الفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن موعود بالثواب على الصبر، وعنده من العلم الإلهي ما يملأ نفسه صبراً ورضىً؛ فما من ألم يصيبه إلا ويكون كفارة له أو رفعاً لدرجته، ومهما صبر على المصائب فإنها تنقلب في حقه هي بذاتها نعمة لما كان محتسباً، يقول ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا أذى ولا همٍّ ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها خطاياه»(١) وقال: «إن عِظَمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط...»(٢).

أعراض القلق:

لا يسلم الإنسان من الهموم؛ لأن الله خلقه على هذه الصفة، قال ﷺ: «أصدقها ـ يعني الأسماء ـ حارث وهمَّام»(٣) فهذان الوصفان ينطبقان على الإنسان، فهو حارث يسعى في رزقه، وهو همَّام يهتم لما يريده. والهموم على نوعين: هموم دنيوية، وهموم أخروية، فأشرفها الأخروية، ولا يمكن علاجها، وأما الدنيوية فيمكن علاجها، وهي إما أن تتعلق بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، أما الهم المتعلق بالماضي فإن سببه الإخفاق في عمل ما، أو الألم من إساءة الآخرين، أو طلب الانتقام من المعتدين، أو الشعور بنكران الجميل من القريبين، وأما الهم المتعلق بالحاضر فإن سببه الشعور بالنقص في الذات، وعدم الثقة بالنفس.. وأما الهم المتعلق بالمستقبل فإن سببه الخوف من الإخفاق في عملٍ ما، والخوف على النفس من الأذى، وعلى الرزق من الضياع.. هذه أهم أسباب القلق، ومعرفة السبب أول العلاج.

فأما الهموم المتعلقة بالماضي: فعلاجها النسيان؛

(١) رواه البخاري، ح/٥٢١٠.

(٢) رواه الترمذي، ح/٢٣٢٠.

(٣) رواه أحمد، ح/١٨٥٨.

فالرجل الذكي هو من يعيش دقائق ساعاته دون أن ينبش ما في الماضي؛ فإن حوادث الإساءة والتعدي ونكران الجميل والإخفاق أمور شائعة في كل مجتمع لا نتخيل العالم بدونها؛ فإن الناس جائرون في أحكامهم إلا القليل، ومن النادر أن نجد من يعطي كل ذي حق حقه، ولذا فمن الخطأ أن نتوقع الإحسان من الإنسان في كل شيء؛ فالظلم والجهل غالبان، قال ـ تعالى ـ عن الإنسان: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] والكامل من غلبت حسناته سيئاته. إذا فهمنا هذه الحقيقة البشرية استرحنا من التألم من إساءة فلان أو ظلم فلان أو جحوده، ولو كانوا أقرباء أو أبناءاً، وليس من الحكمة أن نشغل أوقاتنا وقلوبنا بطلب الانتقام ممن ظلمونا، فأوقاتنا أثمن من أن نضيعها في هذه الصغائر، ألا يكفي أننا أضعنا دقائقنا ونحن نستمع إلى إساءتهم؟ إن قلوبنا الغضة تتألم وتمرض وقد تموت إذا نحن سمحنا لأنفسنا بإعادة التفكير في المآسي الماضية، ولا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغه الجاهل من نفسه، فالجاهل يهلك نفسه بما مضى، وعدوه في راحة مما هو فيه.. والإحسان إلى الناس عمل نبيل، ومن كان نبيلاً ينبغي له ألا ينتظر ممن أحسن إليهم شكراً أو ثواباً، بل ينتظر الثواب من الله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩] فالمنتظر ثوابه من الناس يرجع آسفاً متألماً، لكثرة الجاحدين، وقد لا يكونون جاحدين بل ناسين غافلين.

إن الرجل المثالي يفرح أن يحسن للآخرين، ويخجل من إحسان الناس إليه؛ لأن تقديم الإحسان علامة التفوّق، أما تلقيه فهو دليل الفشل. والإخفاق من طبع البشر، فلماذا نتألم من حصوله؟ إن مخترع الكهرباء أجرى مئات التجارب ولم يفلح في واحدة منها قبل أن يصل إلى التجربة الناجحة، ولو أنه توقف عند أول تجربة منها لما اخترع المصباح؛ فليس الإخفاق عيباً بل العيب في اليأس، وليس صحيحاً أن نتوقع النجاح في كل عمل.

وأما الهموم الحاضرة: وهي المستمرة في الإنسان، المتعلقة به على الدوام، وهي في العادة تكون متعلقة بشخصيته، فعلاجها الثقة بالنفس. إن بعض الناس يشعرون بالنقص، وسبب هذا الشعور أشياء متعددة، كأن يكون المرء فيه عاهة، أو غريباً عن المجتمع في لونه أو جنسه، فيدفعه ذلك إلى التقيد أو الانزواء، وهذا خطأ يولد القلق، لماذا يستحي الإنسان من شيء لم تعمله يداه؟ إن الله ـ تعالى ـ لحكمةٍ مايز بين خلقه، وكل إنسان له عقل يستطيع أن يقدم الشيء الكثير لنفسه ولأمته، ولو كان فيه نقص في بدنه. كان عطاء بن أبي رباح عالماً لا يفتي في مكة غيرُه، وقد ذكروا أنه كان عبداً أسود دميم الخلقة جداً، لكن ذلك لم يمنعه من التطلع إلى المستقبل حتى بلغ أعلى مرتبة، حتى إن الخليفة جاء وجلس بين يديه كالتلميذ يتعلم منه، وقام وهو يوصي أولاده بالعلم، واليوم نسمع برجل مؤمن عظيم يقود شعباً بأكمله وهو مشلول، وليس فيه شيء يتحرك إلا لسانه، يقودهم؛ لأنه لم يلتفت يوماً إلى عاهته ونقص بدنه؛ فالإنسان في مقدوره أن يكون شيئاً عظيماً في كل الأحوال ما دام يملك هذا العقل. إن ٩٠٪ من شؤون حياتنا صحيحة، و١٠٪ فقط هي التي تحتاج إلى تصحيح، أليس من الخطأ أن نتجاهل هذه التسعين وننتبه للعشرة؟

وأما الهموم المتعلقة بالمستقبل: فهي التي دافعها الخوف، الخوف من الإخفاق في العمل، والخوف على النفس من الأذى، والخوف على الرزق من الضياع، وعلاجها غرس الأمل والشجاعة في النفس، والتعلق بالرب جل شأنه. فلماذا نتوقع

الإخفاق؟ إذا أقبلنا على عملٍ ما فلنتفاءل؛ فالفأل من الرحمن، وهو حسن ظن برب العالمين، والتشاؤم من الشيطان، وهو سوء ظن برب العالمين، فإذا أخفقنا في أمر فلنجابه هذا الإخفاق بهدوء وضبط نفس، ولندخل العمل ونحن متفائلون نرجو أحسن النتائج؛ فإذا أخفقنا فلا بأس أن نسأل أنفسنا: ما هي أسوأ النتائج المترتبة على هذا الإخفاق؟ وما هي الحلول الممكنة؟ وكيف يمكن البدء بأفضلها؟ إن الإخفاق شيء متوقع في كل مهمة؛ ولذا يجب علينا أن نوطِّن النفس على تحمل النتائج السيئة فيما لو أخفقنا.

إن التفاؤل لا بد أن يكون رفيقنا، لكن يجب كذلك أن نتوقع الإخفاق ونهيئ أنفسنا لتقبل نتائجه، ونفكر بهدوء في أمثل الطرق التي تخفف من آثاره. إن أنجح الناس من يملك القدرة على أن يجعل المر حلواً، والإخفاق نجاحاً، وهو الذي يحتال على الأزمات فيخرج منها غانماً أو سالماً.. أما الخوف على النفس من أذى الناس فيكفي أن نعلم أن الأمور بيد الخالق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وأن الناس لا يبلغون أن يضروا أو ينفعوا ولو اجتمعوا على ذلك.. وأما الخوف على الرزق فهو خوف لا معنى له إذا علمنا أن كل إنسان لن يأخذ إلا ما قُدِّر له؛ وبدل أن يقلق الإنسان على رزقه كان ينبغي له أن يعد النعم التي يعيشها، فمهما سُلِبَ الإنسان من نعمة فقد أبقى الله له نعماً مقابلها كثيرة، فقط لننظر في أنفسنا جيداً، فإذا كان لدينا الماء الصافي والطعام الكافي واللباس الساتر والمسكن الذي يُكِنُّ فإن علينا أن ألاَّ نتذمر أبداً.

علاج القلق:

إن وسائل القضاء على القلق كثيرة ومن أهمها:

العمل؛ فالفراغ يولد الملل والقلق، والانشغال بأي عمل مفيد يقي الإنسان شر القلق، وإن خير عمل يُذْهِبُ القلق هو محاولة إسعاد الآخرين؛ فالذي يرسم البسمة على شفاه الآخرين يجد البسمة في قلبه. ولا ريب أن إيمان المسلم بالقضاء والقدر أكبر معين على تخطي حواجز الاكتئاب؛ فاسمعوا إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، فكل شيء مكتوب مقضي مقدر، فلماذا الجزع والهلع؟ يقول رسول الله ﷺ: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[١]. هذه العقيدة إذا رسخت في النفس فإن الأثر هو ما بيَّنه القرآن الكريم: عدم الأسى على ما مضى، وعدم الفرح بما يحصل، وإذا انضمت إلى هذه العقيدة ـ عقيدة الإيمان باليوم الآخر ـ فإنه لا يبقى للقلق مكان في النفس؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يورث الإنسان الرضا بما يصيبه ابتغاء ثواب الآخرة، فإن لم يكن الرضا فالصبر، والصبر مانع من القلق والملل.. **ومن أعظم مُذهِبات القلق:** توحيد الله وعدم الشرك به؛ فالمشرك هو أعظم الناس قلقاً؛ ولذا فإن الانتحار في المشركين كثير، وكلما عظم التوحيد تصاغر القلق، وكلما قلَّ التوحيد زاد القلق، ومن هنا نفهم لماذا كانت: لا إله إلا الله، هي دعوات المكروب؟ لأن القلق من الشيطان، وكلمة التوحيد تطرد الشيطان، وفي ذلك زوال القلق. يقول ﷺ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[٢]. وعن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند

(١) رواه مسلم، ح/٤٧٩٧.

(٢) رواه أبو داود، ح/٤٤٢٦.

الكرب - أو في الكرب - الله الله ربي لا أشرك به شيئاً»(١)، وقال ﷺ: «دعوة أخي ذي النون؛ إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له»(٢)، وكان إذا أكربه أمر قال: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»(٣).

وما سبب كثرة القلق بين المسلمين اليوم إلا ضعف توحيدهم، وسبب ضعف توحيدهم كثرة معاصيهم وجهلهم بأمور التوحيد، لكنهم لا يقرون بهذا الجهل؛ فالكثير يزعم أنه يعرف أمور التوحيد التي تقيه من الشرك، لا لأنه تعلَّمها، لا، بل لأنه نشأ بين أبوين مسلمين، في بلاد المسلمين، وكأن النشوء في بلاد المسلمين يهب الإنسان علماً! وما هذا إلا تلبيس الشيطان، ولو أجرينا اختباراً بسيطاً في أمور التوحيد وأمور الشرك لهؤلاء المتعالمين لوجدناهم أجهل الناس بما زعموا أنهم به عالمون؛ إذ التوحيد لا ينال إلا بالتعلم والعمل؛ فمن علم وعمل واجتنب المعاصي استراح من القلق.

إن أعظم وسيلة للشفاء من القلق هو الإيمان بالله، والمؤمن الحقيقي لا يصاب بالقلق، وآلاف من البشر المعذبين بين أيديهم الشفاء لو أنهم تطلعوا إلى رحمة الله بدلاً من أن يخوضوا معارك الحياة بمفردهم.

أما الهموم الأخروية فهي التي تتعلق بما يتعرض له الإنسان بعد الموت من عذاب القبر وأهوال القيامة وأحوال الجنة والنار؛ فهذه الأمور لا ريب أنها مقلقة ولا مخرج منها؛ فكيف للإنسان أن يسلم من الموت أو من أحوال القبر أو أهوال القيامة؟ إما إلى جنة أو إلى نار؟ يقول - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢]، وقد كان ﷺ يسأل الله الجنة، ويستعيذ به من عذاب النار وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة.

إن هموم الدنيا بمقدورنا أن نتغلب عليها، أما هموم الآخرة فمن المحال أن نتغلب عليها؛ لأنها آتية واقعة لا محالة: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، والتهرب منها نقص في العقل؛ فإن من تعامى عن هموم الآخرة يسيء إلى نفسه مرتين: المرة الأولى بتغافله عن الحقيقة، والثانية أنه يبعد عن نفسه سبباً هاماً من أسباب علاج القلق، وبيان ذلك: أن همَّ الآخرة يدفع الإنسان إلى العمل الصالح والتوقف عن العمل السيِّئ الذي هو سبب الشقاء. إذاً هموم الآخرة هي بذاتها تزيل الهموم، وهذا من أعجب الأمور.. هموم تزيل هموماً؟ نعم! إذا صار الإنسان لا يهتم إلا لآخرته، ويخاف من الخسران ومن النيران، فإنه سيقصر عن المعاصي التي هي من أهم أسباب الاكتئاب، وهو بذلك يستريح من السبب الأعظم المسبب للقلق، وفوق ذلك، فإن من جعل الآخرة همه كفاه الله هم الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «من كانت همَّه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»(٤).

وقد كان السلف - رحمهم الله - كثيراً ما يهتمون

---

(١) رواه أبو داود، ح/١٣٠٤.

(٢) رواه الترمزي، ح/٣٤٢٧.

(٣) رواه الترمذي، ح/٣٤٤٦.

(٤) رواه ابن ماجة، ح/٤٥٩٥.

لأمر آخرتهم، ولا يهتمون لشيء من أمر الدنيا، حتى كان منهم من يبول الدم خوفاً من الله، ومنهم من يصفرُّ لونه إذا قام يتوضأ، بين جباههم كأمثال رُكَب المعزَى من طول السجود، يعلوهم حزن عميق، وعيونهم تنهمر على الدوام؛ فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - كان كثير البكاء، وعمر - رضي الله عنه - في وجهه خطان أسودان كشراك النعل من أثر البكاء، وكان منهم من إذا ذكر الموت انتفض كما ينتفض الطير، وبعضهم إذا أوى إلى فراشه تقلب وتأوه، لا يأتيه النوم من ذكره للنار، وقد عُرِضَ بول الإمام أحمد حين مرضه على طبيب فقال الطبيب: «هذا رجل قد فتت الغم والحزن جوفه»(1).

القلق كما ورد في القرآن:

والقرآن الكريم يصور حال هؤلاء القلقين في معرض المدح لهم، قال - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]، إذاً فقد كانوا يقلقون ويهتمون، لكن شتان بين من يهتم لآخرته، وبين من يهتم لدنياه؛ فالأول عبد لله حقاً، والآخر عبد لنفسه، عبد للدرهم والدينار، عبد للخميصة والخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]. كذلك من أنواع الهموم الأخروية همُّ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكل من سلك سبيل الدعوة فلا بد أن يقلق ويغتم؛ لأنه يدعو الناس إلى أمرٍ أكثرهم معرضون عنه، فهو يحزن لأجل إعراضهم، وهو يتألم لأذاهم، وهو يخاف على مستقبل الدعوة، وقد كان الأنبياء يعانون من هذا النوع من القلق أكثر من غيرهم؛ لأن حياتهم كلها كانت في سبيل الله، وكل همهم كان في إصلاح الناس، ولنتصور مقدار معاناة بعضهم حين يبذل وقته ونفسه وماله وأهله من أجل دعوة قومه ثم لا يؤمن له إلا القليل، بل بعضهم لا يجد من يؤمن له، قال ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فرأيت النبيَّ ومعه الرهط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»(2)، ونوح - عليه الصلاة والسلام - يمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم إذا ركب السفينة لم يركب معه إلا القليل: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. إن قلق الأنبياء كان شديداً للغاية، وقد صوَّر القرآن لنا كثيراً من أوجه هذه المعاناة التي كانت تطوف بنبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قال - تعالى -: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٦]، وقال - تعالى -: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، أي مهلك نفسك حزناً عليهم، فمن شدة ما يصيبه من ألم وقلق بسبب إعراض قومه كاد يهم ويترك بعض ما يدعوهم إليه خشية أن يكذبوه، قال - تعالى -: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

(1) سير أعلام النبلاء، ١١/٣٣٦.

(2) رواه البخاري، ح/٥٣١١.

مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، لكن القرآن كان يخفف عنه، ويدعوه إلى التقليل من الحزن والأسف. يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وكم من آية في القرآن تبين للرسول الكريم أن مهمته البلاغ لا الهداية: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وكم من قصة قصها الله في القرآن من أخبار الأولين من أنبياء ومرسلين تسلية له على ما كان يصيبه من حزن وقلق جراء تكذيب قومه له، والله يذكّره أنه ليس بدعة في هذا الأمر، ويعده بالغنيمة والفتح القريب، ويذكر له أنواع النصر الذي أنزله على المؤمنين:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١٠، ١١١]

علماؤنا والموقف من القلق:

إن موضوع القلق كان محل عناية العلماء؛ فقد اعتنى بعضهم بجمع الآثار التي تسلي الإنسان وتذهب همومه، نجد ذلك في كتب الأذكار كالأذكار للنووي، وبعضهم أفرده بكتاب خاص، كتاب: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» و«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم، وبعضهم أفرد بعض أسباب القلق بمؤلف خاص مثل كتاب: «برد الأكباد عند فقد الأولاد» لمحمد بن ناصر الدين الدمشقي، ومن الكتب التي اعتنت بعلاج القلق كتاب: «دع القلق وابدأ الحياة» للمؤلف الأمريكي دايل كارنيجي(*)، وهو كتاب جيد في الجملة، اعتنى بالطرق العلمية والعملية لعلاج القلق، وهي طرق استفادها من تجاربه الخاصة وتجارب غيره في الحياة، لكنَّ في الكتاب عيباً لا يخفى على مسلم، هو أن مؤلفه كافر، وقد قلنا إن أساس الانشراح هو التوحيد، وأساس القلق هو الشرك والكفر؛ فكيف لكافر أن يخط للناس طريق السعادة؟! هذا مستحيل، فهذا الكاتب حشد في كتابه عشرات القصص والتجارب الحقيقية المفيدة لعلاج القلق، إلا أن كل تلك العلاجات كانت أشبه ما يكون بالمخدر الموضعي الذي يطغى على الألم بقوته لكنه لا يعالج المرض، فإذا زال أثر التخدير عاد الألم، وهكذا كان يفعل هذا المؤلف، فكل آرائه ونصائحه في علاج القلق كانت سطحية خالية من العلاج الناجع القاطع لأسباب القلق. ولعلكم لا تستغربون بعد هذا أن تعلموا أن هذا المؤلف الذي كتب كتابه هذا الذي يدعو فيه إلى التفاؤل والأمل قد مات منتحراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فأي طريق لعلاج القلق مهما كان جميلاً وتجربة صحيحة فإنه يبقى علاجاً مؤقتاً ما لم يخالطه الإيمان بالله والتحلي بدين الإسلام. والمسلم هو أَوْلى من يتصدى لهداية البشر إلى السعادة ونبذ القلق؛ فأين هو عن هذه المهمة النبيلة التي هي من أهم الواجبات المنوطة به؟ تلك هي أهم أسباب القلق وأنواعه وعلاجه، أرجو أن أكون وُفِّقت فيما قدمت وبينت، والحمد لله رب العالمين.

(*) للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ كتاب قيم بعنوان: (جدد حياتك) من خبرة ما ألف وهو قراءة جديدة وإعادة لما كتبه (كارنيجي) في كتابه المذكور لأصوله الإسلامية، وهو كتاب جيد في بابه. ـ البيان ـ

الإبداعية الجماعية

(٢-٢)

بقلم: جان كلود أبريك ترجمة: محمد بلحسن
راجع ترجمته وقدَّم له وعلَّق عليه: د. محمد أمحزون

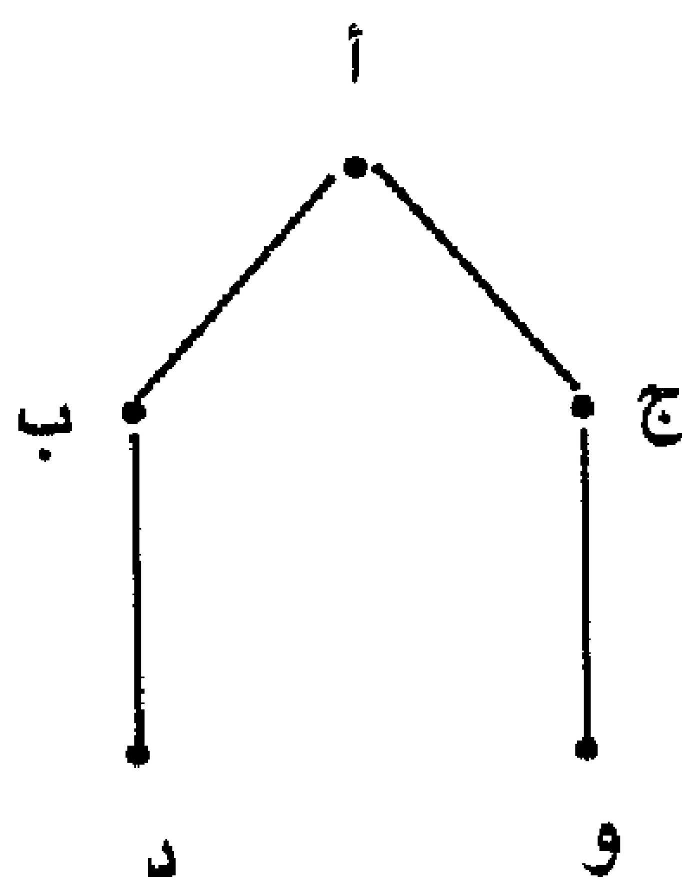
في الحلقة الماضية مهد الكاتب لمراجعته بالإشارة إلى تقدم الغربيين في «علم النفس الاجتماعي» وما هي الجوانب التي يهتم بها هذا العلم. ثم تطرق إلى مقدمة المؤلف التي تحدثت عن اهتمام علم النفس بالإبداع، وبين ماهية الجماعة التي تفضل التغيير، ثم الجماعة التي تفضل المخاطرة، وألمح إلى عدم تجانس الجماعة وأثره في الإبداعية، وانتقل إلى الكلام عن الزعامة والإبداعية، فتحدث عن الزعيم المستبد، وعن الزعيم الشوري، والزعيم الاسمي، ثم بين أنه إذا كان هدف الجماعة هو الإبداعية فالقيادة الشورية هي الأكثر إنتاجاً وعطاءاً، وفي هذه الحلقة يتابع الكاتب مراجعته القيمة. - البيان -

مهمة وإبداعية الجماعات:

الأبحاث التي سوف نعرضها الآن تدرس جميع العلاقات التي تجمع بين «طبيعة المهمة» المنجزة من طرف الجماعة و«السلوك الاجتماعي والشعوري والإداري» لهذه الأخيرة، ويتبيّن من خلال الأبحاث أن ظاهرة الجماعات محدّدة مباشرة بأربعة أنظمة معادلة، سوف ندرسها على التوالي:

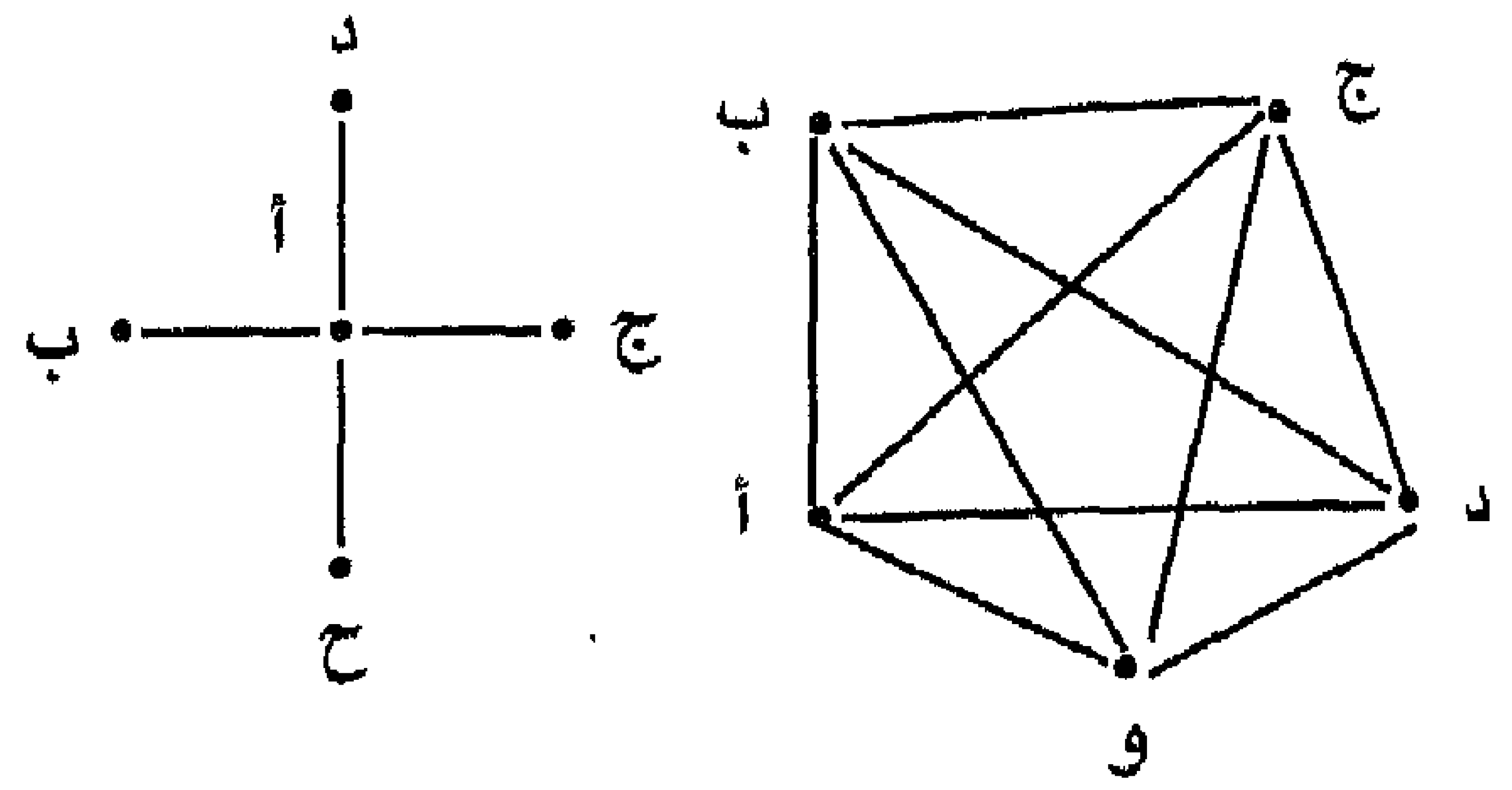
(أ) تلاؤم «نموذج المهمة» مع «شبكة الاتصال» فلامون (Flament) ١٩٦٥م:

تعني «شبكة الاتصال» مجموع الإمكانيات الحقيقية للاتصال بين أفراد جماعة ما، ويمكن تقديمها على الشكل الآتي:



الرسم رقم (١)

(١) الرسم رقم (١) يمثل شبكة اتصال ذات سُلطة هرمية، تصدر الأوامر، وتقوم عناصر الجماعة بتنفيذها.



الرسم رقم (٢) الرسم رقم (٣)

أمثلة لشبكات الاتصال

إن عدداً كبيراً من الأبحاث المنجزة في الولايات المتحدة في سنوات الخمسينيات أظهرت كيف أن قدرة جماعة على التنافس، ونوع الزعيم، والاتصالات: هي محدّدة بواسطة شبكة الاتصالات المفروضة على الجماعة. وتبدو النتائج متناقضة: لأن الشبكة المركزية تظهر أحياناً عنصراً مسهلاً، وأحياناً مشوشاً على كفاءة الجماعة.

ويرجع الفضل لفلامون في إزالة كل هذه التناقضات بإدخال مفهوم جديد لدراسة الجماعات: وهو: «نموذج المهمة».

فنموذج المهمة أُنجز بواسطة تحليل منطقي رياضي لتطوير الاتصالات الضرورية لإنجازات اجتماعية أفضل: فهو مجموع الاتصالات الصغيرة الضرورية، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المهمة. وأظهر فلامون أن كفاءة الجماعة وقدرتها على التنافس تكون أفضل عندما يكون هناك تماثل أو تطابق بين شبكة الاتصالات ونموذج المهمة. وبمعنى آخر: فشبكة الاتصالات ليست لها مميزات خاصة، وينبغي أن ترتبط دائماً بنوع المهمة المنجزة[٣]؛ فهذا هو نظام الملاءمة الأول الذي يدير ظاهرة الجماعات: تلاؤم أو تطابق «نموذج المهمة» مع «شبكة الاتصال».

(ب) تلاؤم طبيعة المهمة مع بنية الجماعة:

سوف يتحول اهتمام موسكوفيسي وفوشو (Foucheax / Moocovici) عن دراسة شبكات التواصل لينصبَّ على تحليل العلاقات الرابطة «لبنية الجماعة»[٤] وطبيعة التواصل الفعلي المتبادل داخل الجماعة.

والجماعات التي تمّ انتقاؤها للاختبار تضم كل واحدة منها أربعة أفراد، تواجه على التوالي مهمتين نوعيتين:

* **أشكال أولر** (Euler): نعرض للأفراد ألواحاً بها أشكال رسمت من خلال تقاطع خطوط وأعمدة، وهي عبارة عن مربعات منسقة. نجد في كل خانة حرفاً (أ، ب، ج) ورقماً (١، ٢، ٣، ٤)، علماً بأنه لا يسمح بتكرار نفس الحرف ونفس الرقم على الخط الواحد والعمود الواحد، وأن التوفيقات (أ ١، ب ٢، د ٣، ج ٤) غير جائزة. يطالب الأفراد باكتشاف التوفيقات: س (x) من أجل ملء الخانات. وهذه المهمة تفرض استعمال حساب رياضي من أجل بلوغ حلّ يقدّم جواباً صحيحاً واحداً.

* **أشجار ريجي** (Riguet): المطلوب من الأفراد تركيب سبعة عيدان بطريقة تمكّن من الحصول على أشكال مختلفة، يختلف كل شكل عن آخر إذا تمّ

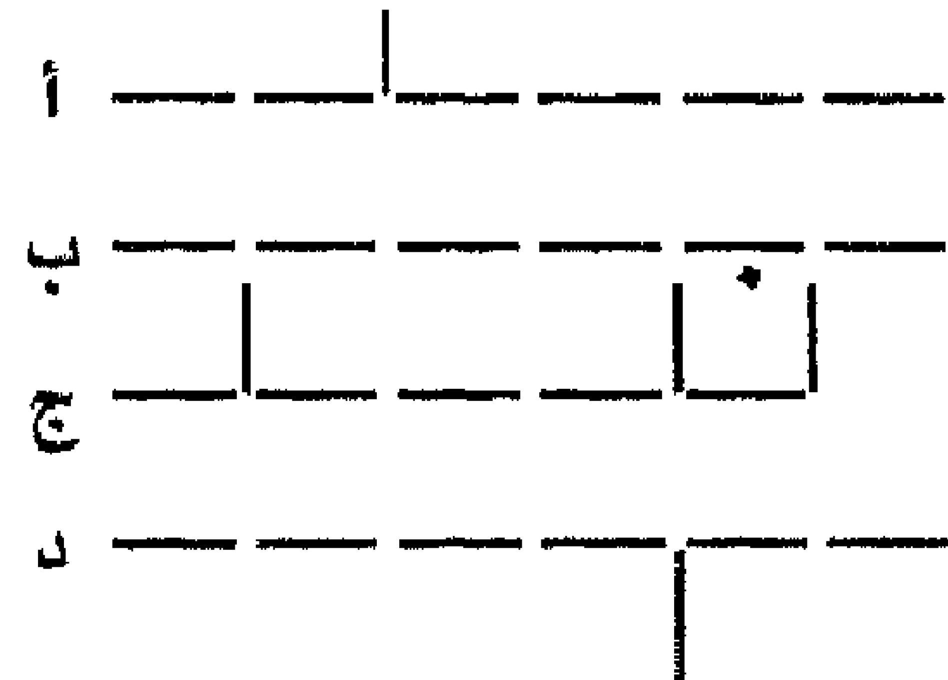
(١) الرسم رقم (٢): يمثل شبكة اتصال متفاعلة وإيجابية؛ إذ يقوم عناصر الجماعة بالاتصال بعضهم ببعض، مما يساهم في تفعيل العلاقات بينهم وإغنائها، وإذكاء روح الإبداع لديهم.

(٢) الرسم رقم (٣): يمثل شبكة اتصال مركزية؛ إذ يقوم المركز وحده بدور الاتصال بالأطراف.

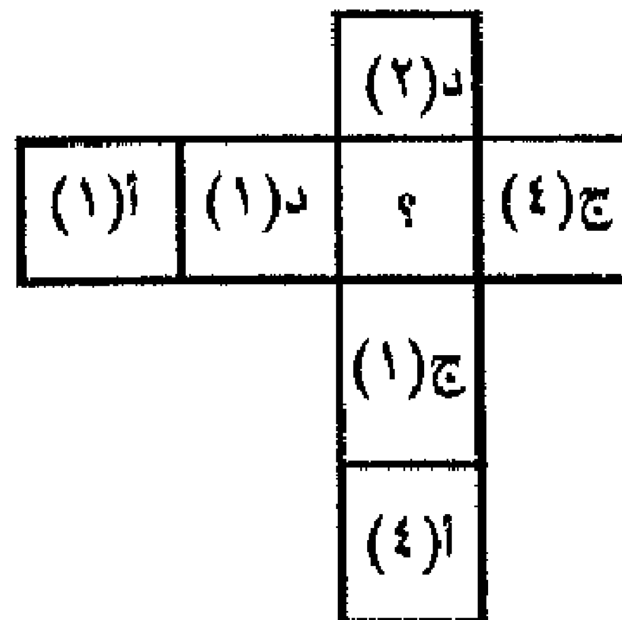
(٣) يعني ذلك أن تكون شبكة الاتصال التي تتكون منها عناصر الجماعة متفاعلة فيما بينها ومنسجمة، ومدركة تماماً لطبيعة المهمة المنوطة بها وأبعادها.

(٤) العناصر التي تتركب منها الجماعة.

تركيبه بطريقة لا تفضي بعد دورانه إلى شكل تمّ اقتراحه. وباستثناء البنيات المغلقة نستطيع تركيب ٢٣ شكلاً مختلفاً فقط. وهذه المهمة بالغة التعقيد عن سابقتها، إلى حدّ أنه لم تكشف الطريقة السليمة لاستخراج جميع الأشكال، ولذلك فهي توجب استحضار سلسلة من الاستنتاجات والابتكارات.



أمثلة لأشجار (ريجي)
(أ)، (د) متشابهان لكن أ≠ ب ≠ ج



مثال لأشكال أولر
الحل الصحيح: ب (٣)

شكل رقم (٢) المهمتان المستعملتان من طرف مسكوفيسي وفوشو.

تتطلب المهمتان من أفراد الجماعة سلوكيات معينة وخاصة؛ إذ يفترض لتأدية مهمة «حلّ المسألة» إيجاد تنظيم وتنسيق بين أفراد الجماعة؛ وذلك لما تفرضه هذه المهمة من وضع استراتيجية مشتركة بين العاملين، في حين أن المحاولات الفردية المبذولة لتأدية مهمة الإبداعية، والتي لا تخضع لتنسيق سابق بين أعضاء الجماعة لا تعيق سير العمل من بلوغ الأهداف المرسومة، بل على العكس، فإن هذا النهج هو المطلوب في هذه الحالة شريطة أن يتم تصويب هذه الاجتهادات الفردية وضبطها فيما بعد من طرف الجماعة ككل.

تختلف إذن كل من الضغوط والضرورات الإدراكية[1] للمهمة اختلافاً جذرياً، ولهذا يفترض الباحثون أن الضغوط التي تمارسها المهمة هي المحددة الفعلية لدينامية (حركية) الجماعة. «على أنه توجد علاقات متكافئة بين كل من «طبيعة المهمة» و«بنية التواصل» داخل الجماعة، ومدى قدرة الأخيرة على «حل المسألة». وتؤكد النتائج هذه الفرضيات (انظر الجدول رقم ٢ أدناه).

الجدول رقم ٢ : النتائج الأساسية لتجربة موسكوفيسي وفوتشو.

إبداعية مسألة

٣٧	٤٥
٦٠	١٩

وتيرة النجاح

	إبداعية	مسألة
بنية مركزية	٣٣ (٤)	٦٦ (٨)
بنية غير مركزية	٦٦ (٨)	٣٣ (٤)

بنيات الجماعات المحصل عليها

(١) مجموع الخصائص المحددة للمهمة.

نستنتج فعلاً أن مهمة «حلّ المسألة» تشجع على ظهور بنية مركزية للجماعة، بالمقابل فإن «مهمة الإبداعية» تقود نحو إفراز جماعات ذات بنيات متجانسة؛ بمعني أن كلّ الأفراد متكافئون، ولا توجد أية تراتبية هرمية تجدد عطاءاتهم وإنتاجاتهم.

فضلاً عن ذلك، فإن عطاء الجماعة يكون أحسن إذا ما تبنّت هذه الأخيرة علاقات تواصلية ذات بنية تلائم نوعية المهمة: «بنية مركزية»(١) عندما يخصّ الأمر مهمة «حل مسألة». و«بنية غير مركزية»(٢) في حالة مهمة «الإبداعية».

وعلاوة على ذلك، فإن كل نوع من المهمات ينتج نوعاً خاصاً من التواصل داخل الجماعة: «تواصل خطابي» موجه لمجموع أفراد الجماعة، ويحتوي أساساً على معلومات في حالة مهمة تستوجب إيجاد حلول لمسألة معينة. «تواصل متبادل» يشمل مجموع أفراد الجماعة ويتبنى توجهاً نقدياً في حالة الإبداعية.

أخيراً نستنتج أن الجماعات من أجل تحسين مستوى عطاءاتها، تغير بنيتها (تركيبتها) التواصلية بمجرد إنجازها للمهمة الأولى، وذلك لتتلاءم مع طبيعة الضغوط التي تفرزها المهمة اللاحقة.

على أن مجموع هذه النتائج يبيّن: أن طبيعة المهمة هي المحدد الفعلي والحقيقي لبنيان الجماعات، وكذا طبيعة التواصل المطلوب بين الأعضاء ونوعيته، وأن إنتاج الجماعة وعطاءها يصبح فعلياً وأكثر حضوراً على مستوى الواقع إذا ما استطاعت الجماعة اتخاذ بنية (تركيبة) تماثل (تكافئ) بنية المهمة(٣).

وهكذا فإن مستوى إنتاج الجماعة يتحدد فعلاً من خلال نظام كامل للتلاؤم: تلاؤم «طبيعة المهمة» و«بنية التواصل» داخل الجماعة.

(ج) تلاؤم طبيعة المهمة مع البنية الاجتماعية للجماعة تتميماً للتحليلات السابقة:

عملت أبحاث بواتو وفلامون: على دراسة التفاعل الحاصل بين البنية الاجتماعية للجماعة - التي تم تحديدها من خلال الاختبارات المعيارية(٤) للعلاقات الاجتماعية، وكذا الاختلافات الوظيفية لأعضاء الجماعة - وطبيعة نموذج المهمة. ولن نعرض هنا تفاصيل الترتيبات التجريبية، وكذا تفاصيل المهمة: كونها بالغة التعقيد، وسنكتفي فقط بالإشارة إلى أن الجماعات: تضم كل واحدة منها ثلاثة أفراد تربطهم علاقة تراتبية (هرمية).

وتختلف كل جماعة عن الأخرى، من حيث طبيعة بنيتها الاجتماعية.

تقوم الفرضية العامة التي قدّمها الباحثون والتي تم التحقق منها على مستوى التجربة من افتراض أن الجماعات تكون أكثر عطاءاً بشكل ملحوظ عندما تتلاءم بنيتها الاجتماعية مع طبيعة نموذج المهمة، مما يدفعنا إلى استنتاج وجود ما يسمى: «مبدأ التلاؤم الوظيفي الرابط لبنية المهمة مع البنية الاجتماعية للجماعة».

ولهذا فإن كل جماعة ترغب أن تكون منتجة ومعطاءة، يجب عليها أن تتوفر على بنية اجتماعية معينة ملائمة لطبيعة المهمات المنوطة بها. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ التلاؤم الحاصل بين الجماعة وطبيعة المهمة يعمل على تقوية العلاقات بين أفراد الجماعة كلهم.

وبهذا يمكن البرهنة على النظام الثالث للتلاؤم، والذي يربط طبيعة المهمة بالبنية الاجتماعية للجماعة.

---

(١) بنية هرمية تعمل على توجيه المعلومات من القيادة إلى القاعدة.

(٢) بنية متجانسة، بمعنى أن جميع الأفراد متكافئون وظيفياً داخل الجماعة.

(٣، ٤) القياسية.

خلاصة: إن معرفة العوامل الموضوعية الخاصة بالجماعة: شبكة العلاقات، والبنية الاجتماعية للجماعة، وكذا طبيعة المهمة المراد إنجازها - تسمح بالإحاطة معرفياً بالديناميكية[1] الاجتماعية والتصورية للجماعة والتنبؤ بمسيرتها ونموها.

(د) تلاؤم تصور المهمة مع طبيعة المهمة:

يمكن تعريف تصور المهمة (البعد الرمزي) على أساس أنه «نظرية أو نسق من الافتراضات ينتجه أفراد الجماعة حول طبيعة المهمة، غايتها، الوسائل الكفيلة لإنجازها، وكذا مجموع السلوكيات الضرورية من أجل بلوغ حدٍ مُرضٍ من الفعالية والحضور على مستوى الواقع».

تتكون الجماعة الممتحنة من أربعة أفراد، يطلب منها القيام بإحدى مهمتي فوشو وموسكوفيسي (Faucheux - Mascovice): الأولى مهمة «حل المسألة» (أشكال أولر Euler) والثانية: مهمة الإبداعية (أشجار ريجي Riguet).

يعمل المُخْتبر أثناء كل مهمة من المهمتين على تمرير تصورين مختلفين، وذلك عبر استمارات مستقرئة ومسهلة لتداعي الأفكار:

- تصور المهمة: يقال لعناصر الجماعة من أجل حثهم على تصور المهام موضوع الاختبار: إن هذه الأخيرة ترتكز على الاستنباط: المنهج والتفكير الدقيق.

- تصور الإبداعية: حيث يبدو لأفراد الجماعة أن المهمة تعتمد على الإبداع: الجِدة والابتكار.

وتُظهر الفرضيات الأساسية للبحث، والتي تم التحقق منها على مستوى التجربة استنتاجين:

- يحدّد تصور المهمة درجة فعالية (عطاء) الجماعة؛ إذ إن تصورين مختلفين لنفس المهمة يؤديان إلى بروز درجتين من الفعالية.

- تصل فعالية الجماعة حدودها القصوى في حالات تلاؤم «تصور المهمة» مع «طبيعة المهمة»، (انظر الجدول رقم (٣) أدناه).

طبيعة المهمة

تصور المهمة	إبداعية	مسألة
مسألة	١٩,١	١٣,٥
إبداعية	٢٠,٣	١١,٤

سقف النقاط:
- ٢٠ للمسألة.
- ٢٣ للإبداعية.

الشكل رقم (٣)

إن «تصور المهمة» يحدد السياق الحركي للجماعة؛ إذ يشجع على ظهور نشاط المراقبة بين المستويات المكونة لهرمية الجماعة: «طبيعة المهمة» التي تستوجب ضرورة تكوين بنيات تواصلية هرمية، في حين تشجع «مهمة الإبداعية» عناصر الجماعة على الإنتاج المتنوع والأكثر حدة.

فالتصور يحدد إذن نوع النشاط الذي سوف يسيطر على الجماعة، والذي يدفع هذه الأخيرة إلى تحقيق إنجازات معينة.

وإجمالاً، تعمل مجموع هذه النتائج على إبراز نظام رابع للتلاؤم يسهم في تسيير ظاهرة الجماعة؛ فتصل الجماعة حدوداً قصوى من العطاء والفاعلية عندما يتحقق التلاؤم بين تصور المهمة وطبيعة المهمة.

تقييم تنافس وإبداعية الجماعات:

إذا كان التوجه السائد في علم النفس الاجتماعي هو أن تقييم الجماعات يوقف إبداعيتها، فإنه من الثابت أن القليل من نتائج التجارب يساند هذا الرأي. وفيما يتعلق بنتائج المسابقات المنظمة بين عناصر الجماعة الواحدة أو فيما بين الجماعات، فلا يبدو أنه بإمكاننا أن نستنبط من هذه النتائج

(١) مجموعة القوانين التي تحدّد سلوكيات جماعة معينة، مستندة إلى نظام ترابطي بين أعضاءها، وتعنى بدراسة الدور الذي تلعبه هذه القوانين في التواصل، واتخاذ القرارات والإبداعية داخل الجماعة.

المتعارضة المحصل عليها إلى الآن توجهاً ما أو خلاصات متماسكة.

ومن وراء لفظة «إبداعية» يبرز مشكل إضافي ناتج عن إمكانية دراسة ظواهر ذات طبيعة مختلفة أو أبعاد مختلفة لنفس الظاهرة. غير أنه يبدو جلياً أن هذه المتغيرات ـ سياق التقييم، سياق التنافس ـ بإمكانها أن تؤثر بكيفية مميزة على مختلف مكونات النهج الإبداعي. ويبدو لنا أن التجربة الحديثة نسبياً التي قام بها جلوفر (Glover) سنة ١٩٧٩م توضح وتبرهن بما فيه الكفاية على صحة هذا الرأي.

وتدرس هذه التجربة النتائج الخاصة بثلاث حالات للجماعة:

ـ حالة تأخذ بعين الاعتبار قدرات الجماعة على التنافس من خلال سياق التقييم والتنافس بين الجماعات.

ـ حالة تأخذ بعين الاعتبار قدرات الفرد على التنافس من خلال سياق التقييم والتنافس بين عناصر الجماعة الواحدة.

ـ حالة تغيّب أهمية قدرات الفرد أو الجماعة على التنافس، وكذا كل تقييم أو تنافس بين عناصر الجماعة الواحدة أو فيما بين الجماعات.

تقسم الموضوعات على جماعات من ستة أفراد؛ وعليها أن تحقق مهمة متبعة من خلال اختبارات الإبداعية: أي إيجاد كل الاستعمالات المكنة لمعطيات معلومة.

في مرحلة أولى: تشتغل جميع الجماعات في نفس السياق غير الخاضع لعمليتي التقييم والتنافسية. وفي مرحلة ثانية: يقوم المشرف على التجربة بإدراج التعليمات المصوغة للشروط التجريبية الثلاثة.

وتكمن أهمية عمل جلوفر في كون اهتمامه لن يرتكز على النتائج الخاصة المحصّل عليها من لدن الجماعات، بل على النتائج المحصل عليها من خلال أربعة أبعاد مختلفة لهذا الناتج.

ـ في حالة السلاسة: يكون عدد الأجوبة مختلفاً.

ـ في حالة المرونة: يكون عدد الأجوبة النموذجية مختلفاً.

ـ غنى الإعداد: أي مدى القدرة على إغناء الجواب.

ـ الأصالة: وتحدّد من خلال عدد الأجوبة النوعية أو المتفرّدة.

هذا وتبيّن النتائج أن كل سياق له تأثير خاص على مختلف الأبعاد الإدراكية للمهمة (انظر الجدول رقم (٤) أدناه).

الوضعيات	نوعية الخصائص			
	السلاسة	المرونة	غنى الإعداد	الأصالة
التقييم التنافسي: التركيز على الجماعة	+ +	+ +	-	-
التقييم التنافسي: التركيز على الفرد	+	+	-	-
عدم التقييم - عدم التنافس	-	-	+	+

الجدول رقم (٤) نوعية الخصائص التي توصل إليها جلوفر ١٩٧٩م

- يساعد السياق غير الخاضع للتقييم والتنافس على الإثراء والابتكار المتعلقين بإنتاج الجماعة غير أنه يقلّص من سلاسته ومرونته.

- يساعد السياق «التقييمي - التنافسي» على سلاسة الجماعة ومرونتها، إلا أنه يحول دون إثراء إعدادها وأصالتها.

- يؤدي التركيز على الجماعة في الوضعيتين: التنافسية والتقييمية إلى حصول السلاسة والمرونة الإدراكية أكثر مما يتم الحصول عليه عند التركيز على أفراد الجماعة؛ في حين لا يؤثر ذلك على تطور الإعداد والأصالة لديها.

وتبدو لنا هذه النتائج ذات أهمية بالغة إذا ما أكدتها أبحاث أخرى؛ ذلك أنها ستسمح باستنباط تحليل جديد لإبداعية الجماعات، حيث سيلعب تحليل النظم الإدراكية الذي تمّ استعماله في الإبداعية دوراً حاسماً، كما سيسمح عند الاقتضاء بتفسير التناقضات الملموسة بين بعض النتائج.

مناهج وتقنيات الإبداعية في إطار الجماعات:

لنترك الأبحاث التجريبية جانباً، ونتطرق للإبداعية في مظهرها الآخر: إبداعية مجموعة من المناهج المعدّة لتحديد قدرات كل فرد، لابتكار حلول جديدة... وبمغادرتنا المختبر وعالمه القاتم، سنلج عالم التعبير العفوي والتحرري؛ حيث تبدو البشاشة والضحك والفكاهة ورفض الآراء - شروطاً لازمة وضرورية لتطوير الإبداعية.

ومهما كانت تقنيات الإبداعية، فإنها تسعى فعلاً إلى تحقيق هدف واحد هو رفع الضغوط العاطفية والاجتماعية أو الإدراكية التي تعمل على تقييد الخيال الإبداعي.

ونجد من بين أهم عوائق الإبداعية:

- التقاليد والعادات الفردية والجماعية(١): يجب إذاً الحد من كل مقاومة تعرقل التغيير.

- السلطة وثقل الأنظمة والبيانات: يجب العمل على إزاحة الخضوع للسلطة؛ سواء كانت سلطة رئيس أو سلطة خبير(٢).

- عالم الضوابط الاجتماعية والإدراكية: يجب التغلب على الامتثالية(٣) والتماثل(٤).

- العقل: أطره وحدوده وقواعد عمله: يجب الانسلاخ عن السلوك العقلاني أو تعليقه أثناء مراحل الإبداع(٥).

ومن أجل رفع هذه العراقيل تم إعداد حالات مختلفة تسعى جميعها إلى تحقيق الهدف نفسه: ألا وهو تحرير العفوية التي تُعتبر أساس الفكر الإبداعي. ومن ثم تبدو أهمية هذا المناخ الودي، واستعمال كل وسائل الإثارة الفكرية والعاطفية التي تهدف إلى استرجاع أو خلق وضع ونظرة جديدة إلى الأشياء والأفكار المقبولة على العموم، وليس بإمكاننا طبعاً تقديم كل هذه التقنيات في إطار هذا البحث، غير أن معظمها لا يشكل سوى متغيرات للمناهج الأربعة التي آثرنا تقديمها لاحقاً.

---

(١) عندما تكون سلبية وجامدة، وخاضعة للأمزجة والأهواء، وتعيق توظيف الطاقات المبدعة لدى الأفراد والجماعات. فالإسلام لم يلغ جميع الأعراف والعادات الجاهلية، وإنما ألغى منها ما كان مخالفاً للفطرة والحق.

(٢) يعني تعويض مفهوم السلطة والزعيم بالمنشط والمنظم، لتطوير الإبداعية وتفجير الطاقات الكامنة.

(٣) إنتاج سلوك مشترك ومتشابه لدى مجموع من الأفراد.

(٤) النمطية والتشابه في الأفكار.

(٥) يقصد هنا إطلاق العنان للخيال والتفكير الخصب، وذلك بغية توليد الافكار؛ إذ كلما زاد عدد الأفكار المقترحة من أعضاء الجماعة زاد احتمال بلوغ قدر أكبر من الأفكار الأصيلة أو المعينة على الحل المبدع للمشكلات.

١ـ تحفيز الإبداع (Lebrainstarming) والتقنيات المشتقة عنه:

«تحفيز الإبداع» تقنية نشيطة، عرف وما زال يعرف نجاحاً هائلاً، ضبطه منذ ١٩٣٨م أوسبورن (Osbarn 1962 / 1921) عندما كان يشغل منصب مدير وكالة إشهارية بالولايات المتحدة. ولا يزال «تحفيز الإبداع» مع التقنيات المشتقة منه أحد أكبر الوسائل المعتمدة في دراسة الأسواق من لدن معظم المصالح العمومية الأمريكية، وعدد كبير من المقاولات والمنظمات.

أ ـ المنهج:

يرتكز تحفيز الإبداع على مبدأين أو فرضيتين أساسيتين:

ـ ضرورة فصل دالَّة الإنتاج والبحث عن أفكار دالَّة التقييم والحكم (إيجابي أو سلبي).

ـ يفضل تحقيق تحرير الإبداعية عن طريق الجماعة شريطة أن تكون الاجتماعات منظمة ومنشطة بإتقان.

وتستلزم التقنية في حد ذاتها ثلاث مراحل:

* **المرحلة الأولى:** الإعداد، ويتعلق الأمر بتحديد محور الدراسة فضلاً عن تكوين جماعة من عشرة إلى اثني عشر فرداً غير متجانسة ما أمكن.

* **المرحلة الثانية:** تتكون من جلسة تحفيز الإبداع ذاتها التي تتراوح مدتها بين نصف ساعة وساعة واحدة ويسيّرها منشطان اثنان. والهدف المحدد للجماعة هو تقديم أفكار مع التقيّد بالقواعد الأربعة الآتية:

ـ يمنع خلال الجلسة إصدار أي حكم نقدي (إيجابي أو سلبي).

ـ تشجيع الخيال الحرّ: يجب صياغة كل الأفكار مهما كانت غريبة ووهمية.

ـ المطلوب في ـ هذه المرحلة ـ هو كمية الأفكار وليس كيفيتها.

ـ أخيراً ـ المبتغى هو قرصنة أفكار الآخرين، أي من الممكن في هذا الصدد جمع وخلط وتتميم الأفكار المعبّر عنها من طرف باقي أفراد الجماعة.

* **المرحلة الثالثة:** وتتم فيها عملية فرز وانتقاء وتمحيص حصيلة هذه الأفكار، ويتم إنجاز ذلك في أعقاب الجلسة من طرف مجموعة صغيرة مختلفة عند الاقتضاء. وبالإمكان اعتبار معدل ١٠٪ من الأفكار المعبّر عنها خلال جلسة «تحفيز الإبداع» هو الصالح للاستعمال.

ب ـ التقنيات المشتقة:

* **الفكرة الرئيسة:** يرى أوسبورن (Osborn) أن تجميع الأفكار يلعب دوراً أساسياً في الإبداعية؛ حيث تنبثق أحسن الأفكار عن الخلط والتجميع المرتكزين على المحاكاة والمفارقات والتقارب. ويمكن لهذا البحث أن ينجز بحرية، كما يمكن بواسطة طرف الاستفهام (الأسئلة) إما لذاتها أو مندمجة مع حصة من حصص «تحفيز الإبداع».

* منهج البيانات الاستقرائية: يرتكز على تكوين أفكار انطلاقاً من الشبكة التالية: وضع قاعدة تفكير، واكتشاف استعمالات جديدة لشيء ما مثل: عبّر، كبّر، كيّف، قلّل، استبدل، أعاد الترتيب، قلب، خلط.

* منهج حذف أو تغيير عناصر موجودة: يرتكز على تكوين أفكار انطلاقاً من حالات خيالية مرتبطة بالمحور أو الشيء المدروس، مثلاً ماذا كان سيجري: «لو اختفت الكهرباء فجأة من الكون؟» أو لو نما إبهام ثان في اليد اليمنى؟» أو «لو تضاعف ثمن الخبز والدقيق مائة مرة؟».

ومن جهة أخرى يمكن استعمال هذا المنهج إما لإطلاق عملية البحث عن أفكار حول محور ما، أو كمنهج تربوي تكويني للإبداعية: إنه يسمح فعلاً بالتمرن على عدم التمركز الإدراكي وعلى المرونة والأصالة.

ج ـ أبحاث مختبرية فحصية:

يعتبر «تحفيز الإبداع» (Braingtorming) أحد المناهج القليلة المحثة على الإبداعية والتي أثارت العديد من الأبحاث المختبرية، للتأكد من صحة المبدأين الأساسيين المقترحين من لدن أسبورن (Os-born). ونؤكد أن نتائج هذه الأبحاث المختبرية (انظر روكيت Rouquette:1976) جاءت مخيبة لآمال مؤيديها (أي لم تأت تماماً كما كان يأمل مؤيدوها)؛ فإذا كان المبدأ الأول الذي يقول بوجوب فصل عمليتي إنتاج الأفكار وإصدار الأحكام حولها قد تحققت فعاليته بامتياز على مستوى التجربة، فإن المبدأ الثاني الذي يحث على ضرورة إحداث عمل جماعي من أجل رفع مستوى الإبداعية لم يتمّ استيفاؤه مختبرياً.

ومن دون الدخول في جدل المقارنة بين حالتي الجماعة والفرد، فقد اتضح من خلال استقراء نتائج المهمات المدروسة داخل المختبر أن «تحفيز الإبداع» (Braingtorming) في حالة الجماعة يؤدي إلى مستوى إبداعي مشابه (مقارب) للذي نحصل عليه في الحالات الفردية.

٢ـ السينكتيك La synectique:

يستند منهج «السينكتيك» أساساً على الاستعمال الواعي والمنظم للاستعارة (أو المجاز)، ويهدف إلى تكوين الفكر الإبداعي المناسب للجماعة، ثم استعماله في تحليل المشاكل الملموسة.

ويدور منهج جوردون (Gordon :1965) وفكرته المركزية حول اعتبار الاستعمال الاستكشافي للاستعارة أساس الإبداعية، ومن ثم سنتعلّم وسندفع الجماعة إلى جمع وخلط وتقريب العناصر التي تبدو في الظاهر دون علاقة فيما بينها.

يتعلق الأمر إذاً بجماعة تهدف إلى تحويل الغريب إلى مألوف والمألوف إلى غريب. والمحاولة التي تمّ تحقيقها جماعياً وتستعمل دينامية (حركية) الجماعة؛ محاولة تستلزم خلق جو من الاطمئنان واللهو والمتعة حتى يسترجع المشاركون نظرة الطفل وسلوكه تجاه الواقع؛ فاللعب باعتباره سلوكاً ذهنياً وملكة إبداع هو الجواب الصحيح عند الكبير عن سلوكيات الطفل وملكاته، ولا يعدو الأمر بالنسبة للكبير أكثر من اكتشاف حالة الطفولة في حين نعتبر على العموم الكبير الذي يجد متعة في اللعب طفولياً. وعلى العكس من ذلك تعتبر «السينكتيك» أن هذه الحالة يجب الاعتناء بها واستغلالها بتأنٍّ بهدف تشجيع الحركة الإبداعية(١).

على أنه سيتحقق انقلاب في وجهات النظر والنظرة الجديدة المتوخاة بواسطة تقنية تقتضي الاستعمال المنهجي لثلاثة أنواع من التماثل:

ـ التماثل الشخصي: ويقتضي مطالبة المشاركين في الاختبار بالتماثل مع عنصر من عناصر المسألة المدروسة ثم تصور ردود الأفعال والسلوكيات والأوضاع التي سيصبحون عليها حينئذ(٢).

ـ التماثل المباشر: ويقتضي استعمال معارف مادةٍ ما في ميدان مادةٍ مختلفة؛ فيمكن مثلاً الرجوع إلى البيولوجيا الحيوانية لدراسة مشاكل

---

(١) فنحن في تصورنا الإسلامي نعتقد بأن أعظم مصدر للتنوع وتحقيق الذات هو خلق اتجاهات متعددة لإنجاز الأعمال، وتنويع الطروحات الفكرية، والسير الأفقي على امتداد الزمان والمكان للنظر والاعتبار: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

(٢) ويقتضي ذلك تجاوز ذواتهم وتقمص الخصائص المحدَّدة للمسائل المعروضة للدرس، لمعايشة المشاكل والقضايا عن قرب، وتمثل السلوك الذي يمكن أن تنتجه، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

إطلاق القذائف البحرية، أي أننا ننقل معلومات ميدان معلوم لإيجاد حلول مسألة في ميدان مغاير.

- التماثل الرمزي أو الخيالي: يقتضي استبدال مادة الإشكالية (محلّ الدرس): إما بصورة رمزية (الكويرة من الكريستال بالنسبة لاختبار بسيكولوجي - نفسي - مثلاً) أو رسوم كلمية[1] تستند إلى عنصر التعجب والخيال واللا معقول إلخ. ويتعلق الأمر هنا بترك المجال حراً للأوهام والتعبير الشعري والحُلم، بكيفية تجعل إنتاج أفكار جديدة أو أسلوب جديد يتصدى للمسألة.

ويمنح منهج «السينكتيك» امتيازاً للجماعات الأكثر تبايناً بكيفية تجعل فوارق الرأي تزداد حدة، وفضلاً عن ذلك، يكون أعضاء هذه الجماعات قد تعرّضوا لعملية انتقاء بناءاً على اختبارات ومحادثات ترتكز على «سلوكهم الاستعاري»، وقد رتبهم على عدم التمحور الذاتي والإدراكي، ويتوزع التكوين على عدّة أشهر ويضم ثلاثة أطوار:

ففي طور أوّلي تتفاعل الجماعة بكل عفوية مع المسألة المطروحة التي تحاول تحديد كل مظاهرها، بما في ذلك الأكثر غرابة، ويؤول هذا الطور إلى كشف الأبعاد الواجب تحليلها. ويعتبر الطور الثاني مرحلة إنتاج ترتكز على الاستعمال المنهجي للمعادلة القياسية. وفي الأخير تتم العودة إلى الواقع ضمن مرحلة ثالثة، وذلك لدراسة مختلف الحلول المرتقبة وتكييف الحلول القياسية مع المسألة الملموسة.

وقد عرف المنهج السينكتيكي نجاحاً كبيراً، مثله في ذلك مثل «تحفيز الإبداع»، ولا يزال - حالياً - يُستعمل كثيراً إما في شكله الكلاسيكي (التقليدي) أو في أشكال متفرعة عنها مثل منهج (Interlog) (انظر: جوي 1975: Jaoui) أو منهج (Bionique) (انظر: جيراردان 1972: Jerardin).

٣. التحليل التشكُّلي [2]:

يرتكز التحليل التشكُّلي على الاستعمال المنهجي للتنظيمات، باعتبار النشاط الإبداعي استكشافاً تنظيمياً لمجموعة من العناصر الموجودة والمرتبطة بمسألة معلومة. ما نبحث عنه إذن هو: كيف يمكن أن تنتظم هذه العناصر وتتجمع؟ وما هو نوع الحلول التي تنتج عن هذه التنظيمات؟ وبذلك نكون قد شكّلنا «قوالب حقيقية للاختراع» تسمح لنا باستكشاف منهجي لعالم ما هو ممكن (انظر: كوفمان 1970: Kaecfmon).

في مرحلة أولى - بالطبع يمكن استعمال هذه الخطة في حالة فردية - يكون هدف الجماعة هو دراسة المسألة لمحاولة طرحها بعبارات أوسع وأعمّ؛ ثم استقراء العناصر (أو كل الأبعاد) المكونة للمسألة العامة، وفي الختام تحليل كل عنصر بالنسبة لأبعاده المختلفة[3].

ويعد وضع قالب أو عدة قوالب، أي إعداد جدول ذي مدخلين يضم قائمة كل العناصر؛ إذ تقتضي المرحلة الثانية دراسة كل الحلول الممكنة المطابقة للتقاطع الثنائي لكل متغيّر. وفي هذه المرحلة يمكن لإبداعية الجماعة أن تتطور بفضل ما تمنحه

---

(١) لها علاقة بتفسير الأحلام.

(٢) علم التشكل (المورفولوجيا) علم يبحث في شكل الحيوانات والنباتات.

(٣) أي الانتقال من الخاص إلى العام أو من الجزئي إلى الكليّ، لأنه بعد استقراء العناصر الجزئية، يمكننا استنتاج قواعد كلية أو عامة.

لها شبكة الاستكشاف المنهجي الذي يحدده القالب من تشجيع وإثارة وتوجيه.

وفي المرحلة الثالثة يتم تدارس واختيار الحلول الملائمة للمسائل أخذاً بالحسبان العراقيل التقنية والقانونية والمالية.

يتضح إذن أن هذا المنهج بطيء حتى ولو كانت مرحلة التنظيم تتم بمساعدة الحاسوب، غير أنه يبدو حالياً في توسع كبير. وإن حصلنا على القليل من النتائج المضبوطة، فإنه يحسب الأمر لتطبيقه في مجالات حساسة جديرة بالكتمان: الملاحة الجوية، علم الفلك، الفيزياء... إلخ.

٤ـ المناهج التطبيقية(١):

نجمع تحت هذا العنوان نوعاً أخيراً من المناهج السائدة بكثرة، والتي تلامس مجال التحليل الطبي للجماعة، وإن كانت أهدافها مختلفة تماماً، وتتطلب منشطاً أو منشطين ذوي كفاءة خاصة ويخضعان للمراقبة.

أ ـ مناهج ترتكز على القيام بدور:

يقوم كل عنصر من الجماعة مقام الشخصية المعنية أو مقام مادة من مواد المسألة المعروضة، ويمثل السلوك الذي يمكن أن تنتجه بتفاعله المحتمل مع باقي عناصر الجماعة الذين يقومون مقام مواد أخرى. وإذا تعذّر القيام بهذا الدور فيمكن مطالبة المشاركة بالتعبير الشفهي لمدة عشر دقائق فقط باسم المادة التي يمثلها. وفي كلتا الحالتين يتابع جزء من الجماعة ما يحدث ويكرره في نفسه، ويحاول توجيهه إلى المسألة الملموسة قيد الدرس.

ب ـ الحُلم اليقظ الموجَّه(٢):

يتم تحقيق هذاالمنهج بواسطة جماعة قليلة العدد (عشرة أفراد على الأكثر)، وتستلزم جعل المشاركين في حالة بين النوم واليقظة؛ حيث يكون المشاركون ممدودين في ظلمة خفيفة، مستعملين تمارين استرخائية مناسبة. تدوم الحصة من ساعة إلى ساعتين، ويقوم المنشط باستعراض رسوم ومواضيع حيادية في البداية، ثم يجعلها تقترب شيئاً فشيئاً من المسألة المدروسة، ويكون رد فعل عناصر الجماعة بواسطة أحلام يقظة مقرونة بالمواضيع المقترحة. بعد ذلك يتم معالجة هذه القرائن والأحلام وتحليلها من لدن الجماعة والمنشط والملاحظين.

ومن الواضح أن هذه المناهج تهدف جميعها إلى التقليل من سلبية الأفراد وتحفُّظهم بكيفية تسمح لهم بإزالة العقبات والعوائق أمام قدرتهم الإبداعية، والوصول إلى صور وأحاسيس أكثر تعمقاً(٣).

---

(١) قريبة إلى التحليل الطبي.

(٢) ما يطلق عليه جلسة القصف الذهني.

(٣) ومعنى ذلك إطلاق العنان للتفكير، والترحيب بكل الأفكار مهما يكن مستواها (سطحية أو عميقة) ما دامت متعلقة بالمشكلة موضوع الاهتمام. ومغزى هذه القاعدة أنه كلما كانت الفكرة فجّة أو بكراً، أي غير مصقولة ولا مشذبة كانت أفضل. فالمهم وجود أفكار، وسيكون تشذيبها فيما بعد أسهل. والغرض من هذه القاعدة مساعدة الفرد على أن يكون أكثر استرخاءاً وأقلّ تحفظاً، ومن ثَمَّ أعلى كفاءة في توظيف قدراته على التخيل وتوليد الأفكار (انظر: عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة).

وفي مرحلة ثانية، فإن هذا الكمّ أساسي في توليد الأفكار الأصيلة والآراء المبدعة. بمعنى أن الكم يولد الكيف، أو يتبخّر الغثاء من الأفكار ويبقى جيّدها: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ويظهر أنها تعرف نجاحاً كبيراً في مجال دراسة الأسواق والإشهار؛ حيث يظل الهدف المهيمن هو البحث عن ردود الفعل والحوافز الكامنة، كما يظهر من جهة أخرى أن تطوير هذه المناهج واستعمالها دون مراقبة يطرح عدة مشاكل أدبية جديّة.

خلاصات:

كما سبق أن رأينا من خلال هذا العرض الموجز، فإن تقنيات الإبداع وافرة، كما أن جهود الذين يعملون على تطبيقها مثمرة بصفة خاصة، بما في ذلك الذين يزعمون أنهم يكونون بأنفسهم علم الإبداعية. وكما هو معلوم فإن مسألة التجديد تصير شيئاً فشيئاً مشكلة اجتماعية ـ اقتصادية أساساً، وتمر عن طريق العمل الجماعي؛ لأن هذا الأخير تم تعميمه في المقاولات، وكذلك في ميدان البحث العلمي والتربية، وفي كل ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية. لكن رغم كل هذا فإن البحث في إبداعية الجماعات ـ سواء كان نظرياً أو تجريبياً ـ لا يزال في بدايته.

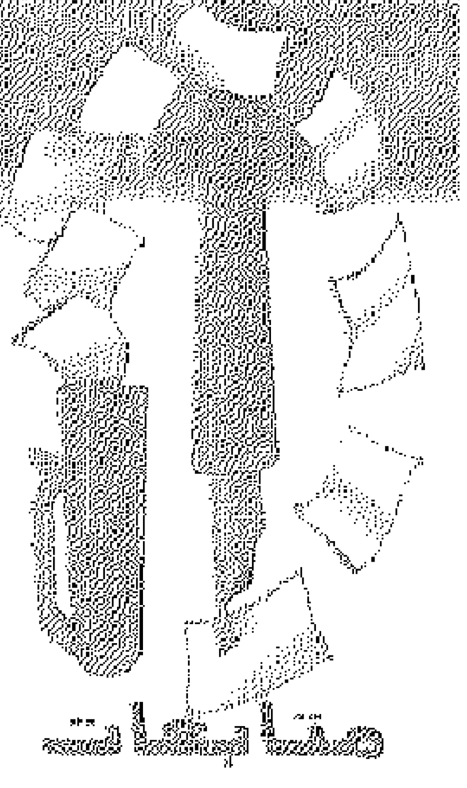
وكما أشار ماكجرات وكرافيتز (Kravitg/ Mcgrath : 1962) ـ في مجلة نشرت أخيراً تهتم بالأبحاث حول الجماعات؛ فقد بقي علينا أن نقوم بكل شيء في هذا الميدان أو تقريباً كل شيء؛ ذلك أنه باستثناء فترة قصيرة تم خلالها نشر «تحفيز الإبداع» (Brainatorming) وما حققه من نجاح، فإن هذا المبحث من علم النفس الاجتماعي ظل مبحثاً مشؤوماً لأسباب تتعلق بصعوبة إجراء التجارب والتحليل المنهجي الإبداعي، كما تتعلق بتعقّد التطور التدريجي المتتابع نفسه الذي تجري عليه المتغيرات الإدراكية والعاطفية والاجتماعية في نفس الوقت(١).

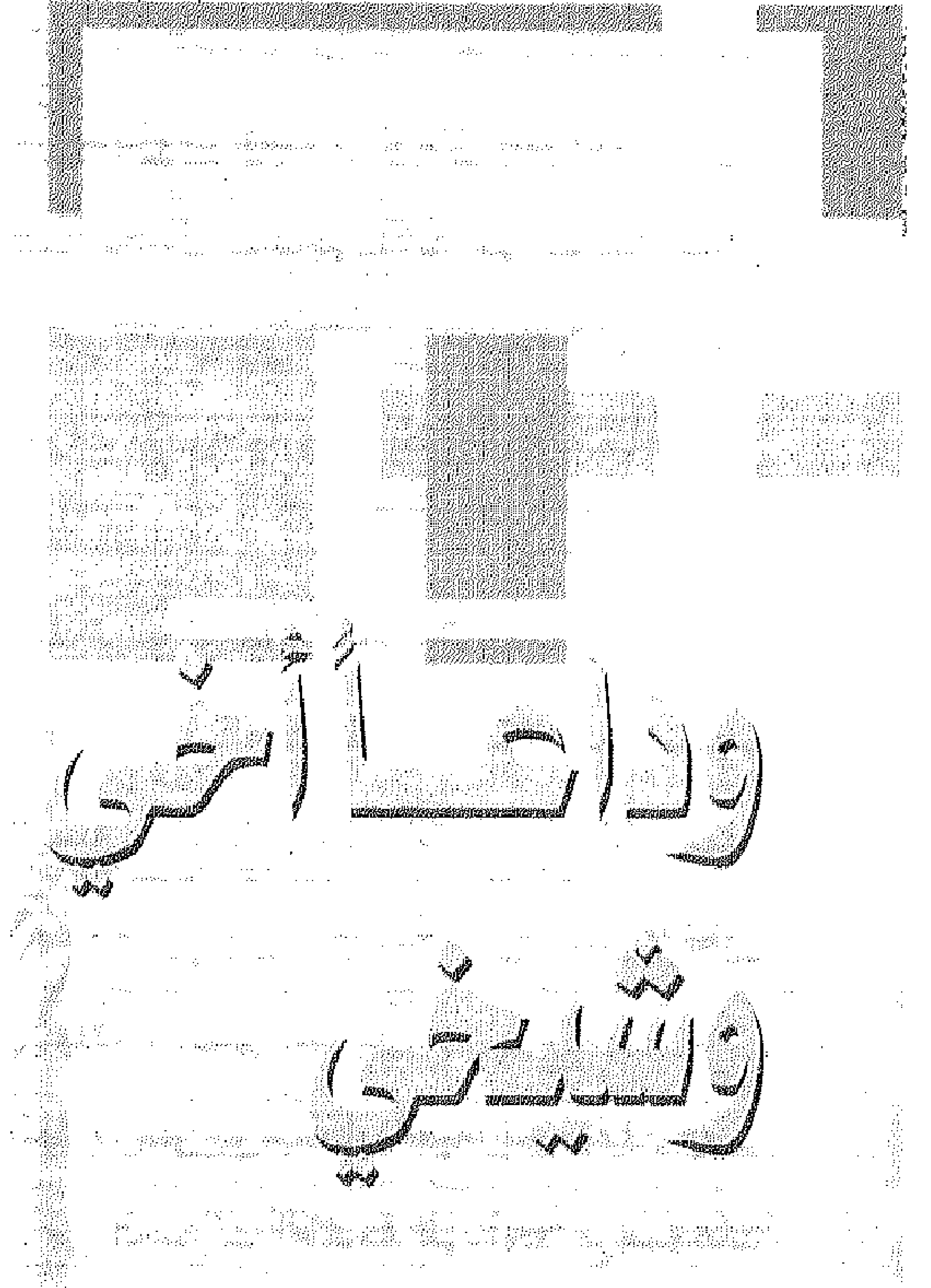
ومع ذلك يبدو أن علم النفس الاجتماعي لا يمكنه أن يهمل هذه المسألة طويلاً، وبإمكانه تغذيتها بأجوبة رئيسة ـ بفضل الخطة التجريبية التي تبدو ملائمة لهذا النوع من الأسئلة ـ في شأن التطور الاجتماعي والاقتصادي.

يبدو لنا إذن أن دراسة إبداعية الجماعات يجب أن تتحول في السنوات القادمة إلى أحد موضوعات البحث المهيمنة على نظامنا.

---

(١) وهذا مما يدل على عجز الفكر الغربي لضبط بنية العلاقات الإنسانية والنفسية المجتمعية في سيرورتها الآنية أو المستقبلية، مما يوحي بأن المرجعية الوحيدة القادرة على ضبط السلوك الإنساني هي «الوحي»: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].. لكن لا بأس من الاسترشاد والاستئناس بالخبرات الإنسانية، وخاصة الغربية المعاصرة والاستفادة من أدواتها ووسائلها المختبرية وتجاربها الميدانية في مجال تفكيك وتحليل الظواهر الاجتماعية، شريطة توظيفها في إطار المبادئ والقيم الإسلامية.





وداعاً أخي وشيخي

أحمد الشوادفي

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، اللهم إنا نؤمن بقضائك ونحتسب عندك أجر الصبر على بلائك ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أحسن الله عزاءنا في أخي وشقيقي الشيخ صفوت الشوادفي، أحسن الله عزاءنا في ناصر السنة وقامع البدعة، الذي أعمل ذكاءه وأبلغ جهده في خدمة الإسلام والمنافحة عن التوحيد. لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، طبت حياً وميتاً يا أبا أنس. لقد هز قلبي وأعضائي خبر وفاته، وتشتت تفكيري وكياني، لكني سرعان ما دعوت ربي أن يرزقني الصبر ويلهمني صوابي.

كان ـ رحمه الله ـ واسع الأفق، ثاقب النظر، حاضر الذهن، سريع البديهة، كان داعية بليغاً رقيقاً حليماً متواضعاً قوالاً بالحق عاملاً به، لا يخاف في الله لومة لائم، كان رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، كان معلماً ومرشداً وناصحاً، وكان ذا همة عالية، يحمل هموم الأمة.

وإنه مما أثلج صدري مشاركة تلك الجموع(١) في تشييع الجنازة لا سيما وقد كان فيهم أفاضل القوم وشيوخ الأزهر وعلماء كافة الجمعيات الإسلامية، وكذلك ما أخبرني به بعض الإخوة أنه صلى المغرب قبل الوفاة [قبل الحادث] بعشرين دقيقة إماماً وكان آخر آية قرأها: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ [الإسراء: ١٩]. كان ـ رحمه الله ـ في هذا اليوم الأخير من صباحه إلى مسائه في زيارة لوالدته حيث قضى عندها كل اليوم هو وأسرته، ولعل من حُسن خاتمته أنه كان حديث عهد بالبيت الحرام؛ فقد كان عائداً من عمرة قبل وفاته بأسبوعين تقريباً.

ولد رحمه الله في ١٩٥٥/٩/١م في بلدته الشفانية بمدينة بلبيس محافظة الشرقية بمصر، ومات في حادث سيارة يوم ١٨ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ، عن عمر ٤٥ سنة. حصل على شهادة جامعية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة، وأثناء دراسته بالكلية حصَّل كثيراً من العلم؛ حتى إنني أذكر أنه في السنة الثالثة من دراسته الجامعية ناقش عالماً من علماء الأزهر [واعظ المدينة] فقال له ذلك العالم: إني أتعجب كيف جمعت بين تحصيلك

---

(١) أخبرني أحد الإخوة أن المشيعين كانوا قرابة الخمسين ألفاً.

للعلوم الشرعية ودراستك!!

وكان له - رحمه الله - عدة مناقشات ومناظرات أذكر منها ما كان مع فضيلة شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي، ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم؛ وقال له حينها شيخ الأزهر [وكان مفتياً لمصر في ذلك الوقت]: يا أستاذ صفوت، أنت رجل فقيه وأنا أحترم فقهك... وقد نُشرت هذه اللقاءات على صفحات جريدة اللواء الإسلامي في ثلاثة أعداد على ما أذكر.

كان - رحمه الله - في دعوته صابراً حكيماً مخلصاً يترك لله ويعطي لله؛ فقد ذكر لي أحد الشيوخ بالرياض أنه - رحمه الله - عندما كان يعمل بالمملكة العربية السعودية وأراد أن يعود إلى مصر من أجل الدعوة؛ عرض عليه عدد من أهل الخير رواتب مغرية جداً، ولكنه رفض كل العروض والإغراءات من أجل الدعوة إلى الله - عز وجل - وقد رأيت بعيني وسمعت بأذني اثنين من الشيوخ بالرياض وكانا في زيارته بمصر يعرضان عليه المجيء إلى السعودية للدعوة وهو الذي يحدد الراتب، ويعددان له المزايا الأخرى، فرفض في أدب وحكمة وقال لهما: الدعوة هنا بحاجة لي.

وكان - رحمه الله ورفع درجته - يخاطب الناس على قدر عقولهم وإدراكهم؛ فقد كنت معه ذات يوم في دار التقوى للنشر والتوزيع الخاصة به في مدينة بلبيس بمصر ودخل رجل رث الثياب وقال وهو يدخل من الباب: يا بدوي[1] ثم اقترب من الشيخ - رحمه الله - وقال: أعطني شيئاً يا عم الشيخ. فقال له الشيخ: لن أعطيك شيئاً. فقال الرجل ليه [لماذا]؟ فقال له الشيخ: خلِّ البدوي يعطيك! فسكت الرجل، فقال له الشيخ: الذي يعطي كل المخلوقات هو الله - سبحانه - ثم أدخل يده في جيبه وأعطاه بعض المال.

ومن أمثلة إخلاصه وحكمته في دعوته أن أنصار السُّنة في بلبيس أحيوا إقامة سنة صلاة العيد في الخلاء، فكانوا يفرشون مكاناً يسمى الساحة وهو نادٍ رياضي كبير ربما استوعب خمسين ألف مصل، وكانوا يقدمون هدايا للأطفال بعد الصلاة، والحقيقة أن المنظر والاجتماع لصلاة العيد كان لهما أثر كبير في مشاعر المجتمعين، وكانت الخطبة تحرك المشاعر والقلوب، ثم قامت وزارة الأوقاف بهذا العمل بدلاً من أنصار السُّنة؛ فغضب بعض طلبة العلم وبعض الشباب وأتوا إلى الشيخ - رحمه الله - وقالوا: كيف نحيي نحن هذه السُّنة في هذا المكان لعدة سنوات ثم تأتي الأوقاف وتأخذ منا المكان؟ فقال لهم: لماذا تغضبون؟! هم أقاموا السنة ونحن نصلي خلفهم، المهم إحياء السُّنة، فانظروا إلى سُنَّة أخرى لتحيوها.

ويرجع الفضل في صفاته الحميدة وإيثاره وكرمه وتقواه بعد الله - عز وجل - إلى تربية الوالدين أسأل الله - سبحانه - أن يجزيهما عنا خير الجزاء.

وبعدُ: فقد تُوفي الشيخ - رحمه الله - مربياً وقائداً من قادة أنصار السُّنة المحمدية في مصر، ومن أهم أعماله - رحمه الله - طباعة مجموع فتاوى ابن تيمية، طباعة مختارات من فتاوى دار الإفتاء المصرية عن مئة عام، جمع وطبع فتاوى لجنة الإفتاء بالمركز العام لأنصار السنة، جمع وطبع مجموعة من فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، ألف عدة كتب ورسائل أشهرها: اليهود نشأة وتاريخاً، أشرف على طبع موسوعة الشيعة للدكتور علي السالوس، إلى غير ذلك. فاللهم أكرم نزله، ووسع مدخله، واجزه عن الإسلام والسنة خير الجزاء، واجمعنا به مع المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحمد لله على كل حال، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أي يستغيث بأحمد البدوي؛ أحد أقطاب الصوفية، وله بمدينة طنطا قبر عليه مسجد معروف باسمه تكثر فيه الشركيات والبدع، ويقام له مولد يشهده كثير من العوام الجهال والصوفيين.

دعوة للمصالحة والوحدة

محمد فضل محمد فضل

الصلح شَعيرة عظيمة حثَّ عليها الإسلام في قوله - تعالى -: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] والدعوة الإسلامية أحوج ما تكون لمثل هذه الشعيرة وهي تشق طريقها في وجه التحديات والمخاطر التي تحاك ضد الإسلام، ولما ظلت تتعرض له الدعوة الإسلامية من تصدع وانقسامات أثرت سلباً على مسارها الدعوي وكان له انعكاس سيئ على أفرادها، فمن كان يصدق أن الدعوة الإسلامية سيصيبها ما أصاب الأمم الأخرى من الشتات والتحزب إلى جماعات وفرق حتى أصبح كل فريق يكيل للآخر السباب ويتحين الفرص للانقضاض عليه، وفقد كلا الفريقين الثقة في الآخر، فانتشر بينهما سوء الظن، وانفرط عقد الأخوة الإسلامية وحل محلها الكراهية والبغضاء حتى أصبح الأخ ينفرُ من أخيه المسلم، وإذا رآه في المجالس العامة لا يصافحه ولا يسلِّم عليه؛ وهكذا ضاعت الأخوة الإسلامية في وسط هذا الركام من الخلافات والنزاعات التي لا يوجد ما يسوغها خاصة أن الفرقاء يجتمعون في الأصول؛ وقد يختلفون في مسائل اختلف فيها أهل الفضل قديماً، وليس عيباً أن يختلفوا اختلافاً سائغاً ولكن العيب أن يقتن البعض لهذا الخلاف ويسعى لتحزيب الناس عليه.

وقد اختلف السلف الصالح في مسائل كثيرة ولكنهم لم يتحزبوا ولم يدعو إلى مقاطعة مخالفيهم ولا إشاعة الكراهية بينهم؛ لأنهم كانوا يدركون أن الشخص قد يجتمع فيه الخير والشر، فيحبون ما عنده من خير، ويبغضون ما عنده من شر، وظلت جذوة الأخوة الإسلامية متقدة في صدورهم؛ ولهذا دانت لهم الأمم والشعوب واستطاعوا أن يسودوا العالم، فما أحوج الدعوة الإسلامية اليوم لهذا الفقه (أدب الخلاف) فالتاريخ يحدثنا أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول: «من زعم أن محمداً ﷺ قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» بينما كان ابن عباس وجمهور الأمة يقول بالرؤية ولم نسمع أن أحداً قد وصف عائشة - رضي الله عنها - بأنها قد جاءت بمنكر من القول، بل اعتبرها المخالفون أنها قد اجتهدت ولها أجر الاجتهاد، ولم يسعوا إلى تجريمها أو اتهامها بالانحراف والخروج عن منهج السلف. وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط؛ «ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير، وقد قال النبي ﷺ يوم بني قريظة: «لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»[1] فادركتهم العصر في الطريق، فقال قوم: لا نصلي إلا في بني قريظة ففاتهم العصر، وقال قوم: لم يرد منا تاخير الصلاة فصلوا في الطريق، فلم يُعب أياً من الطائفتين» أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر؛ وهذا إن كان في الأحكام فما لم يكن في الأصول المهمة فهو ملحق بالأحكام»[2].

(١) أخرجه البخاري وغيره، ح/٩٤٦.

(٢) الفتاوى، ج ٢٤ ، ص ١٧٢.

البيان والتجديد

تركي بن عبد الله الشريف

تلمع مجلة البيان في سماء الإعلام الهادف لتعكس صورة هي أوضح ما تكون عن مدى الوعي الذي وصلت إليه الصحوة المباركة، وتجمع بين دفتيها هموم حَمَلَة الرسالة السامية واهتماماتهم وآمالهم في اتساق رائع وإخراج فريد، فكانت بحق لساناً صادقاً نزيهاً لهذه الصحوة المباركة، ولعل ما جاء في العدد ١٥٢ يعد دليلاً ناطقاً لما زعمت؛ غير أني أقف وقفة المتسائل مع افتتاحية ذلك العدد فأقول: فعلاً نحن بحاجة إلى مثل هذه المراجعات الواقعية التي تضع اليد على الجرح، وتنمي القدرة على المواجهة والتفكير والاعتراف بالتقصير بدلاً من السير الأعمى الفوضوي، غير أن الكلمة الصاعقة التي في بداية الحديث: «تشهد الحركة الإسلامية تراجعاً» تشعر المرء بالإحباط؛ إذ كيف تتراجع وهي لم تحقق أهدافها المرجوة منها بعد؟ أم كيف تراجعت ونحن نشهد انتصارات لها بين الفينة والأخرى؟

إن الحركة الإسلامية ما زالت في طور التكوين رغم جميع الإنجازات التي حققتها، ومعظم الأسباب المذكورة في الافتتاحية - إن لم يكن كلها - هي أسباب وأخطاء في تكوين الحركة وليست في الأداء فقط. وهذه الأسباب لم يحصل فيها تقدم أصلاً - على حد علمي - حتى نقول بالتراجع؛ وإنما لنحمد الله - عز وجل - أن هذه الأخطاء لم تكن عائقاً في تقدم الصحوة، لكن علينا المبادرة إلى إصلاحها.

هذا الحديث يدفعني إلى التأكيد على ضرورة مراجعة الذات في فترات قصيرة ولا ننتظر السنين لتبدي لنا الأخطاء بل نسعى بهذا الأسلوب الوقائي لإجهاض الأخطاء قبل وقوعها. أسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا ممن يحاسبون أنفسهم ويستغفرون لزلتهم إنه الغفور الرحيم.

البدعة

محمود جمال البكر

تختص البدعة في الشرع بقيود ثلاثة هي:

١ - الإحداث: والمراد بالإحداث: الإتيان بالأمر الجديد المخترع إذا لم يسبقه مثيل كعبادة الأصنام أول وجودها.

والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «من أحدث». وقوله: «كل محدثة بدعة» وبهذا القيد خرج ما لا إحداث فيه أصلاً مثل فعل الشعائر الدينية كالصلوات المكتوبات، وصيام شهر رمضان، والأمور الدنيوية المعتادة كالطعام واللباس ونحو ذلك.

٢ - تعلق هذا الإحداث بالدين: والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «في أمرنا هذا»، والمراد بأمره ها هنا دينه وشرعه، [جامع العلوم والحكم ١/١٧٧] وبهذا القيد تخرج المخترعات المادية والمحدثات الدنيوية مما لا صلة له بأمر الدين.

٣ - ألاَّ يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص ولا عام؛ والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «ما ليس منه»، وقوله: «ليس عليه أمرنا». وبهذا القيد خرج ما له أصل شرعي عام أو خاص.

كما أن البدعة بالإطلاق الشرعي هي البدعة الواردة في حديث «كل بدعة ضلالة» دون البدعة اللغوية. ولذلك فإن البدعة الشرعية موصوفة بأنها ضلالة بخلاف البدعة اللغوية لا يلائمها وصف الضلالة والذم.

لماذا التقاعس؟!

صالح بن محمد

في خضم الأحداث وكثرة الجراحات والدماء النازفة في جسد الأمة، ومع التحديات العلمانية والكفرية الإلحادية لتجفيف المنابع وبخاصة عقيدة الولاء والبراء في قلب المسلم، وإزاغته عن دينه ومنهجه وعقيدته ولغته؛ نجد في هذه الأجواء من أبناء الإسلام ومن أهل الدعوة وأصحاب الصحوة: من رفع يده عن العمل الدعوي واكتفى بنواحه على الإسلام وأهله وندب الحظ - بحد زعمه - وآخرون منهم يعملون ولكن بخطى ثقيلة وخطوات بطيئة ليأسه من الإصلاح العام الشامل، وقليل هم أولئك الدعاة العاملون الصادقون المخلصون الجادون الواثقون بنصر الله وتمكينه لأهل دينه في الأرض.

فلماذا كل هذا التراجع والتقاعس والضعف والهوان؟! ألم يقل الله - تعالى -: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ثم إن من سنن الله الثابتة في هذا الكون: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢] هي التمكين والنصر والغلبة لعباده المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فالتمكين حاصل لا محالة؛ ولكن ما دورنا في رفع كلمة الله ونصرتها؟!

إن من المتحتم على المسلم وسط هذه الأجواء: الصبر والمصابرة، والجد والعمل، والدعوة الصادقة إلى الله، والدلالة على سبيله بجميع الوسائل والتقنيات العصرية، والاستقامة على الدين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - واصفاً حال أولئك: «وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنبه؛ فليصبر إن وعد الله حق ويستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار»[1]. [الفتاوى، ١٨/٢٩٣].

وهمسة أخيرة في أذن كل مصلح وداعية وعامل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤]. فلماذا التقاعس؟! فقد مضى عهد النوم!!

لا للعنصرية

محمد بن عبد الله الرويلي

من المؤسف أن الواقع اليوم يعجّ بألوان وأشكال من العنصرية؛ فبالإضافة إلى العصبية القبلية هناك العنصرية الإقليمية التي تسود بين بعض الأقطار العربية والإسلامية؛ فبعض الأقطار لا يطيق الأقطار الأخرى، وكذلك هناك العنصرية العرقية بين بعض السود والبيض، أو بين بعض العرب والعجم، أو غيرها من الصور البغيضة لهذا الداء العضال.

ولكن المصيبة العظمى تكمن في تأثر بعض الدعاة الذين يحملون لواء الصحوة بهذه النظرات الجاهلية بقصد أو بغير قصد، ومن ذلك ما يمارسه بعض الصالحين من تصرفات لا تخلو من العنصرية، كالحزبية في الدعوة، وعدم السماح للآخرين بالمشاركة في هذا العمل أو ذاك بحجج واهية، أو احتقار الدعاة لبعض إخوانهم في المناطق النائية وعدم الاقتناع بأي عمل يعملونه، أو الحديث عن مثل هذه الأمور والخوض فيها في المجالس الدعوية باسم المزاح، أو حصر الدعوة على فئات معينة من المجتمع وإهمال فئات أخرى وفقاً لموازين طبقية أو مادية، وغير ذلك من الصور والممارسات، وقد رأيت وسمعت الكثير من هذه الأمور بل شَمَمْتُ رائحة العنصرية وهي تفوح من بعض الدعاة.

إن وجود مثل هذا الأمر بين رجالات الدعوة لا شك في أنه تشويه للصحوة الإسلامية وتنفير منها وحيادةٌ عن المنهج الصحيح، ومن شأنه أن ينزع الثقة من قلوب الناس الذين تعلقت قلوبهم بالدعوة الإسلامية.

وليحذر الداعية المخلص، الحريص على نشر الخير والذي له قدم صدق عند الناس أن يعمل عملاً أو أن يُسمع منه قولٌ يوحي بشيء من التعصب أو التكبر أو الاحتقار لأحد؛ فإنه إن فعل ذلك يكون قد كتب سقوطه بنفسه، سقوطاً لا قيام بعده!

دموع الغروب

عبدالله بن حماد البلوي

وقف ذلك الشاب.. ينظر غروب الشمس.. ويرمقها وهي تختفي بعيداً.. ويختفي معها نورها الذي كسا الأفق.. فدمعت عيناه.. فقد تذكر أن غروب هذه الشمس إنما هو غروب عام كامل.. فلقد انتهى العام.. ولم يبق منه سوى بقايا هذه الأشعة التي بدأت في الرحيل.

فمر به شريط حياته في هذه السنة.. ليشاهد نفسه المعرضة ترخي زمام الهوى، ولتمضي به بعيداً عن الله وعن طريقه..

شاهد نفسه الغارقة في بحر الشهوات الذي تقاذفته أمواجه في كل مكان.. وهو بلا حراك..

شاهد الصائمين في رمضان يخرجون من المساجد بعيون دامعة وقلوب منكسرة وهو في لعب ولهو.

تذكر أنه في هذا العام الذي رحل قد عق أمه كثيراً، وخالف أمرها كثيراً، فدمعت عينه لهذا العقوق..

انهال دمعه أيضاً وهو يرى أهله يصومون أياماً من شوال؛ وهو لم يفكر بقضاء ما عليه من رمضان..

ويمضي هذا الشريط ليرى الناس وقوفاً في عرفة يدعون الله ويبتهلون إليه بالمسألة حين كان هو مقبلاً على قنوات الفضاء بكل جوارحه.

في هذه الأثناء توارت الشمس وغابت عن الأنظار، وادلهمّ الليل، فشعر هذا الشاب بالخوف، وأحس أن الحياة تمضي وهو في إعراضه غارق.. وفجأة سمع صوت الأذان وكأنه يسمعه لأول مرة.

وقال في نفسه: كم ناداني المؤذن في هذا العام وأنا في إعراض عن ندائه؟ وتساءل في نفسه: هل سيغفر الله هذا الذنب؟ وهل سيمحو هذه الخطيئة؟ وأنا لا أذكر متى دخلت المسجد! فما أشد إعراضي وما أكبر ذنبي!! فأجهش بالبكاء.. وحين أراد القيام سمع صوت الإمام يقرأ بصوت شجي ندي آيات أحيت فيه الأمل وحركت منه الفؤاد: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وكذلك ننجي المؤمنين

عبدالله بن هادي بن ناجي

ظلماتُ الهوى ستُمحى كثلجٍ ... ذوّبتهُ البحار، والحق يُنجي

ويحَ قومي! تقاطروا نحو سُفْنٍ ... دَقّةُ السّفْنِ لا تُدارُ لنَهجِ

هل ستُؤوي مراكب الشرق فوجاً ... واحداً أم مراكب الغرب تُنْجي؟!

خُدِع القومُ بالمراكب لمّا ... زيّنوها بغانياتٍ وهَزْجِ

مركب الشرق بالسماجة يهذي ... وكذا الغرب قد تلاقوا بِسُمْجِ

ينسجون المُنى - وهيهات بُعداً - ... مثل أعشى يرى سراباً بَفَجٍّ

أو مريضٍ على الفراشِ طريحٍ ... كلما أنْ خدَّروه ببنجِ

يُوهمون الورى بأنْ ليس يشكو ... كيف يهنا وقد أُصيب بشَجٍّ؟

لا يزالون في ثيابِ صديقٍ ... لا يُطيق المسيرَ إلا بِعرْجِ

وإذا ما خلا بعضهم ببعضٍ ... أسرعَ الخطو في ملابس عِلْجِ

وإذا الفلكُ في البحارِ تجارتْ ... كان رُبانهم يُجيز بِخَرْجِ

ركبوا البحرَ والرياحُ عواتٍ ... تطلب القوم في مراكبَ خُدْجِ

تطلب القومَ، والبحارُ تنادي ... يا سماء الدُنا أهلّي بثَجٍّ

فالتقى الماء، والمراكب تجري ... فوق موجٍ وتارة تحت موجِ

هلك الجمعُ بالمراكب إلا ... فُلْكُ نوحٍ؛ دعا الإله فنُجّي

بريد

• تنويه: حدث خطأ غير مقصود في العدد ١٥٤ في اسم كاتب مقال: إشكالية التعامل مع مصادر الفرق، حيث كتب: د. أحمد جمال بادي، والصحيح: د. جمال أحمد بادي، وهو أستاذ مساعد بقسم أصول الدين بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية بماليزيا.

* **الأخ: محمد عبد الله التميمي:** أرسل هذه الرسالة: «يسرني أن أشكر لكم جهودكم الخيرة في هذا المنتدى؛ منتدى الخير والبركة، وجهودكم الجبارة نحو مجلتنا (مجلة البيان) المحبوبة، فكم تغمرني الفرحة ومشاعر الغبطة نحو مجلتنا هذه في إهلال كل شهر؛ حيث أجد فيها روضة غناء فيها من مختلف الثمار، والفواكه الدانية، إبداع في الأسلوب، تجديد في الطرح، تنوع في المواضيع، معالجة لمشاكل الأمة ونوازلها؛ فكم طرح فيها من قضية، وعولجت من مسألة؛ فهذا جزيل شكري، وصادق دعواتي أهديها لكم، وفقكم الله، وسدد على درب الخير خطاكم، وجعل الجنة مثوانا، ومثواكم».

ونحن إذ نشكر الأخ على هذه المشاعر الطيبة نسأل الله - تعالى - أن نكون عند حسن الظن، وأن يوفقنا لخدمة دينه.

* **الأخ: عبد الله بن حذافة السهمي:** وصلتنا رسالتك، ونشكر ونقدر ثقتك بمجلة البيان، وعن الأسئلة التي أرسلتها حول المسألة الشيشانية، فيمكنك مراجعة المقابلة التي أجريت مع الشيخ محمد السيف في المجلة، كما يمكنك التواصل مع الإخوة من خلال موقعهم على الإنترنت، وفقنا الله وإياك لكل خير.

* **الأخ: د. عبد الله بن هادي القحطاني:** وصلتنا مشاركتكم الكريمة، ولكنها كانت ناقصة، نرجو التكرم بإعادة إرسالها وجزاكم الله خيراً.

* **الأخوين: إبراهيم بن صالح الهزاع، فيصل بن حسين الحلواني:** نشكر لكما تواصلكما الكريم مع المجلة، كما نشكر لكما اقتراحاتكما الطيبة التي هي محل اهتمامنا، بارك الله فيكما.

* **الإخوة والأخوات: د. ماهر عباس جلال، أحمد عبد الله السعد، أسعد التهامي، د. زيد الرماني، أحمد عبد الدايم، عبد العزيز عبد الله الصالح، نوري بشير مبارك، خولة درويش:** جزاكم الله خيراً على هذا التواصل الطيب، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر - بإذن الله تعالى - مع تمنياتنا بدوام التواصل.

* **الإخوة: سلمان بن يحيى المالكي، أحمد الخرجي، علي بن سليمان الدبيخي، ممدوح الشيخ، رضا أمين عطية، طارق العمودي، رضا فهمي، سالم فرج سعد، خالد الهديب:** سعدنا بمشاركاتكم، وحرصكم على التواصل، ومشاركاتكم ستعد للنشر في المنتدى إن شاء الله تعالى.

* **الإخوة والأخوات: عطية فتحي الويشي، سمل وهبي فرح أحمد، د. محمد خليل جيجك، عبد الله العنزي، سيد سراج الهدى، عبد العزيز الحيدري، عبد الغني فطاني، عبد اللطيف الوابل، أبو محمد الجزائري، سعود آل عوشن، عبد الملك محمد التويجري، أبو حذيفة الأعظمي، مندوبية الروابي بجدة، أبو صالح الحجيلان، محمد بن حسين عطار، نور الفضلي:** أسعدنا تواصلكم مع مجلتكم، بارك الله فيكم وفي جهودكم، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق في مشاركات قادمة.

التدافع بالأكتاف والأكعب.. من المستفيد؟

د. محمد البشر

الولوغ في الأشخاص والهيئات مسلك ذميم.. ومن ظلم النفس والآخرين أن تكون هذه الصفة دأباً لصاحبها إما عن غفلة وإما عن قصد، وكلاهما مر.

وهذا المسلك المشين يلحظ على أخلاقيات بعض المحسوبين من الصالحين.

فإذا اغتنى أحد بمال.. استكثره عليه، وتساءل: من أين له؟ وكأن الغنى حكر على غير الصالحين، وغاب عنه أنه: «لا حسد إلا في اثنتين»[1]، و «ذهب أهل الدثور بالأجور»[2]. وكأنه لا يجتمع داعية وغنى!!

وإذا سبق أحدٌ بالخير تجشَّأت نفسه بالبَشَم الدنيوي؛ فسخر من قَدْره، أو سفه بعمله، أو هزأ بفضله، وغاب عنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [**الحديد**: ٢١]، وقوله: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [**النساء**: ٥٤].

وإذا عمل معه آذاه ووشَى به، وتجنى عليه بالثلب والسلب، وزاحمه بالأكتاف والأكعب، وكأن المكان لا يتسع إلا له، وغاب عنه قول ربه: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [**الأحزاب**: ٥٨].

إن التدافع بالألسنة والأكتاف والأكعب لا يكون إلا في الخير وللخير، أما أن يدور في فلك المنفعة

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٧١.

(٢) رواه مسلم، ح/ ١٦٧٤.

الشخصية الذاتية؛ فيقترف صاحبه لأجله خطيئة، أو يكسب إثماً، ويتجاوز ضرره النفس إلى الغير، فهو أمر يستدعي تهذيب النفس وصَقْلها، وربما عَسْفها وأَطْرها على الحق راغمة وصاغية.

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1]، وسلامة القلب علامة خير عظيم ونبوءة أجر كبير، وقد أخبر النبي ﷺ عن أحد أصحابه أنه من أهل الجنة، فلما تقصَّى صحابيٌّ دأبه في ليله ونهاره لم يجد كثير عمل غير أنه يمسي ولا يجد في قلبه على أحد شيئاً.

التُّقى والصلاح لا يُحلان التجني على الآخرين وإيذائهم والنيل منهم، ولن يكونا شفيعين لصاحبهما أن يَلِغَ بلسانه في سيرهم أو يجد في نفسه شيئاً عليهم، بل حري بمن هو في عداد الصالحين أن يكون التُّقى والصلاح سياجاً يحميه من الإثم وأسباب الخصومة والبغضاء التي تضر ولا تنفع، وتفرق ولا تجمع، وأكبر الضرر أن يتعدى الأشخاص إلى مؤسسات الخير والدعوة.

ومعنى أن يصدر ذلك كله من الدعاة الصالحين هو تجريح للنماذج، وتهافت للرموز.

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٤٦٥١.

Printed in Egypt

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

الموسوعة الإلكترونية لمجلة البيان
AL BAYAN

قاعدة بيانات شاملة لمحتوى ١٥٠ عدداً من أعداد المجلة



الآن
في الأسواق

فكرة من العلماء
والمفكرين والكتّاب
والقرّاء وخبراتهم

بها يمكنك استعراض مقالات مجلة البيان بواسطة
رقم العدد، أو اسم الكاتب، أو موضوع المقالة،أو عنوانها

مكتب مجلة البيان . الرياض . ت ٤٦٤١٢٢٢ فاكس ٤٦٤١٤٤٦ الرمز البريدي ١١٤٩٦ ص.ب ٢٦٩٧٠